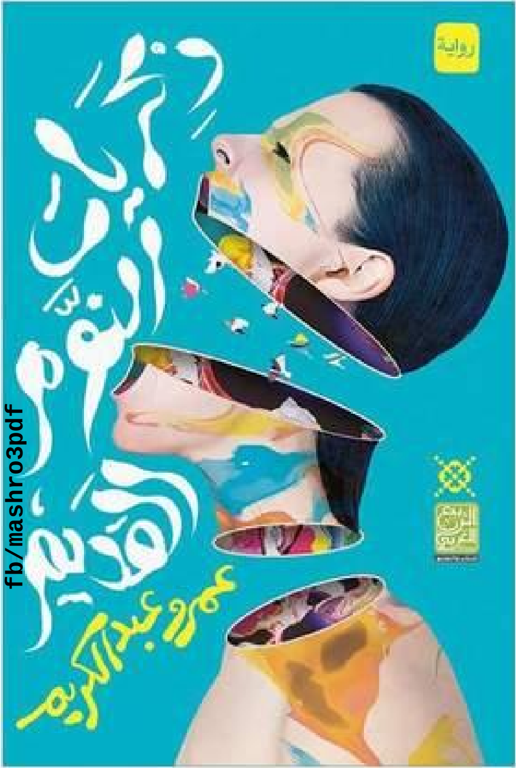

fb/mashro3pdf

السيف أصدق أنباءً من الكتب.. في حده الحد بين الجد واللعب

أبو الطيب المتنبي

وما لبثت أن جُنّت فمضت غارقة في غربتها تتكّ لنفسها رافعة ذلك الجدار الذي لا يُخترق، والذي يرفعه المجانين عادة بينهم وبين العالم.

غسان كنفاني

fb/mashro3pdf

إلى الشفاء من مي

fb/mashro3pdf

كل الأسماء المذكورة في الكتاب من وحي الخيال، وأي تشابه بينها وبين الواقع فهو غير مقصود. وكذا كل الوقائع؛ مجرد خيال، والكاتب غير مسؤول عما يفهمه القاريء...أيا كان.

fb/mashro3pdf

القسم الأول

حرب

fb/mashro3pdf

١

العُرس

"نارٌ تُطفئها النارُ!"

fb/mashro3pdf

صابر ليس مجنونا. هو أحمق، أبله، لكنه ليس مجنونا. وكل ما سيفعله سيكون شيئا طبيعيا على هذه الأرض المظلمة. أنا أخشى أن يصدق الناس، فيصير مجنونا فعلا. وكما يحكي لي دائما **سأتوقف عن أكون جحا، سأحمل الحمار على ظهري وألقيه في البحر، ومحروق البشر!** يحكي غاضبا عابسا، كأنه يعارك الناس رأي العين، وكأنه لا يجلس معي تحت الشجرة، أربت على كتفه أواسيه، فيلين، ويميل برأسه على كتفي. يا لصابر المسكين كأنه وحش عملاق أسوسه وأروضه كقط أليف. قالت لي سمر يوما ما: أنا لا أفهم كيف تحبين هذا الوحش! هل يستطيع أن يتكلم برفق؟ فأضحك. فأول مرة قابلته كان عابسا جهما، لحيته طويلة، ويرتدي بلوفر أسود. عرفته عليها: صابر، سمر صديقتي، ابتسمتُ له برقة وأدب. فابتسم، بدت ابتسامته غريبة، كان مزاجه سيئا، كان هذا عندما ابتدأ شبق الناس للحرب، **لقد قررت يا مي أن أحارب. لم يعد هناك أمان سوى خلف هذه البندقية** قال: أهلا سمر. ثم حك لحيته: هل اسمك سمر لأنك سمراء، أم لأنك تثرثرين ليلا مع مي؟ حملقت فيه وقد احمر وجهها، بينما ضحكتُ وضربته على كتفه! ماذا تقول يا أبله!؟ أين قلم الكُحل. يا ربي! من يعبث دائما بأشيائي؟ ها هو. لكن صابر رجل، يحمل في صدره هم العالم الذي فوق رأسه. منذ أن كان طفلا، كان يعمل ويلعب ويسرق بندقية جدي، **وهذا ما غرز رجلك في المستنقع يا أحمق!** ويصطاد الكلاب في الخرائب. سألته يوما ما: لماذا كنت تقتلها؟ فقال: هذه أشياء لا يجب أن تعرفها البنات! لكني أتدلل عليه، ضاحكة متباكية، فيذوب وحشي الجميل. الكلاب تغتصب الحيوانات الأخرى! فأضحك! لأني لا أضحك سوى معه! أضحك لحمقه، لبلهه، لنكاته، لغزله، لقرصانه الماجنة، لهيئته، أنا أضحك عندما أراه. حقا؟ من يجعلني أضحك سوى صابر؟ **بنت يا مي؟ تعال هنا أين كنت؟ كنت مع صابر يا بابا؟ صابر**

fb/mashro3pdf

من؟ صابر يا بابا! صابر خطيبي! كم صابر في الدنيا أعرفه؟ صابر ابن الكلب تقصدين؟ لماذا تكرهه لا أفهم! أخرسي يا مجنونة! أبي يعنفه ليل نهار. على كل صغيرة وكبيرة. لكن من لا يعنفه أبي؟ أتفق مع صابر أن أبي مجنون! ليس مجنونا جدا، هو أقرب لأن يكون مريض! ما شأن صابر باختفاء أشرف!؟ ما شأني أنا باختفاء أشرف؟ ما شأن أمي؟ أبي لم يحب في حياته سوى أشرف! وكأنه لم يلد بنتا أخرى. من أجمل بنات العالم. صابر المسكين. أنا لا أفهم من عبث بعلبة "الماكياج!" (أضرب سطح التسريحة، أقلب في محتويات العلبة) أين قلم الشفاه. لقد أراده بطعم اللوز

وإياك أن تستخدمي قلم شفاه أحمر أو أي لون غامق، أريده بلون فاتح، لامع، كأن شفتيك غير مدهونتين!

تقصد بطعم اللوز

(أقترب الولهان، أضحك) لوز؟ أموت في اللوز! ها هو اللوز! كنت أتعارك معه عندما كنا صغارا. إلا ساعة التسلل اليومي لمطبخ البيت الكبير. نسرق اللوز وأشرف كان معنا. ثم نأكله تحت شجرة كبيرة خارج البيت. كنت أطعم أشرف بيدي، وأتعمد أن نبتعد عن صابر قليلا، كأني لا أريد أن أثبت أني شريكته في السرقة. فيجلس متجاهلا وجودنا، يرنو بطرف عينه من لحظة لأخرى، يريد مشاركتنا. كان دائما وحيدا قبل أن نأتي من العاصمة. بعد أن مات جدي. فرح بنا يومها. ودار بنا يعرض لنا البيت الكبير. لكن مع الوقت تنشأ المشاكل بين الأطفال. ويوما ما ضايق أشرف، فضربته بحجر، فشججت رأسه، من يومئذٍ وهو يرق لي ويخشاني.

لكنه طوال الوقت كان يحبني. أنا أول بنت يراها في حياته تقريبا! أول بنت جميلة يراها في حياته. أول بنت يعيش معها في بيت جده. يلعب، يتعارك، يُضرب، يسرق اللوز، معها. حتى لو كادت له المكائد. لقد كان يقضي يومه على أمرين: مي، وسرقة البندقية، اللعب، العمل إن كان

fb/mashro3pdf

وراءه. أو مي فقط! كنت كزهرته التي يسقيها بحياته يوما بعد يوم. حياته الصاخبة كلها. كل حبه وكل بغضه، كل غضبه ورقته، كل مروءته ومجونه. عرفت ذلك من أول يوم دخلت فيه المدينة الأخرى، عندما وصلنا البيت. مي شوقي تعرف عيون عشاقها. نعم رأيت نظراته تلك في عيون مروان عبد اللطيف، ويوسف أبو طالب، وحتى سلطان المدني صاحب الدار، كل زملاء الثانوية. لكن أكثرهم تأملا لي ورعاية كان صابر. رغم أن أكثر رجل تجاهلته كان هو. وأكثر من نال من سخطي كان هو. كان يُضرب كل يوم ويتعارك أمام المدرسة الثانوية. كل يوم. عندما يرى الشباب يهيمون خلفي، يهرع إليهم وقد حمل نبوت غليظ أسود. يجري عليهم. يضربهم، يهشم عظام بعضهم، **دائما تغرز أقدامك في المستنقعات يا أحمق!** ويجرحون وجهه كل مرة. نعود للبيت. أصرخ فيه وأعنفه. تحمر عينه. تغلي. يصرخ ويسب. ولا أحد يتدخل. لا أبي ولا عمي. لا أمي ولا امرأة عمي. يبتسمون. ببرود. حتى تأتي أمي وتهدئني. تسحبني، وتوبخ صابر، وهي تغمز له. كل يوم. يتعارك.

أما في الجامعة. لم تكن هناك مشاكل تُذكر. فقد كان معروفا، كعادته، بقدرته على العراك وعِندِه وغلظته. كان لا يحضر محاضرته. فقط يدور حول مدرج محاضراتي. يراقبني من بعيد. يركب معي المواصلة، كأنه لا يعرفني. يراقبني فقط. أو يسير خلفي إن عدت ماشية كي أهد قواه. لكن لم أفلح إلا في هد قواي أنا! وما أن نعود للبيت. يعود الأمر إلى ما هو عليه. شجار. جدال. هزار.

أنهينا الدراسة. وقد عمل هو مدربا للملاكمة في نادي كبير. تقدم لي! في الحقيقة صدمني. لم أتوقع قط أن يفعلها! حتى أني لم أستطع أن أقول رأيي لأمي التي جاءت تحاول سبر أغواري. المجنون! لقد عرفت أنه أحبني. لكنه حتى لم يأتِ ليقولها لي. قلت له فيما بعد – عندما رفضه أبي أول مرة، بل وتركنا البيت، رغم سوء حالة أشرف -: "لماذا فعلت هذا؟"

fb/mashro3pdf

[illegible]: "فعلت ماذا؟"

"لماذا تخطبني، يا صابر؟" سألته وأنا أكبت ضحكي. كنا جالسين عند [illegible]. كان محبطا من رفض أبي. يضع يديه في جيوب سترته الجلدية السوداء. رأسه مائلة ينظر بحزن للحشائش. كنت أميل عليه، أستند بذراعي اليمنى على المقعد أنظر له عن جنب. قال: "أنتِ مجنونة كأبيك؟" دون أن ينظر إلي.

لا أعرف كيف أحببته جدا في هذه اللحظة بالذات. أكثر من أي لحظة. هل كنت أحبه كل هذا الوقت؟ هل كنت أهرب منه لتعقيدات شخصيته التي أعرفها جيدا؟ كان يومها في كربه وإحباطه، هذا الرجل الكسير الذي أرهق صبرا على حبيبته حتى حطم حلمه رجل عجوز.

ضحكت وأمسكت بكتفه: "يا رجل؟ لا بأس مجنونة مجنونة! قل لي لماذا فعلت هذا؟"

نظر إليَّ بغيظ: "هلا توقفت عن ألاعيب القطط يا مي، لست كرة صوف، أو فأر كي تلعبي بي! لماذا يتقدم رجل لفتاة أيا كنت؟ هل لأنها تفهم في ميكانيكا سيارته، فتساعده إن تعطلت!"

عبست، وصدري يتألم من فرحة غريبة: "لم أفهم!"

أطال النظر لي. لحيته كثة، فبدا وجهه سمينا: "لم تفهمي بعدُ إذًا؟ بعد كل هذا العمر! سأقول لك شيء كي ترتاحي! لن أقولها لكِ مهما فعلت!" ونخر ونظر أمامه. لم أجد نفسي إلا وألكمه بيدي على كتفه، حتى تألم.

حك ذراعه "هل يفرق معك - يعني - هذه الكلمة؟ أبوك رفضني! فماذا يفرق؟"

عبست. كنت مهتاجة: بين الغضب والرغبة والكبر والضعف والغضب من هذا الوحش الأليف. اقترب بوجهه من أذني: "غضبتِ!" دغدغت أنفاسه أذني. لم أرد عليه. لم ألتفت له. عض أذني برفق.

fb/mashro3pdf

صرخت، وصفعته. وقف شعر لحيته، ودارت عينه الواسعة كعادته إذا غضب. انكمشتُ. "آسفة!" حك لحيته ببرود. قام ببطء. سار ببطء كذئب. ناديته: "صابر. صابر آسفة والله لم أقصد، أنت من..." انحنى عند أجمة على اليسار. جرت فوق الحشائش وريقات صغيرة مع الزوابع خلفه. عاد يقف وظهره لي. سار خطوتين. ثم دار كجندي على كعبيه. سار ببطء وعينه هذه المرة تلتهمني. ابتسمت معتذرة. وصل عندي. جلس على ركبته اليسرى. فرد راحة يده على ركبتي. شهقت. أخرج من جيبه ورد. وابتسم ، فكأن لحيته تطايرت وأصبح الطفل الذي يسرق اللوز:"أحبك. أحبك يا مي!" أخذت الورد بوجه ساخن، ويد باردة مرتعشة. أخرج من جيبه علبة سوداء. فتحها: "تزوجيني!"

آه لماذا أبكي الآن؟ سيفسد الكُحل! ما أغباني، سأكون بين يديه الليلة! فلماذا أبكي ؟ أنا أبكي كلما أذكر هذا اليوم. **لماذا غرزت قدمك في الخوف؟ كل الذكريات تتكمش وتُبرى كرؤوس السهام يا صابر، ثم تبدأ في نغز قلبي. وتدميه! لماذا لم تدع لي براحا كي أتذكر غدا هذه الأيام واضحك. أخشى أن أذكرها أندم! الخوف يقتل كل شيء!** شعرت حينها أن كل صبره وإحباطه تكلل باعترافه لي، وشعرت أن هذا الصبر والإحباط والألم والوجع الذين طالما كانوا في عينه. الواسعة الجميلة. انتقلوا إليّ. فلم أتحملهم. فبكيت. أو أني كنت أنتظر هذا اليوم الذي أسمع فيه هذه الكلمة فعلا!

صابر أول من قالها!

نعم. ووردہ الذي قطفه من الأجمة يومئذ كان أول باقة ورد! **فلماذا أفسدتَ كل شيء يا حبيبي؟**

لما رأى دموعي. هب يجلس جواري. واحتضنني بذراعه:" آسف! لم أعرف أنه علي أن أقولها! ألا يكفي ما فعلته طوال عمري! ألا يكفي كل الضرب الذي ضُربته بسببك؟"

fb/mashro3pdf

نشجت (كالحمقاء!): "لا! كان يجب أن تقولها! حتى قبل أن تأتي لبابا!"

"لهذه الدرجة؟"

استقمت في جلستي. مسحت عيني: "هل قالها لك أحد في هذا العالم من قبل!؟"

عبس. نظر حوله، وكان المرج شبه خالٍ. والليل يهبط بهدوء.: "هذا العالم قاسي يا مي! لا أحد يحب أحدا!"

"لذا كان عليك أن تقولها لي!"

"أخاف يا مي! هذه كلمة مخيفة!"

صحت فيه "كيف؟"

"انظري حولك! ستعرفين لماذا يأكل البشر بعضهم بعضا في هذه الأرض! البشر كائنات عاقلة، لها عقول ونفوس تفكر، وتفهم. وهذه الكلمة تحل كل مشاكلهم. وتعيد لكل حقه! تعيد الراحة! تعيد الجنة. الجنة يا مي! لكن كيف للبشر أن يدخلوا الجنة؟ إنهم مسوخ! لا ترتاح نفوسهم إلا بالبغض، لا وقود لحياتهم سوى البغض. فيهربون منها يا مي!"

"وما شأننا بهذا يا صابر؟" **ما كان شأننا يا صابر؟**

ابتسم: "كيف أعيش وسط هؤلاء الوحوش دون ناب وظفر. دون نبوت وبندقية. دون رمح؟"

لطمت فخذاي برفق: "يا خيبتك يا مي يا بنت شوقي؟"

ضحك، واستلقى على ظهره يتوسد حجري: "مي أنت خارج المعادلة! أنت كهذه السحب، طاهرة لا يخرج منها سوى أمطار جميلة، أو سيول جارفة تنظف الأرض من البشرية! كنت أخشى أن أقول هذه الكلمة لك خوفا منك! خوفا من عواصفك، خوفا من دلالك، خوفا من عيونك، أنت قطة تراوغ، أنّى لي أن أصطادها! أخاف أن أقولها يا مي لأني إن

fb/mashro3pdf

قلتها حملت مسؤوليتها كاملة!"

ابتسمت: "لا تتلاعب أنت جبان!" ثم أشرت للندبة على جبهته: "أنت تخشي أن أشج رأسك مرة أخرى!"

ضحك. ووضع يده على وجهه. ثم هدأ وهو يمسد جبهته وعينه. غرق في فكره، وشردت فيه.

جلس فجأة: "ماذا سنفعل مع عمي شوقي؟"

"تقدم مرة أخرى!"

أشاح بيده: "يا حبيبتي هذا رجل مجنون!"

"صابر!" عبست

"إذًا فسّري لي، لماذا ترك المنزل الكبير؟ لماذا أنتقل بكم إلى عنوان مجهول؟"

ابتسمت: "ليس مجهول يا صابر. تعالى أنت وطنط أمل غدا الساعة السابعة. شارع كلية الفنون فوق محل أولاد شتا!"

ضحك. وضحك وضحك. وانقض علي يحاول حملي. لكني دفعته وصفعته. وهو يضحك!

صابر عنيد، لا يضيع شيء يريده قط، وإن كنت أخشى عليه من عنده هذا، جاء وطنط أمل. فتح أبي الباب، قال لي: لما رآنا وقف كالصنم لا يدري ماذا يقول. صاح في: كيف عرفت العنوان؟ أتتجسس علينا يا بن محمود؟ قالت أمي: عيب يا شوقي، نحن أهل! فقال: أهل أهل، لكن كيف عرف ولدك عنواني، وماذا تريدون؟ فقلت له: مي من أخبرتني العنوان! وهي موافقة على الزواج مني. فلماذا تقف أمامي الآن وتسد الباب، يا عمي أنا في مقام ولدك. صرخ: ليس لدي أولاد، ولدي... ثم بكى. أنتم مجانين يا مي، أبوك وأنت وأشرف حتى الله يرحمه، تبكون فجأة دون مقدمات مفهومة. لم أفهم كيف وافق

fb/mashro3pdf

أبي، أظنه لم يكترث لمن تتزوجه مي! أو لعله ظن أنه يقدر على صابر ومن السهل أن يضعه في جيبه. لكن أعتقد أنه ندم على ذلك، فقد جاء صابر يوم أن أخبرته أن تم قبولي في قسم العلاقات العامة بدار النشر. كان البيت كله سعيدا. حتى أبي. وجدنا الباب يُطرق بجنون! هرع أبي يفتحه. اقتحم الصالة راعبا عيناه تدور. أين هي؟ أين مي؟ صاح أبي: مالك يا ولد؟ تطلعت إليه من خلف سمر. ما لك؟ فصاح في: "ماذا فعلتِ؟"

"ماذا فعلتُ؟ " سألته

"اشتغلتِ؟"

فصاح أبي: "وما المشكلة؟"

حدقت فيه: "صحيح ما مشكلتك!؟"

زفر بغضب: "لن تعملي يا مي، لن تعملي، لا آمن عليك رجلا في الشارع، أآمن عليك صبي من صبيان العلاقات العامة؟"

ابتسمت: "هل تفهم معنى كلمة علاقات عامة؟"

صاح: "أنا لست جاهلا!"

"رائع، أرجوك أخفض صوتك، لن تحل مشكلتك معي بهذه الطريقة؟"

"مي، أرجوك لا تتكلمي معي بهذا البرود!"

حدقت فيه بضيق، ودخلت حجرتي دون أن أرد عليه. هاج وماج. صاح فيه أبي: "أجننت يا ولد؟"

"يا عم أنت الذي جننت كيف تسمح لابنتك أن تعمل وتختلط برجال لا تعرفهم؟"

"ولد يا صابر، أنت جننت فعلا يا بن الكلب، من الذي جن يا قليل الأدب يا وقح!"

fb/mashro3pdf

"أبتعد يا "جدع" عني" ثم وجه غضبه لي وأنا خلف الباب: "وأنت يا مي، لن تهنئي يوما في عملك هذا" ثم خرج بزوابعه صافقا الباب خلفه.

سمعت أبي بعدها يصيح: "والله يا بن الكلب لأجفف الدم في عروقك، سننتقل من هذه الشقة، وسنرى كيف ستصل إلينا يا بن المجانين!"

لم أتوقع أن يفعلها أبي. إلا أنه حدث. وظل صابر منقطع عني شهورا. اكتأبت لأنه أفسد كل شيء، **دائما تُفسد الأمور يا حبيبي!** خصوصا أن مروان المجنون لم يكن يرحمني من هذيانه. وصل به الدرجة المسكين أن اعترف لي بحبه. لكنه قرر العودة. بدأ بسمر. يكلمها ليل نهار. حتى أنها هاتفتني يوما ما تصرخ في: "كلمي مجنونك هذا حتى يحل عن رأسي، إنه يتصل بي أكثر مما يتصل بي خطيبي. ارحميني وارحميه." لم أفعل. فبعد يومين من هاتف سمر جاء إليّ في الدار. حلق لحيته فبدا طفلًا عملاقًا. دخل فجأة. وأنا وحدي في المكتب. صُدمت؟ شعرت بألم في قلبي؟ فرحت؟ غضبت؟ فقط شعرت بشيء بحضوره. كدت أنسى نفسي وأضحك (أم أبكي لا أذكر، إنه صابر).

تداركت نفسي وعبست. تجاهلته، أعطيته ظهري وقلبت في أوراق كانت في يدي. لكن المجنون أغلق الباب. تسمرت مكاني. كنت واقفة في ركن الغرفة جوار دولاب حفظ المستندات. قال: "أنا لست شاعرا، لساني يقذف الحجر، وجهي كجلاد لئيم، لكن قلبي كنسيم خافت مهذب. وحضني دافئ! تعالي في حضن (صبورة)!" فغر في. نظرت له من خلف كتفي، وجدته يتقدم فاتحا ذراعيه على حضن واسع. صرخت: "ابتعد عني يا مجنون! ابتعد يا صابر!" لكنه أمسكني من كتفاي يدفعني داخله وأنا أضربه بكلتي يديّ، وأركله بقدمي. يضحك ويقول: "تائب يا ابنة العم فارحميني!" أكنت سعيدة بحضنه الإجباري؟ أكنت قلقة من أن يباغتنا أحد؟ كنت فرحة بعودته؟ هل زال كما شعرت هذا الاكتئاب البارد؟ **رغم ذلك لم أكن خائفة كالآن! لماذا الحرب يا صابر؟ ما شأننا؟**لا أعرف، لقد بكيت بين يديه وأنا أضربه، أصفعه، أشتمه. وقف

fb/mashro3pdf

مذهولا. يداه على كتفي. يتمتم: "مي؟ ما لك؟ ماذا فعلت يا صابر؟" هدأت قليلًا في دمعي ونشيجي. طُرق الباب ودخل يوسف يحمل وكوبين شاي. حملق فينا.: "مي ما المشكلة من هذا؟ من أنت؟" سأل صابر

"أنا صابر الناجي! من أنت؟ من هذا يا مي!؟"

"يوسف، زميلي، يوسف، هذا صابر قريبي!"

"قريبك؟؟" أخفض صابر رأسه مستغربا

"لكن ما يبكيك؟ ماذا فعل لك؟" وحدجه بنظرة غاضبة

عبست: "لا شيء يا يوسف، قلت لك قريبي، ابن عمي!"

قرب صابر عينه من عيني (كدت أبتسم): "ابن عمك؟" استدار يواجه يوسف فاردا قامته العضلية: "أنا صابر الناجي، خطيب مي الناجي وحبيبها، وفلذة كبدها، وهذا الكوب لو عندك نظر (أخذ كوب الشاي منه) مكتوب عليه اسمي... يا لطخ!" ثم رشف من الكوب بصوت عالي وعينه تدور في عين يوسف الذي انسحب مبتلعا الإهانة. وأنا أخيرا أضحك. وأضع وجهي في ظهره.

"مي!" أمي تنادي من خلف الباب " انتهيتِ؟" فتحت الباب. صحت: "كلا!" دخلت سمر، وخلفها تطلعت أمي.: "الله الله الله، ما كل هذه الحلاوة هذا الوعل محظوظ" قالت سمر بلكنتها السريعة، وطبعت على خدي قبلة. أضربها على كتفها: "لم أنتِ يا **حيوانة**!" تضحك: "والله عمو شوقي على حق أنت مجنونة، أي عروسة تلك التي تختص نفسها بزينتها، ولا تسمح لأحد بأن يساعدها"

"ليس من شأنك على فكرة" ثم ألتفت للمرآة. أمي تقترب من خلفي. أرى في المرآة عينيها بين الفرح والحزن. "يا جماعة أرجوكم لا تفسدوا اللحظة، هيا حتى أكمل زينتي" أقول وأنا أدفع سمر من ذراعها، بينما أحتضن أمي وأقبل رأسها. تربت على ذراعي وتخرج. أغلق الباب، ألمح

fb/mashro3pdf

صابر من بعيد فأغلقه الباب فورا.

لم يعد سوى ساعات. ساعات يا مي. وأذهب لبيتي أخيرا. وكم وددت أن تكون هذه اللحظة قبل هذا اليوم. قبل أن يذرع الخوف الأرض. ويطيب له المقام. ويعسكر. ويأكل الناس. ثم يصير وطننا كله الخوف. وصابر.. يا لصابر. لم يدع لنا الفرصة كي نبتعد عنه. أو أن نفر منه كما فعل الكثير من الناس. لماذا كنت غبيا يا صابر؟ لم تبتعد حينما ابتعدوا. لماذا غرزت قدمك في مستنقع الخوف. كان لنا أن نوفر عاما من الخطوبة. عاما من الاكتئاب البارد. كان لنا أن نهنأ قبل أن تضع قدمك في ساحة الخوف لتكون جزءً منه.

أشعر بالحر. أفتح الشباك لأتابع النجوم. المدينة الأخرى هادئة. والنجوم تراقب. أو تتكلم. وأنا أخشى النجوم. كان أشرف يقرأ الوقت من لون السماء. أما أنا فأشعر بأنفاسها. كأن في كل نجم حكاية. وكل حكاية خبر نصفه وهم، ونصفه حقيقة. وفحواه كله الخوف. خوف يقابل خوف الأرض. وكما قال لي صابر: "الناس ألقت إنسانيتها تحت أقدامها، واستعاضت بالكره، بالبغض كدوافع." كان ذلك يوم عيد، عندما أفرغ اثنان خزائن أسلحتهما في الناس. قتلوا الشارع المكتظ بالبشر. لم يفهم أحد ما حدث. سب أبي من فعل هذا القتل. لكن صابر أمسكني من ذراعي. وهمس. اقرئي. كانت صحيفة معارضة.

المدنـــــــــــي

ننفرد بفضح المخطط اليوجيني العنصري للحكومة الفاشلة:

التخلص من 45 مليون مواطن على ثلاثة مراحل

الأولى: إبادة ما يقرب من 20 مليون شاب عاطلا بدلا من توظيفهم

الثانية: هدم العشوائيات تمامًا بمن فيها من سكان يندرجون

fb/mashro3pdf

تحت الطبقة السفلى بدلا من تحقيق العدالة الاجتماعية

الثالثة: التخلص من كل من لم يؤدِ الخدمة العسكرية من الرجال

لا بُد أن تتوقف هذه الأفكار الشيطانية من هذا النظام الفاشي

بدأت الحكومة بالفعل في إرسال "بطاقات إجراءات انتقال" إلى شباب المرحلة الأولى ,التفاصيل ص 7

تسريبات: القسم الاجتماعي والعلمي في الوزارة هما المسئولان عن هذا المشروع

صحت فيه: "من أين لك بهذا الهراء؟"

"هذه صحيفة قديمة، منذ 2007، حاولي أن تربطي بين هذا وبين ما حدث في شارع البحر!"

"أنت مجنون! صابر الحكومة تقتلنا؟"

"أتعرفين من قتل جدك منصور؟"

"أرجوك لا أريد أن أتذكر!"

"يا حمقاء، كل الأمور مرتبطة ببعضها البعض، أنتِ فقط لا تدققي النظر!"

"أنا لست حمقاء. أنت الأحمق. مجنون، مجنون، مجنون يا ربي.."

"مجنون! هل تعرفي أن أنا وأنت بالذات لا بُد من أن ننتقم لجدنا؟"

"صابر، هل تريد أن تعود لعادتك البلهاء بقتل الكلاب؟"

"من قال إني توقفت عنها، لا المشكلة ليست في الكلاب، من يدع الكلاب تفعل ما تفعل؟"

fb/mashro3pdf

"وماذا تفعل الكلاب؟ صابر أرجوك توقف عن هذا الهذيان!"

"سيأتي اليوم وتعرفين أني أقول الحقيقة!"

ولم يكن الحادث الأخير. وكرت السلسلة، وانفرط العقد. ولم يفارق صابر بندقيته. حتى عندما تتلاق هذه اللقاءات الخاطفة عند شجرتنا. كان يحملها معه. لا يدع أحد يقترب. حتى أني قلت له مرة: "أصبحت تبغض الحياة!"

"أنت الحياة!"

فابتسم، لكن أعنفه: "ماذا تريد من الناس؟ حتى الحيوانات تبعدها إذا اقتربت منا؟"

"أنا وأنت وفقط! أنا آدم وأنت حواءتي!"

"مجنون!"

"مجنون مي!"

الليلة يا صابر الليلة. ستكون آدم جديد. وأنا حواؤك. لكن النجوم منقبضة. والجو بارد. وأخشى من قدمك التي دسستها في الحرب مع الخوف كان الشارع مزدحما جدا. وانطلق هو وأصحابه. الليلة الأولى من نوفمبر. قال لصحبه. الحكومة تحمي الأثرياء على قفانا. فدعونا نمتع بعض أثريائهم في الجحيم. الديناميت. أكبر قاعات المدينة الأخرى. في الأول من نوفمبر. الديناميت. قال لي إنه الرجل الوحيد الذي يستطيع الرقص على صوت انفجار الديناميت. يا رب. أنت مجنون؟ قتلتهم ؟ لا يا حمقاء لم أقتلهم، فجرتهم. أنت مجنون. لا لست مجنونا. صابر الناجي ليس مجنون. أنا الرجل الذي أنتقم من الظلم وهو يراقص الهلع. أنا خوفهم يا مي. يا حواءتي. والنجوم منقبضة اليوم تخفي وراءها ظلام. هل أي عروس ينقبض صدرها من الوجل. هل حضن الزوج الجديد مجهول يستحق الخوف والقلق منه.

fb/mashro3pdf

هل حضن صابر يستحق أن أخاف منه؟ هل حضن حبيبي أخاف منه؟ صابر وراءه خوفا أكبر من أي خوف. يا رب لطفك ماذا لو رزقنا بطفل؟ **سنسميه منصور. لو جاء ولد. لا طبعا، منصور اسم قديم يا صابر. ليس من شأنك، سميها أنت لو كانت فتاة! إذا ستكون فتاة يا صابر! هاهاها إذًا ماذا ستسميها، سأسميها ليلى بالطبع!** لكن لماذا ننجب يا صابر. والموت والخوف سيحيق بمنصور أو ليلى. هل سيصمدون يا صابر كما تصمد ببندقيتك. هل سيصمدون كما أصمد أنا خلفك. هل؟ أعرف أننا سنحبهم. لذا فكيف نحبهم ونتركهم يأتون لهذا العالم الذي قلت فيه **"هذا العالم قاسي يا مي! لا أحد يحب أحد!"** هل سيجدون من يحبهم؟ هل ستبقى لهم. هل سأبقى لهم. وإن بقينا، نحن بشر. يمر علينا الزمن، وكما يقول أشرف يأكلنا النمل! ماذا نترك لهم بعد النمل سوى الخوف يا صابر.

ما يهمك أن نترك لهم؟ إنها أقدار البشر، يولدوا ليشقوا! ليكدوا! هل علينا ألا نتزوج كيلا يولدوا؟ غريبة أنت يا مي! لم تهنئي يوما في حياتك، ثم تأتي لتفكري كيف سيكون حال أبنائك مريعا؟

نعم يا صابر، كيف لا أفكر في هذا؟ إنهم مستقبلي؟

ولماذا تفكرين في غيب؟ أنت بشر! استمتعي بيومك فقط! من أدراك أن ننجب؟ من قال لك أننا سنُحكم بالشقاء؟ من قال لك أن ذريتك ستكون ضعافا؟ أنا لا يهمني سوى كلمة " الآن!"، متعتي في نفس راضية! أقتل لأرضي، أحارب لأرضي، فلو لم أتدخل في هذه الحرب لبقيت أبد الدهر معذبا! إنه الضمير يا مي! أنت لا تتأملي الناس! انظري في الشوارع المزدحمة. وجوه الناس جائعة، تأكل بعضها بعضا، الكراهية هي رد الفعل الأسرع! هؤلاء قوم ميتون، حضروا أنفسهم وليمة شهية على مائدة إبليس!

يا ربي! أنت تخيفني!

fb/mashro3pdf

حمقاء! أرجو إن أنجبت فتاة، ألا تكون جبانة مثلك، جميلة نعم، لكن لها نفس صابر الناجي. والله يا مي إني لا أندم على بندقيتي هذه، وسأظل أصوبها على كل حي تسري فيه روح الشر!

وكيف تحكم عليهم أصلا؟ أنت لست إله الكون! أنت لست حكم على أحد!

صدقت. لكن أفعال الأحياء حكما عليهم، ومن أشعل الحرب عليه أن يحترق بها!

أنت تقتل الناس يا صابر؟

أنا أحارب الشر يا مي!

وما تفعله شر يا صابر، أن تحارب الناس شر. أنت تؤجج الحرب!

كلا! أنا لا أحارب الناس! أنا أدافع عن الناس! أما الكلاب، كانوا بشرا أو بهائم فليس لهم حقا في الحياة! والحرب لم يشعلها سوى من بيده اللجام! كلا! أنا أطفئ النار! نار البشر تُطفأ بالنار يا مي!

صابر أنا أخشى عليك!

يا نجومي الصامتة! ماذا يقول الغد؟ هل ستمر ليلتي بمتعة الحب، ثم تنقضي، وتشرق الشمس حمراء؟ أم ستنفد المخاوف، وتعود الأيام لما كانت عليه؟ أخشى يا صابر ألا يحدث ذلك، النجوم تصمت إذا حملت خلفها الخوف. أخشى أن يأتي اليوم الذي تظهر على الناس، ويعرفونك، يومها يا صابر، سيذهب كل شيء، يومها سيتحطم كل شيء، كل أيامي التي قضيتها ستصل لنقطة التبدل، حيث تتبدل كل الأرض، وينقلب وجه الدنيا، لأن الزمن يقلب صفحاته الآن. حينها سأكون حرفا من حبر يسيل على صفحة باردة تُطوى. ينتهي كل شيء ليبدأ شيء جديد. تتساقط أبراج. لتُبنى على أنقاضها عشش. لا تفعل بي هذا يا صابر.

fb/mashro3pdf

"مي!" ينادي من الصالة. لم يعد سوى الطرحة البيضاء. تأكدت من "الماكياج". كيف سأخفي الخوف من على وجهي؟ ضبطت الطرحة على رأسي. طرق مرة أخرى. لا تتعجل سنقضي الليل سويا. آه من النجوم الصامتة. "ابتعد عن الباب، ليس من حقك أن تراني الآن!"

ضحك من خلف الباب: "أنت مجنونة؟ أليس كذلك" دفع الباب ودخل. طويل. وسيم. أنفه جميل. مهيب في بذلة الفرح. "خائفة يا مي؟." سأل بمكر.

نخرت: "منك؟"

"حقك أن تخافي!" فرد جسده يستعرضه بفخر "لكن لا تقلقي، لدي قلب مرهف!"

ألقيت عليه كوب شاي. لكنه تفاداه ضاحكا.

fb/mashro3pdf

القسم الثاني

الأرض

fb/mashro3pdf

II

الختم

"الحياة نكاح!"

fb/mashro3pdf

-1-

استيقظ عمر عبد اللطيف، في صباح يومٍ ما، على جرس الباب. لم يتحرك مسرعا في الحقيقة. لقد كان النوم يسلب إرادته تماما، ويدفعه مرةً أخرى إلى السرير.. لكن تتابع الجرس أصر على دفعه عن السرير. وتملكته رغبة في البكاء، من التعب، طوق للنوم.

زحف ناحية الباب، مستندا على حائطي الردهة الضيقة الطويلة، المؤدية إلى الصالة. دق الجرس بنفاد صبر، فمد الخطى والغضب يملؤه، ورغبته في تحطيم رأس الطارق تملك صدره.

فتح الباب وعيناه يظن أنها تبعث الشرر، لكن ساعي البريد في زيه الرسميّ جدا، وقف بكراهيةٍ واضحة، أعادت إلى عمر الحذر.

"أين كنتَ يا ولد؟" سأل ساعي البريد.

" إحم.. إ.. نائم"

" خذ! هذا لك! وقع هنا"

نظر عمر إليه بضيق، سأل: "وما هذا؟ ولماذا أنتَ زعلان؟ لقد كنت نائما!"

"نائما؟ ألا تستحي من نفسك؟ رجلٌ في مثل سني يلف في قيظ الشمس على قدميه، ليوصل لفتى مثلك ورقة. وأنتَ نائم حتى ساعة الظهر؟"

" لقد نمتُ متأخرًا!"

استعرت عينا الرجل وكاد يمسك بتلابيب عمر، لكنه أخذ يدق على حلق الباب، ويصيح: "متأخر؟ وننتظر نحن النجاح والقوة لهذه البلد؟ هراء.. هراء.. لن نحرك ساكنا. ما دمتم هنا. وقّع وقّع.."

أراد عمر أن يفسر للرجل سبب نومه المتأخر، لكنه فضل السكوت، أمام هذا الغضب المتأجج.

fb/mashro3pdf

قال: "وما هذا؟"

"لا أعرف! ما أدراني؟"

قال عمر لنفسه: سحقا! أعرف أنه لا تعبر أيديهم رسالة دون أن يقرؤوها!. ثم قال: "هات.." ووقع.

ثم تعمد أن يصفق الباب وراء ساعي البريد، فتح نور الصالة وجلس يقول: هل جُن هذا الوغد؟ كيف يعاملني كفتى يعمل لديه؟ إنه محظوظ أني لم أصفعه ثلاث وأربعين مرة متتابعات. لا أدري ما منعني أن أشرح له أن معي شهادة أعلى مما يحمل أفراد عائلته جميعا.

أخذ يدلك رأسه مما تبقى من ثقل النعاس، حكّ بطنه لا يفهم؛ أجوعٌ يقرصها، أم عدم رغبة في الأكل؟ نظر للمظروف: مظروف جاف من الكرتون، يحمل العديد من الأختام، وأعلى على اليمين شعار النسر وتحته: وزارة السكان. وفي منتصف المظروف اسمه مكتوب.

تعجب. ماذا تريد مني وزارة السكان؟ فتح المظروف سريعا، وأخرج الورقة الفاخرة وقرأ:

السيد المحترم/عمر عبد اللطيف محمود

بعد الاطلاع على حالتكم الاجتماعية، وبالرجوع إلى كلٍ من:

1. **وزارة رقم 1.**
2. **وزارة رقم 2.**
3. **وزارة السكان.**
4. **وزارة التموين.**
5. **وزارة التربية والتعليم.**
6. **وزارة التعليم العالي.**
7. **وزارة الصحة.**

fb/mashro3pdf

8. وزارة المالية.

9. وزارة الري والمياه.

10. وزارة الثقافة.

11. وزارة العدل.

12. وزارة شئون مجلسي الشعب والشورى.

13. رئاسة الوزراء.

14. رئاسة الجمهورية.

15. مكتب الشياخة التابع له.

16. مكتب المحافظ.

17. مكتب الحكم المحلي.

تقرر الآتي:

1. إحالة أوراقكم، إلى السيد مفتي الديار، وذلك لتوقيعه على شهادة موتك الحكومي، وذلك طبقا لقانون رقم 13 لعام 2007 المتعلق بـ إعدام كل فرد غير صالح في المجتمع، وذلك حفاظا على الموارد وتوزيعها بالعدل والمساواة على الأفراد الصالحين والعاملين والنافعين فقط للبلاد.

2. إرسال شهادة الموت خاصتكم، خلال ثلاثين يوما من تاريخه.

3. إشهار هذا الحكم بعد وصوله إليكم، بالجريدة الرسمية، وجريدتين واسعتي الانتشار، وذلك خلال خمسة عشر يوما من تاريخه.

fb/mashro3pdf

لذا؛

نرجو من سيادتكم، إطاعة رجال القانون، وعدم مقاومتهم، وقت تنفيذ الحكم. وأي شكوى في هذا القرار، لكم التقدم إلى مكتب ديوان المظالم، والذي سيقوم باللازم، للتحقيق في شكواكم. 34

وننصحكم؛؛ بالجدية في التعامل مع هذا القرار، وننصحكم؛؛ بالاستجمام في الأيام القليلة القادمة. ولكم منا جزيل الشكر.

توقيع/

مرزوق مسعود الفقي

رئيس منطقة شرق العاصمة للتعبئة والإحصاء

لم يتمالك عمر نفسه من الضحك: الحكومة تضحك معنا!

ظل يضحك وهو يعيد قراءة الخطاب، ويردد: ننصحكم بالاستجمام في الأيام القليلة القادمة، ها ها ها.. ننصحكم... بالاستجمام.. في الأيام المتبقية.. ها ها ها...

ثم مزق المظروف وألقاه في القمامة.

fb/mashro3pdf

"طعم الجبن لاذع." قال عمر. وهو ينظر بتقزز لشطيرة الجبن التي يفطر بها. أخذ يشمشمها ببطء، لكن فقط رائحة الجبن المصفر. ابتلع ما تبقى من الشطيرة، مع كوب الشاي الحلو.

"ها.. صباح رائع! لم أنم سوى ساعتين!" حدق في عينيه المنهكتين، ودقق في الهالات السوداء، التي حوطت عينه فبدت وكأنها أثر لكمة. أخذ يفكر فيما سيفعله في هذا الصباح الباكر الغريب. اتجه إلى الشرفة لعل النسيم يلهمه.

كان الصباح لا يزال فيه طراوة. ولم تكن الشمس قد برزت في السماء. جلس على الكرسي، وركن على حد السور على يمينه، وسرح في السماء والسحب، وبعض العصافير الصغيرة التي تحوم فوق عشها العالي، حضره ضيق غريب. "هل لمثلي أن يكون له جزء من روحه في أجساد تلك العصافير؟" لكنه ابتسم بأسف، وأحتل كيانه شجن، حتى لاحظ كلبا ينبح على مرمى عينه اليسرى.

كان الكلب ينبح بشدة منذ ثلاثة عشر دقيقة، لكن لاستغراقه في أفكاره لم يكن ليلحظه؛ إلا بسبب جري الكلب في حلقات خلال الثلاثة عشر دقيقة.

وقف مستندا على سور الشرفة ودلى بصره ناحية الكلب. كانت مطاردة. الكلب يجري وراء عرسة في حلقات؛ لا هي تهرب من الحلقة، ولا هو يغير تكتيكاته كي يظفر بها. فقط حلقات.. حلقات.. حلقات.

أصابه دوار خفيف، لكن.. كان هناك رجلا يقف في بذلته الرسمية الكاملة، يقف هناك قريبا من المطاردة. رنا إليه عمر.. فصدم لما وجده يأكله بعينيه. انتصب عمر وحدق بقلق ناحية الرجل، فوجده يلوح له بغضب، يلوح بقبضة يده. ابتسم عمر، تذكر شخصيات الأفلام الكارتونية الصامتة ذات الشوارب العظيمة والتي تؤدي ذات

fb/mashro3pdf

الحركة ساعة الغضب: التلويح المتكرر لقبضة اليد.. ضحك وقال: "نعم، أنه يشبه (إيلمر فَد) صياد (باغز باني)"

وكأن أحدا رفع عن الشخص الملوح الصمت فجأة: "أخرس! كفى أنك تأخرت!" صرخ الصوت.

ترنح عمر، فقد ظهر صوت الرجل جليا وكأنه جواره في الشرفة. نظر جواره حيث كأن الصوت خرج.. سأل:"تأخرت؟"

فجاء الصوت من ذات الناحية: "حيوان! نعم تأخرت.. أنا انتظرك من الساعة الثانية صباحا"

نظر عمر إلى الرجل.. لا زال يلوح. ابتسم ثم نظر حيث مكان الصوت جواره: "لكن لماذا تنتظرني؟ أنا لم أعط لك ميعاد؟" سأل

"بغل!" صاح الصوت "ألم نرسل لك خطابا أمس؟"

"خطاب؟؟ أنا لم يصلني أي خطاب؟"

"بالطبع! تراك ألقيته في القمامة يا أحمق؟ سأبلغ عنك شرطة القمامة إن فعلت!"

"قمامة؟..آخ!" ارتبك عمر وكاد يعود كي يتأكد أن الخطاب لا زال هناك، أم أنه ألقاها ليلا في الشارع. لكنه خشي أن يلاحظ الرجل أو صوته ارتباكه.

"لكن يا فندم.. أي خطاب تقصد؟"

"خطاب ال.. أستظل تحدثني من عندك هكذا.. انزل.. انزل الآن!"

"لكن.."

"أنزل أنا رجل الحكومة..انزل!"

"يا لصباحات هذا الشهر!" قال قبل أن يركض نحو الحجرة، ارتدى أي شيء ونزل.

fb/mashro3pdf

ما أن وصل لبوابة العمارة، حتى وجد الرجل ينظر يمناه فيسراه ليعبر الطريق في غضب وتحفز. تراجع عمر قليلًا.. لكن الرجل صاح:"تعال!"

فالتفت عمر خلفه حيث جاء صوت الرجل: "أنت خلفي على الدرج؟؟" ثم مشيرا ناحية البوابة "أم أمامي في الشارع؟"

"أنا في كل مكان!" ثم بوغت بصفعة على قفاه أهالت ما تبقى من تماسكه..

"تأخرت جدا جدا، أنت تستحق أنت وأمثالك الإعدام المباشر وليس الموت الحكومي!"

"......."

"مالك متسمر كحجر؟ أسمع لقد عطلتني خذ هذا إنذار ثاني، اقرأه جيدا ولا تضحك عليه كالأول..أفهمت؟؟" ثم عدل ملابسه.. وذهب..

دخلت الشمس ببطء حارق على وجهه المتجمد. أزعجته حتى أفاق، نظر للمظروف في جمود..تحسس قفاه بأطراف أصابعه لثوان، ثم نظر لظهر المظروف:

إلى المواطن / عمر عبد اللطيف

و كان مزين بالعديد من الأختام والطوابع.

فجأة. قفز للخلف لما رأى جسما مشعرا يسير أمامه مرة واحدة. الكلب كان يسير وأمامه العرسة تسير منكسة الرأس، ثم تقف أمامه في ظل السلم.

راقب عمر برعب فك الكلب الواسع.."سيأكل!" همس في خوف. لكن وجد الكلب قد أمسكها من كتفيها ثم انقض عليها من الخلف يضاجعها..

أمسك درابزين الدرج في رعب، شعر بغثيان عنيف، ثم جرى لأعلى إلى شقته وتقاسيم العرسة الصامتة المتألمة لا تفارقه.

fb/mashro3pdf

-3-

السيد المواطن / عمر عبد اللطيف محمود

لقد شعرت الحكومة وللأسف أنك لم تأخذ الموضوع على قدر المسؤولية والجد.. وهذا بالطبع ليس لأننا نعرف ما يدور داخلك.. فنحن لا نستخدم عرافين أو أجهزة مراقبة على المواطنين. (تلفت عمر حوله في قلق، لكنه تابع القراءة) فنحن لدينا اتصالاتنا المباشرة بكافة أجهزة الدولة. وقد جاءتنا إخبارية من شرطة القمامة التابعة لشياختكم تقول أن الظرف الحكومي المرسل إليكم أمس قد وجد في قمامة منزلكم الليلة الساعة الواحدة والخمس والعشرون دقيقة (1:25) بعد منتصف الليل، وهذا شيء غير مقبول منكم لأنه يعكس عدم ثقتكم في الحكومة والنظام.

لذا فإننا نرسل إليكم هذا الخطاب متناسين ما فات لكن نرجو ألا يتكرر استهتاركم أيها المواطن الشريف.

توقيع/م

مرزوق مسعود الفقي

رئيس منطقة شرق العاصمة للتعبئة والإحصاء

ملحوظة: مرفق طيه بطاقة إجراءات الانتقال.

fb/mashro3pdf

قرأ عمر الرسالة مرتين. ثم أخرج رسالة أخرى وجدها نسخة طبق الأصل من خطاب أمس، ثم وجد مظروف أصفر صغير، فتحه، وجد بطاقة صفراء عليه بياناته الشخصية وصورته وكتب أعلاها:

بطاقة إجراءات الانتقال

"الانتقال؟" لم يرتاح للكلمة شعر فيها بالغربة. قلّب البطاقة، وجدها سوداء الظهر عليها شعار الدولة والعلم وكلمة بسيطة:

من أجل الصالح العام

كان مع البطاقة ورقة مطوية أكثر من مرة بشكل مبالغ،. كتب فيها:

السيد المواطن العزيز/

بعد استجاباتكم لرسائل حكومتكم المحترمة، تقرر إرسال بطاقة إجراءات انتقالكم إلى الرفيق الأعلى. وهي مرفقة في هذا الظرف. لذا نرجو منكم قراءة هذه الرسالة جيدا حيث نشرح لكم فيها الإجراءات القانونية المطلوبة منكم وكذا إجراءات التظلم إن احتجتم إليه أساسا..

أكمل قراءة الشرح في عدم تركيز.. نظر يساره في المرآة، قال واجما: "بالطبع تمازحنا الحكومة!"

ألقى كل شيء على الأرض وألقى نفسه إلى نومه الذي كان انقطع.

fb/mashro3pdf

على عقرب الثالثة عصرا، استيقظ غارقا في عرقه، رغم أن الجو بارد، رفع الغطاء الثقيل، جلس على جانب السرير، مسح العرق عن وجهه.

"الحكومة تستغني عني إذا؟"

كان الورق أمامه على الأرض، وكان على ذات الوضع عندما ألقاه على الأرض.أخذ يتأمله وقت ليس قصير. الورق فاخر وليس كورق المظاريف التي يستعملها عامة الناس، هي ذات المظاريف التي تستعملها البنوك الكبرى والمراكز الثقافية الدولية. "ورق أعجمي" قال وضحك.."لكن هل شهادة الموت تلك من ذات الورق أم من ورق أفخم؟"

قام فجأة، توجه لخزانة مكتبه، أخرج ملفا أسود جلدي، له مخالب معدنية في قلبه، أربع مخالب كبيرة، تفتح وتقفل، يوضع الورق المثقوب من الجوانب، ثم تغلقها عليه.

أخذ يقلب في هدوء، حتى أخرج شهادة ميلاده الأصلية، بالطبع كانت متهرئة.. محفوظة منذ زمن. أخذ يقرأ البيانات بهدوء، نظر إلى تاريخ الميلاد:

الخامس من أبريل عام ألف تسعمائة وثمانون (1980/4/5)

نظر خلفه ناحية خطابات الحكومة، صاح: "كم انتظرت منكم خطابات كي أعمل في تخصصي الذي درست..تأتون الآن بعد هذه الأعوام من التخرج وتقولون لي كفي... لا" ثم صرخ"كفى يا عمر.. كفى عليك من الحياة! أي حكومة تلك؟ لقد نصبناهم بأيدينا! "

ثم في هجمة واحدة، أخذ كل الخطابات وجرى ناحية الشرفة حتى وقف أمام السور. رفع يده عاليا بالورق..

لكن وقعت عينه على كلب، وهو ينظر لعرسة بيضاء تدخل الشارع بشراهة بشرية.

فعاد مسرعا، وأغلق النافذة.

fb/mashro3pdf

في البيت رقم 35 شارع الرويني، رن الهاتف، رن قلقا على استحياء، ظل يرن ثم يفصل يرن ثم يفصل، وفي النهاية رد المحامي حاتم محمود.

"وعليكم السلام.. الحمد لله..آه.. عمر..أخبارك؟ كيفك يا ولد؟ ألا تزال عاطلا عن العمل؟ يا الله..إلى متى ستظل هكذا! اذهب وابحث.. حتى لو كان حارس عقار! ما المشكلة؟ أخشى عليك الأيام يا ولدي!"

رد عمر وقد كاد يفتت الهاتف بإلقائه من النافذة، "نعم عمي، نعم، أعرف، أنا اتصل لهذا السبب، أريد أن أعمل، نعم نعم نعم..أعرف أني تأخرت.. لكن لا بُد أن أبدء.. وإلا س.. ســ.. سأموت!"

صاح المحامي فرحا:"بالطبع... نعم! هذا ابن أخي.. بارك الله فيك.. ما أحلى أن تذهب عنك غشاوتك هذه.. نعم لكن ماذا؟"

"عمي..أعرف.. أعرف.. لكن لا بد أن أجد عملًا لأن الحكومة بعثت إليّ خطاب.. سيبدءون في إرسالي إلى الأعلى!"

"أعلى؟"

"نعم.. إحم.. إيه!" ثم نظر إلى البطاقة "بعثوا إلى ببطاقة إجراءات الانتقال إلى الرفيق الأعلى"

"أي هراء تقول؟ أي حكومة بعثت إليك بهذا الخطاب؟" صاح مستنكرًا

"الحكومة!" قال ببلاهة

"الحكومة! الحكومة الحكومة؟" سأل

"نعم! الحكومة الحكومة! لقد ظننته هراء، لكن يبدو أنه الحقيقة، لقد قالوا في الخطابات إنهم سئموا مني بشكل ما وطبقا للقانون رقم...

fb/mashro3pdf

ابه ثواني!.." راجع الأوراق ثم قال:"القانون رقم 13 للعام الحالي.. نعم 2007 القائل بإعدام كل فرد في المجتمع وذلك للحفاظ على الموارد وتوف..."

قاطعه عمه: "سحقا.. ماذا تقول؟ هل بدؤوا في تنفيذ هذا القانون؟"

"عمي! كنت تعرف هذا القانون دون أن تنصحني.."

شخر العم: "من يا ابن الكلب..ألم أقل لك أن تعمل منذ أن كنت صبيا خريجا من الجامعة.. كم مرة؟ نعم.. ليس مجاله.. اسمع! أجمع كل ورقة لديك وائتني حالا... حالا!" وأغلق الخط.

وضع عمر السماعة بيد مرتعشة.. جلس على الكرسي.. وضع رأسه بين يديه..

"إذًا هي حقيقة والحكومة لا تمزح"

نظر للورق في المكان حوله شعر بالبرد... ارتجف.. ضغط على شفتيه.. ثم نظر إلى المرآة وأشاح فورا لما باغته الدمع... و همس:"إذًا هي حقيقة والحكومة لا تمزح".

fb/mashro3pdf

المدنـــــــــــي

نتفرد بفضح المخطط اليوجيني العنصري للحكومة الفاشلة:

التخلص من 45 مليون مواطن على ثلاثة مراحل

الأولى: إبادة ما يقرب من 20 مليون شاب عاطلا بدلا من توظيفهم

الثانية: هدم العشوائيات تمامًا بمن فيها من سكان يندرجوا تحت الطبقة السفلى بدلا من تحقيق العدالة الاجتماعية

الثالثة: التخلص من كل من لم يؤدي الخدمة العسكرية من الرجال

لا بُد أن تتوقف هذه الأفكار الشيطانية من هذا النظام الفاشي

بدأت الحكومة بالفعل في إرسال "بطاقات إجراءات انتقال" إلى شباب المرحلة الأولى ,التفاصيل ص 7

تسريبات: القسم الاجتماعي والعلمي في الوزارة هما المسئولان عن هذا المشروع

خرج عمر بالكاد من كتلة بشرية من الشباب تهافتوا على بائعي الجرائد ليشتروا نسخا من جريدة المدني..

"إذًا هي حقيقة والحكومة لا تمزح، بل لست الوحيد!" ضحك لنفسه، شعر باطمئنان قليل، تخيل نفسه جالسا على صف طويل من الكراسي المعدنية وسط العديد من الشباب، داخل فرن عظيم يتضاحكون كي ينسوا مجلسهم هذا، ثم مرة واحدة..

"هاااا ناار نار نار.." صرخ عمر.. ففزع رجل كان يسير جواره، فالتفت

fb/mashro3pdf

عمر ليساره خجلا، وأكمل مسيره يتخيل مصائر مختلفة لحفلة إعدامه الجماعي المرتقبة!

كان في طريقه إلى عمه المحامي.. لم يذهب إليه أمس، فقدْ فقدَ أعصابه طوال الليل ولم يستطع الخروج أو النوم حتى ساعة متأخرة من الليل.

استيقظ عند الثامنة، فجمع أوراقه، وضعها في ملفه الجلدي العظيم، ثم وضعه في حقيبة ظهره وذهب.

وصل عند ناصية شارع الرويني. تمشى في الشارع الهادئ يعد أرقام البنايات المذهبة المتصدرة واجهات المنازل.

وصل البيت رقم 35

دخل من بوابة السياج الحديدي القصير لحديقة صغيرة أمام المنزل، حدق في اسم عمه على باب البيت الخشبي:

حاتم غازي

"هاه.. يا له من وغد يعيش كالملوك، ثم يتنمر علي وكأني طلبت وده يوما ما.. كأني أخذ منه مالا! رحمك الله يا أبي!"

دق الجرس.. حتى فتحت الباب خادمة بضة ممشوقة، لديها شامة أعلى شفتيها المنتفختين.

"الشيطان يخرج مع أنفاسها!" فكر عمر

تلاعبت أصابعها البيضاء النظيفة في صندلها الجلدي المغروز في لحم القدم. نظرت نظرة قادرة بحاجبها الرفيع المرتفع لأعلى، قالت ببحة أتمت ميس صوتها:" أفندم؟ "

ألتقط جسدها مرة واحدة بعينه. شعر بلسانه ثقيلا. جافا. أخرجه من فمه. زمجر من حنجرته. وشعر بفكيه يستضخمان. تدلى لسانه.

fb/mashro3pdf

شعر بغثيان، ووجه الخادمة المبتسم يتقلص لوجه صغير صغير. حتى أشبهت عرسة.

أفاق على صوتها "أفندم؟" رددت في حدة

"احم.. عمي موجود.. عمي حاتم.. أنا عمر" ثم لمس وجهه كي يطمأن على ملامحه.

"عمر؟" قالت في جلالة من الإغواء والرقة..

"نعم" قال وهو يستجمع لحمها في مخيلته، بعد أن زاغت عيناه في خجل.

"عمي موجود؟" تساءل مقتضبا وعطرها يفوح، فلاعب أصابع قدميه في حذائه الرياضي..

اقتربت بمكر، تدلت ناحيته، فانتفض فيه كل الدم يغلي، شم رائحة طلاء الفم، مصحوبة برائحة نفسها الحاد.

"أظنه مشغول بتمارين الصباح!" ثم غمزت، وأعقبتها ضحكة ماجنة.

ثم أدخلته.

fb/mashro3pdf

ظهر العم أعلى درج البيت الداخلي. كان يرتدي "روب" أحمر منقوش، وجهه منغلق كمن يكظم شيء داخله. يحاول ألا يفقده. فانفصل عما حوله تمامًا كالمخدر.

توقف عمر عن رشف الشاي. وقف ينظر ناحية عمه يحاول التبسم احتراما. لكن ظل العم مغلق الوجه.

"أهلا كيف حالك عمر؟" قال العم برسمية شديدة

"بخير! بخير والله يا عمي!" قال بتوتر

"لماذا لم تأت أمس؟ ألم أقل لك أن تأت من فورك؟"

"بلى.. لكن.."

"لكن ماذا؟" صاح العم

"ايه.. لم أكن، لم أكن.. ايه. كنت مرتبك. متعب.."

"لقد ضيعت على نفسك فرصة للنجاة، كان بوسعي أن أعرض حالتك على صديقي المستشار شاهين فهو قادر على حل مشكلتك بظفر إصبعه.."

"إذًا لم يعد هناك أمل؟" قال عمر بخوف "أنظر" وجه له الجريدة..

"ما هذا؟" سأل مستنكرا. وبدأ قراءة الصحيفة. ثم صاح:"هراء.. هذه صحيفة صفراء. لم يأت شيئا في الجريدة القومية مطلقا؟"

"ومنذ متى وتأتي مشاريع الحكومة التي من هذا النوع في الجريدة القومية؟"

"يا لرأسك المريض.. سبب خيبتك ثم هلاكك بإذن الله. انظر أنا أراعي أنك ابن أخي عبد اللطيف رحمه الله. وسأساعدك هذه المرة فقط ولآخر مرة حتى تتفرغ للبحث عن عمل يكفي أخويك، خاصة

fb/mashro3pdf

مروان هذا، كل يوم أمك تتصل بي تشتكي منه. لا بُد أن تفيق يا عمر حتى ترعاهم. انظر لقد اتصلت بالمستشار العصار كي يساعدك. سيبعث إليك خلال أيام بالأوراق التي ستنجز لك حل هذه المشكلة. الزم البيت وانتظر فقط."

ابتسم عمر:"صحيح؟ متشكر يا عمي متشكر جدًّا"

ابتسم العم لأول مرة بخفوت: "لا عليك.. غادة!" نادى العم ناحية المطبخ. رفع ساق على ساق. فظهر فخده السمين الأبيض من فتحة "الروب" وجزء من سرواله التحتي الأسود. فنحى عمر وجهه سريعا، قال في نفسه:"خيبك الله من رجل، ما هذا الذي ترتدي؟"

جاءت غادة كفرس شموخ تبتسم في ثقة. "أوامرك أستاذ حاتم!" توتر عمر في جلسته "ألم يكن عليّ أن آتي ب"الروب" حتى أجلس مثل حاتم هكذا. صحيح فخذاي ليستا كفخذيه، لكن لعلهما يلفتا نظر هذه الصاروخ!" فكر عمر في نفسه

"القهوة والبسكويت" قال العام بأنفه وتابع الصحيفة بعينه. نظر عمر له بحدة. ثم لمؤخرة غادة وقوامها الممشوق.

"عمر!" قال العم.

"هاه!"

"تعجبك غادة؟" سأل وعينه لا تزال علىاالصحيفة. ازدرد عمر لعابه. "أعرف أنها جميلة، لكنها ليست كهذا النوع الذي يظنه شباب هذه الأيام" رمش عمر بسرعة. " هي مكافحة وتعمل لتنفق على أسرتها، أفضل من شباب كثيرين. أفضل من شباب بشوارب يا عمر" علا صوته وهو يضحك.

ازدرد عمر لعابه. رشف قليلًا من الشاي. شعر بوخز في قلبه. هرش أسفل أذنه. دار بعينه في البيت الواسع. لاحظ ساعة معلقة على الحائط

fb/mashro3pdf

يسير حولها عدد قليل من النمل. تعجب "بيت مثل هذا فيه نمل؟" لمح شيء أبيض ظهر فجأة أعلى الدرج الداخلي. التفت. صُدم. صُدم لما رأى امرأة ثلاثينية في لحمها الأبيض البارز من كل جزء من ملابسها التحتية.

"آه.. حاتم! لماذا لم تخبرني أنك مشغول؟" صاحت المرآة في دلال

"لا.. لست مشغولًا يا حبيبتي. أنه عمر ابن أخي عبد اللطيف الله يرحمه"

"عُمر!" صاحت في مفاجأة مفتعلة "كيف حالك وحال ماما يا حبيبي؟"

ابتسم بخجل، وأومأ لها. نظر لعمه، وغمغم يستأذن. أومأ العم له وقال: "اتبع تعليمات المستشار، ولا تضيع فرصا أخرى بكسلك!".

أومأ عمر. وانصرف.

fb/mashro3pdf

كاد يدخل بوابة المنزل. جسده محطم ويشعر بإعياء شديد. لمح أحدًا ما متخفي خلف برميل أزرق كبير. كان الجو لطيف. والشمس غابت إلا من بعض السحب الحمر. وكان الشارع خال.

دقق نظره. وجد عم منصور البقال ممسك ببندقية عتيقة. يتمترس خلف البرميل. تخفى عمر خلف شجرة. مرت نسائم لطيفة مرة أخرى، فاحت بعض الزهور الربيعية مع هبوبها. تنهد. وشعر بارتياح من سكون الشارع. وابتسم، لمنظر عم منصور "يشبه حارس لشارعنا" قال في نفسه. جرت قطة، واختبأت تحت سيارة. رنا إليها بلامبالاة. سمع خطوات خفيفة مسرعة. دقق النظر. لم يظهر سوى ثلاث عرس يجرين ثم يقفن ينظرن للخلف ثم يجرين. انقبضت أمعائه. بينما توتر عم منصور. دقق بندقيته ناحية أخر الشارع. من حيث آتت العرس. كح مرتين ثم بصق بغضب وتمتم بشيء ما، وعدل وضع بندقيته مرة أخرى.

جاءت خطوات ثقال تتهادى في بلاهة. رأى عمر كلبا يتدلى لسانه من فيه. يبحث يمينا ويسارا في لهفة عن شيء ما.

ارتفع عم منصور قليلًا.

"طراااخ"

سقط الكلب.

صاح عم منصور فرحا. هرول ناحية الكلب. تلفت حوله. أطلق عليه ثلاث طلقات أخرى بغضب. ثم عاد يجري. مر من أمام عمر دون أن يلحظه.

fb/mashro3pdf

-9-

في شارع الإسطبل. وقف عمر أمام منطقة شرق العاصمة للتعبئة والإحصاء. راقب حركة الناس دخولا وخروجا. كلهم يتأبطون ملفات عظيمة. بعضهم، يخرج بملفه، والحياة لا تكاد تتحرك في وجهه وبين عينيه. وبعضهم يخرج خال الوفاض يبتسم. تابع عمر أحد هؤلاء يتفاءل به؛ يأمل أن ينجح في تسلم كارت تظلم.

أمس وصله خطاب المستشار العصار. كان فيه استمارات التظلم. وورق الإرشادات. ملأ الاستمارات كما يجب. ذهب في الميعاد المكتوب في ورقة الإرشادات قاصدا مكتب موظف هناك في المنطقة.

وقف يراقب في قلق تجمهرا عظيما متصايح حول أحد الأكشاك. وقف فيه رجل مصفرا مسودا نحيل يوزع مظروفات. وآخر يحصل أموال. كلاهما يصرخ في الناس الصاخبين. وقف رجلي شرطة جوار الكشك يصرخون في الناس ويدفعونهم، ينظمونهم.

"أستاذ! ماذا تريد؟"

التفت عمر. قفز للخلف كالملدوغ. وقف أمامه رقيب سمين: "خيرا؟" سأل عمر

"خيرا؟" سأل الرقيب بسماجة

"ايه ايه.. كنت أود الذهاب إلى..إلى.." ثم أخرج ورق الإرشادات: "الأستاذ داوود!"

صُدم الرقيب: "داوود! أهلا وسهلا..أهلا.. تفضل. تفضل.."

"إلى أين؟"

"لا تخف.. لا تخف.. سأصطحبك إلى هناك..تعال!"

لم يرتح عمر للرقيب ولا لتبدله المفاجئ. حاول تجاهل الموقف

fb/mashro3pdf

بمراقبة المنطقة. كانت بناية عظيمة. لا سقف لها تقريبا. النور يأتي من الشمس أعلى المبنى مباشرة. أخذ يعد الأدوار التي تحلقت فوق بعضها لم يصل لنهايتها!

ظل يسير في البهو الكبير الذي يعج بخلق لا حد لهم. فجأة دلف الرقيب إلى سلم صغير من طرقة لا تُرى. ونزلا.

"إلى أين؟" سأل عمر في ريبة

"إلى الأستاذ داوود!"

"الأستاذ داوود؟ إنا نازلون للقبو!"

"بارك الله فيك. فالأستاذ داوود عتيق الجاه!"

"عتيق الجاه؟ "

"أي رجل كُبارة!"

"وهل لو كان كُبارة، تضعونه في القبو؟"

"نعم نعم.." قال الرقيب وقد بدا متململا. ثم أخرج مفتاحا أثريا. فتح الباب. قابلتهم رائحة أوراق وتراب. بدا المكان مظلما. خاصة بعد دخولهم من القاعة المشمسة في الخارج. دعك عينيه. أغلق الرقيب الباب خلفهما!

"ماذا تفعل؟" صاح عمر

"أغلق الباب!"

"تغلق الباب. أليس هنا كبار الموظفين؟"

"نعم. لكن هل رأيت الباب مفتوحا عندما دخلنا. ألم أفتح الباب أمامك بالمفتاح." وابتسم ببرود

"أين تأخذني؟"

fb/mashro3pdf

"للأستاذ داوود" وظل مبتسما

"لا.. لا.. لقد عدلت عن رأيي؛ سأعود"

"تعود؟" عبس الرقيب "ها هي الحجرة يا رجل؛ أتخاف من الظلام؟" ضحك ببرود، ومد ذراعه أمامه كأنه يقول لعمر تفضل.

سارا سويا. بدت أضواء المشاعل النحاسية تُظهر معالم القبو، الذي بدا كبهو عظيم كأنه ميدان شمسي، يتفرع في كل اتجاه إلى طرقات مظلمة. عُلقت في منتصف السقف أعجب ثريا رآها في حياته. كانت كبالون زجاجي عملاق متوهج. في مركزه دائرة نحاسية غامقة. فبدت كعين عظيمة.

أنشغل عمر بمتابعة المشاعل النحاسية عن الطرقات القصيرة التي دخل فيها الرقيب يمينا ويسارا. توقف لما شعر بالتيه: "إلى أين تأخذني؟"

ابتسم الرقيب:"لا تقلق ها هو المكتب!"

نظر عمر بفضول. كان باب المكتب مفتوحا. يخرج منه ضوء أبيض ثلجي. أنحنى الرقيب: "تفضل". نظر له عمر غير مطمئن.

"عمر داوود!. الأستاذ يريدك" قال الرقيب في وجل مشيرا إلى عمر.

"طيب تعال. خذ" قال صوت قديم مكتوم. اقترب الرقيب يبتسم في خجل. أخذ منه شيء صغير وبدأ يقبله بحب. " الله يبارك في عمرك يا عم داوود" دعا له. راقبه عمر بفضول. لكنه لم يهنأ بمعرفة ما أخذ الرقيب.

"أفندم!" قال الصوت القديم. انتبه عمر للرجل شديد العجز. كان جلده متراخي كورقة، وله لمعة مزيتة. قال مرتبكا: "أستاذ داوود. أهلا. أنا عمر.." نظر لورق الإرشادات " أنا عمر عبد اللطيف محمود غازي، آت إليك من طرف المستشار العصار.."

"آاااه" صاح داوود بصوت عال مبالغ فيه "نعم نعم نعم.." أشار لعمر بسبابته.. "أنتظر..أنت. أنت. أنت." ثم بدأ يبحث داخل الأوراق المكومة حوله. "آه.. ها هي.. خذ.."

fb/mashro3pdf

تناول عمر الورقة وقرأ:

السيد/عمر عبد اللطيف محمود السيد غازي

هذا إخطار منا إليك بقبول أوراقك ضمن تظلمات الشريحة الثانية من المواطنين المطبق عليهم الأحكام الخاصة بالانتقال الوقائي للرفيق الأعلى..

نرجو منكم تطبيق التعليمات الخاصة بإجراءات الشطب من القائمة الخضراء..

نتمنى لكم المزيد من التوفيق

السيد السيد السيد باهر

قطاع التنظيم السكاني

"سيدي!"

نظر داوود له ببراءة.

"ما معنى قبول أوراقك في الشريحة الثانية، وما هي القائمة الخضراء؟"

"من أنت؟"

حدق عمر فيه باستغراب.:"أنا..أنا.." نظر لورقة الإرشادات.."أنا عمر عبد اللطيف محمود غازي من طرف المستشار العصار.."

"آآآآه" صاح داوود بصوت عال مبالغ فيه "نعم نعم نعم.." أشار لعمر بسبابته.. "أنتظر..أنت. أنت. أنت." ثم بدأ يبحث داخل الأوراق المكومة حوله. "لكن أين ورقك؟"

"أستاذ داوود.. لقد أعطيتني الورقة لتوك!"

عبس الرجل، صاح في توحش:"وماذا تريد الآن؟"

fb/mashro3pdf

بُهت عمر. فكر:"أي مجنون هذا. سأذهب. ليس مهما أن اسأله. سأحاول معرفة التفاصيل من عمي. لكن عمي؟ سيصرخ في هو الأخر ويقول لي لماذا لم تسأل الموظف ثم يلعن في.."

"كنت أود فقط.. امم.. ما معنى القائمة الخضراء؟"

"قائمة خضراء؟" عبس. أشار له بحدة" أرني!". فأسرع عمر يشير إلى موقع الكلمة.

قرأ الرجل، بدا أنه فهم:"اممم. هذا يا عزيزي قائمة لأصحاب الشريحة الثانية، وهم الذين ليس لهم فرصة قوية ولا لديهم فرصة ضعيفة؟"

"بمعنى؟"

"بمعنى أن لديهم فرصة قوية في النجاة ولديهم فرصة قوية للهلاك!"

"......................"

"مالك ساهم؟" صاح الرجل في ضجر

"لم أفهم فرصة في النجاة من ماذا؟؟ أو الهلاك..؟"

"غير معقول!" صاح صيحته المبالغ فيها "هذا غير معقول! أنت غبي جدا.. ألست هنا من أجل ورق التظلم من الموت الحكومي المقرر عليك؟"

"......................"

"ها! أنت؟"

"......................"

"آه.. أنت مثلهم. تعال.. خذ.." أعطاه شيء صغير كالذي أعطاه للرقيب. "هيا اذهب.. هيا!" بدأ يدفعه بقسوة خارج المكتب.

نظر عمر عندما وقف في البهو مرة أخرى ليده. فوجد قطعة حشيش مكورة. قبض عليها برفق. ضم الورق إلى صدره؛ يقاوم قشعريرة سارت فيه بشدة.

fb/mashro3pdf

نظر لصورته مع والديه وأخويه. مروان وكريم. نظر في عيني أمه الصارمة. ألقى ملفه الجلدي الكبير بغضب جوار الصورة، فسقطت.

تأفف. أنحنى يلتقط الصورة. نظر بعتاب لها. فابتسم أبوه، وقال:"قلت لك أن الحياة ليست في الكتب والأوراق" نظرت الأم للأب بطرف عينها شزرا. تنهد عمر، ووضع الصورة مكانها.

ارتمى على السرير ونام.

fb/mashro3pdf

13- تبدأ بعد ذلك بالبحث عن تخليصات خاصة بالوزارات الرئيسية؛ وهي:

أ- وزارة رقم 1.

ب- وزارة رقم2.

ج - وزارة السكان

أما عن رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزراء، فلن أنفعك فيها بشيء. عليك أن تتبع الطرق التي ستطلب منك من هذه الجهات. وأحذر أن يقنعك أحد المحتالين بتزوير أوراقك.

"تزوير؟" قال عمر في نفسه "هل ستنقطع السبل إذًا ليحذرني من التزوير؟"

طوى ورق الإرشادات. تنهد. قال:"يا للشقاء. أين كان مخبئًا لي كل هذا الهذيان؟.. هل بالفعل كل هذا يحدث؟ هل يحدث في الواقع؟" خبط رأسه برفق براحة يديه. تناول كوب الشاي. يحتاج لسكر. وضع ملعقة. "الويل لهذه الحكومة، في كل مرحلة أنهيها من حياتي، لا بُد أن أكتب إخلاء طرف. حتى عندما يقرروا لي الموت. أكتب لهم إخلاء كي أنجوا"

"ويا سبحان الله، لهم مسميات رائعة. ورقة النجاة. النجاة من ماذا؟ مادام أن موتي سيكون من أجل الصالح العام، فلماذا يكون شطب هذا الحكم نجاة بالنسبة إليّ؟ وهل إذا نجوت، هل سيتضرر المجتمع؟ هل

fb/mashro3pdf

سيحزن الصالح العام؟" لكنه نخر "ماذا دهاك يا عمر؟ هل ستفهم في الحكومة ألأكثر من الحكومة؟"

رشف من كوب الشاي. نظر للشمس التي تغسل وجوه التلاميذ. تذكر مروان. ابتسم. "مروان يفهم عني. يقاوم أمي دائما. يكره المدرسة. اممم ليتني.. كنت مثله.. ياااه. كم مر من الأعوام عندما اشتريت قلما جديدا مرسوم عليه احتفالات بالألفية الجدية؟ كم مر من العمر على ذلك؟ " رشف من كوب الشاي "مر تقريبا كل العمر!" قال بحزن.

وضع كوب الشاي الفارغ جواره. نظر للورق:"سنبدأ بأي وزارة رئيسية؟...السكان إذًا"

قام. أخذ الملف الجلدي الضخم. نظر مرة أخيرة للشباك. رأى ثلاثة تلاميذ سمان يطحنون زميلهم النحيف جدا.

هز رأسه، وأغلق الستار.

fb/mashro3pdf

شارع السلاموني. أطول شارع في المدينة. حوالي 50 كيلو متر طولا. نزل عند محطة "السكان" أمام باب الوزارة مباشرة. وجد طابور طويل جدا أمام شباك جوار بوابة دخول المشاة. والناحية الأخرى، بوابة أخرى لأناس في بزات رسمية يدخلون بكسل.

أقترب من رأس الطابور عند الشباك. وجد فيما يبدو عشرة رجال يصيحون "الطابور يا أستاذ!" "لا ينفع يا أستاذا" "ألا ترانا يعني فتأتي وتتخطى أدوارنا في الطابور؟". لكنه تجاهلهم. ذهب للموظف عند الشباك، قال:" أنا عمر عبد اللطيف محمود غازي. من طرف السيد المستشار خالد العصار!"

دون أن ينظر إليه، قال الرجل بهدوء:"قف في الطابور يا أستاذ!"

عبس عمر:"أقول لك! أنا من طرف.."

صاح الرجل فجأة مقاطعا: "أعرف من طرف سيادة المستشار خالد عبد القادر العصار.. قف في الطابور يا أستاذ!"

امتقع عمر. نظر للطابور. وذهب ليقف في الخلف.

"ألم نقل أن تقف في الطابور؟" "اللهم عليك بالوسائط!" "هاه!" قال بعضهم

وقف خلف رجل قصير. ابتسم الرجل له وصافحه. ارتاح له عمر، سأله:"نجاة؟"

"يا رب" قال الرجل؛ فضحكا.

"لكن هل كلهم كذلك؟"

أومأ الرجل بظُرف.

"يا الله.. كلنا ميتون؟"

fb/mashro3pdf

"لا تقلق سننجو سننجو!"

"يا رب"

صاح أحدهم في مقدمة الطابور. ثم صاح آخر في وجهه. تدخل الأمن على ما يبدو. صفعات متتالية. جاء رجل من الأمام أغبر الوجه والمزاج. وقف خلف عمر. صاح: "لم يعد هناك أخلاق، ولا أي فائدة من هذا البلد!"

ابتسم عمر برفق:" قالوا لك الطابور! لم أعرف أن الحكومة ملتزمة جدا إلى هذا الحد؟"

ابتسم الرجل: "صحيح، منذ متى!" ثم عبس. قال في تردد: "رغم أني آت من طرف مسئول كبير!"

ضحك عمر:"نعم .. قلت لك لقد أصبحوا ملتزمون!"

شب الرجل القصير ينظر للرجل العصبي خلف عمر: "ما اسم هذا المسئول حضرتك؟"

قال العصبي بتردد:"المستشار خالد العصار!". حدق عمر فيه باستغراب.

ضحك الرجل القصير: "أتعرف هذا الطابور الطويل؟ كلهم قادمون من طرف المستشار العصار!"

التفت عمر بفزع للرجل القصير أمامه:"أتمزح؟"

ضحك الرجل، هز رأسه نفيا: "كلا والله. كلنا هنا من طرف المستشار العصار. كلنا جئنا على حسب إرشاداته الخاصة. أمس. كان يوم من جاؤوا من طرف المستشار سالم شاهين!"

"شاهين؟"صاح عمر

"نعم ، أتعرفه؟"

"لا لا.. سمعت عنه فقط؟" قال عمر. وابتلع ريقه وتمتم: "الله يخرب بيتك يا حاتم يا غازي!"

fb/mashro3pdf

جامعة العاصـمة

كلية الــ

شئون الخريجين 60

•

شهادة تخرج

تشهد كلية ال(ــــ)

أن السيد/ عمر عبد اللطيف محمود السيد غازي

المولود في المدينة الأخرى بتاريخ 1980/04/05

الذي يحمل بطاقة قومية رقم: ***********************

قد نجح في امتحان درجة بكالوريوس.

بتقدير عام ممتاز مع مرتبة الشرف (86.31%).

في دور مايو سنة 2000

وقد أعتمد مجلس الكلية النتيجة في 2000/6/30 ومجلس الجامعة في 2000/7/28 وقد أعطيت له هذه الشهادة بناء على طلب منه لتقديمها إلى الجهات المختصة

الموظف المختص	رئيس شئون الخريجين	أمين الكلية	عميد الكلية
مصطفى الزناتي	إبراهيم الشابوري	هويدا فتوح	أ. د عبد المنعم صبحي شندي

fb/mashro3pdf

لم يعد أمامه إلا ثلاث. يأس تمامًا من زيارة وزارة رقم1 و2. عزى نفسه بتعرفه على صديقيه. القصير والعصبي. القصير يدعى فرج محمود، والعصبي –والذي بدا أنه طيب جدا- يدعى هيثم الوكيل.

أصبحوا في المقدمة إذًا. والطابور خلفهم استطال. جاء شباب آخرون. وكلهم من طرف المستشار العصار.

طوال النهار ذهب الشباب ورجعوا لأماكنهم في الطابور التي يحجزها لهم زملائهم؛ فلا يتعدى أحد على مكان أحد. يذهبون للحمام، لشراء شيء للأكل أو ماء. بعضهم يذهب للصلاة. ثم يعود لمكانه الذي حدده بمن وقفا أمامه وخلفه. إلا أن عمر لم يتحرك قط من مكانه. راوده دائما هاجس أنه سيفوت دوره أمام الشباك إذا ذهب ولو لربع ساعة. فكان يحجز مكان فرج أو هيثم الذين تطوعا بشراء شيء له. "الموضوع حياة أو موت إذا تأخرت دقيقة قد يفوتني الدور. تأخرت منذ أيام على عمي، ففوّت فرصة المستشار شاهين. كان أفضل لو أتيت أمس عن اليوم! ماذا لو كان هذا اليوم الضائع المهلة التي تنزع رأسي من تحت المقصلة؟" نظر على يساره. وقفت عربة آيس كريم على ناصية شارع فرعي. تذكر عندما كان أبوه يخرج يلعب معه في الحديقة العامة كرة. هو وأبيه فقط لا أحد أخر. لم يكن له أخ حينها. "منذ متى كان لدي أخ؟ منذ متى؟ كان دائما أبي صديقي. كان مروان عندما وُلد كابني. لم يكن لي أي أخ قط. ممكن كتابي ودراستي! هه! لكن وبعد!" نظر باستياء للطابور خلفه. شعر بغضب ما ينمو كفسيلة بين جوانحه. زفر. "سأنجو من هذا الهراء العبثي وأهرب خارج هذه الأرض الغادرة!" ارتعشت فسيلة الغضب. وشعر بحذاء ثقيل يسحقها. ارتجف. أشفق على نفسه. كان يحب دائما الفانيليا. لم يكن يطلبها. فقط ينظر للعربة فيبتسم الأب. وتعبس الأم تقول:"سيمرض!" لكنه في النهاية يحصل على الفانيليا!

fb/mashro3pdf

مر بجوار عربة الآيس كريم، أستاذ شوقي ابن عم منصور يسحب خلفه طفل تائه الملامح. وقع قلبه في معدته. التفت ليمينه يتخفى من شوقي. "لا ينقصنا إلا أن يُفتضح أمرنا في الشارع! سيتكلم الرجل وامرأته لتنقله إلى جارتها ثم جارة جارته فصديقتها فالقهوة وأصبح حديثهم ليل نهار، وتتأصل نظرة الشفقة في عيونهم!" تحرك لليسار قليلًا. رنا ببصره ناحية الرصيف. اختفى شوقي وطفله. التفت بكل رأسه في تردد. "ذهب!" أصابته راحة. لكنه تذكر عم منصور وأحواله الغريبة.

قلق في سريره ليلة أمس. فقام شرب. حاول أن ينام مرة أخرى لكنه فشل. ذهب ونظر من النافذة. وجد عم منصور يقف خلف برميله المعتاد، ويراقب الشارع. أرعبه منظر الرجل. "جُن الرجل!". كانت حجرته مظلمة، فلم يلاحظ عم منصور أنه يقف خلف النافذة. تمايلت أغصان الشجر في الشارع بليونة. حف الشجر بسحر كأنه يتهامس. نظر عم منصور حوله في قلق للأغصان. ثم عاد يمسك البندقية بشدة. ظل عمر يراقبه مدة ليست قصيرة، حتى شعر بالتعب فعاد للنوم.

تحرك الصف أمامه، تحفز عندما وجد أن فرج هو من كان عليه الدور. تابع الموظف وهو يقلب في أوراق فرج بحاجبين ثقيلين من العبوس. لم يستغرق لحظات ووجد الموظف يهمهم بقرف لفرج، ويعطيه الورق. اتسعت عينا عمر في قلق.

نظر فرج للموظف بغضب: "ما يعني هذا؟"

"يوجد إخلاء طرف ناقص!"

"يعني؟"

"يعني أن تذهب وتأتي بورقة إخلاء الطرف مختومة من الوزارة!" قال بنفاد صبر

"هل تعني أنه بعد كل هذا التعب والأوراق والوسائط وكل هذا الهراء تقول لي أن أبدأ من الصفر؟ تبا لكم!" صاح فرج

fb/mashro3pdf

"عيب عليك يا أستاذ. أنت تحدث موظف حكومة. لقد كررنا التنبيه أنه لن تُقبل أي ورقة من دون ورقة إخلاء الطرف الموثقة من الوزارة!"

سأل عمر الرجل وهو يقلب في أوراقه: "ما شكل هذه الورقة!"

أشار له الموظف بنموذج في كراهية واضحة.

"ليست معي.." همس عمر

"ولا أنا" ردد هيثم قلقا

أمسك الموظف الميكروفون بغضب: "أي مواطن أمامي الآن لا يحمل نموذج إخلاء طرف موثق من وزارة رقم 2 فليعود لأمه. أسمعوا يا حفنة الحمقى. هذا الشباك يستقبل المئات من أمثالكم كي يساعدهم على النجاة من مصيرهم الذي اختاروه بتكاسلهم ونومهم حتى الظهر. من لم يأتيني بورقة إخلاء الطرف، فلا إمضاء له عندي!"

"هيا.." همس هيثم

ساروا واجمين. حتى أنهم مروا جوار عربة الآيس كريم دون أن يروها.

fb/mashro3pdf

قابله على أول الشارع عم منصور يجر خلفه جوال أبيض كبير. تراجع عمر للخلف قليلًا كيلا يراه. لكن الرجل مر من جواره دون أن يلاحظه. نظر عمر للجوال المهترئ. وجد رأسين كلبيتين مشوهتين بالدم. فزع للخلف واختفى وراء شجرة. تابع الرجل وهو يسير، والجوال يتبعه خط طويل من الدماء.

ركض عمر من خلف الشجرة يدخل الشارع. تمتم ويده تقبض على فمه: "كيف سيكون ثأر الكلاب؟ كيف سيكون ثار الكلاب؟"

fb/mashro3pdf

-16-

وزارة رقم 2

الجنزال لا ينسى كلابه*

" ما هذا؟" صاح عمر منزعجا

"ماذا هناك يا عمر؟" نظر فرج ناحية اليافطة التي تتصدر واجهة وزارة رقم 2 بشارع الفنجري.

"اقرأ..اقرأ يا فرج.."

عبس فرج. دقق:"ماذا هناك يا صاحبي.. شعارهم المعتاد!"

حدق عمر فيه بذهول:"المعتاد؟"

"نعم.. نعم.. هيا هيا ليس أمامنا وقت نضيعه. أين هيثم. هيثم"

"نعم.. نعم.." جاء مهرولا.."لم أفطر " قال مبتسما وهو يحشو فمه بالبسكويت.

"إذًا هيا.." قال عمر مغمومًا.

اتجه الثلاثة لجندي الحراسة بخضوع. بدأ فرج: "السلام.."

قاطعهم الجندي:"ها؟ خير!"

"نريد.. نريد.. أن نستخرج بعض الأوراق!"

"أوراق؟ أي أوراق" سأل كارها

"إخلاء طرف.."

"إخلاء طرف؟"

---

* هذه الجملة مقتبسة من رواية "عو" لإبراهيم نصر الله

fb/mashro3pdf

قال هيثم بتماسك: "نعم..إخلاء طرف.."

"هل كنتم تعملون هنا؟"

"لا"

"إذًا لماذا تريدون إخلاء طرف؟" صاح الجندي

"ايه..ايه... تعرف؟ نحن نريدها لأجل صحيفة النجاة.."

"صحيفة؟" صاح، وشد أجزاء السلاح في وجوههم.

صرخ عمر:" لا لا لا. نحن نريد إتمام أوراق شهادة النجاة. شهادة نجاة وليس صحيفة."

هدأ الجندي:"شهادة..آه.." عبس "لكن ما هي شهادة النجاة تلك؟"

اقترب هيثم برفق، وقال بلين:"نحن محكوم علينا بالموت.."

قاطعه الجندي، شاهرا سلاحه:"أنتم محكوم عليكم بالإعدام وتقفون أمامي..آه يا مجرمين يا أولاد الكلب؟" ثم صاح.."أمامي.."

"يا عم.." استجداه فرج

"أخرس.." ثم أطلق رصاصة في الهواء. تجمع حولهم درزينة من الجند

"ماذا دهاك يا "ساعد"؟" سأل أحد الجند

"مجرمون.." صاح ساعد

هدر الجند بإثارة: "مجرمون!"

"نعم! أمامي.." صاح، ثم ساقهم أمامه ببندقيته.

"يا للمصيبة. سنضيع. سيضيعنا هذا الأخرق." فكر عمر "هل ستكون النهاية في بداية طريق النجاة؟يا ربي.. كنت أترقب مصيرا أفضل." مسح جبهته الصفراء.. "استغفر الله العظيم استغفر الله العظيم..النجاة يا كريم!"

fb/mashro3pdf

وصلوا إلى بهو ضعيف الإضاءة مزدحم عن آخره. ساروا وسط حلقة من الجنود الذين تقدمهم ساعد. تابعهم كل من في القاعة باهتمام. اقتربوا من حجرة عتماء. خشي عمر من أن يدخلوا هذه الحجرة. لكنهم اقتربوا جدا منها. قال في استجداء: "إلى أين؟"

"إلى غرفة الإعدام" قال ساعد بكل قسوة.

"إذًا هذا هو اليوم.. خدعونا، ولم يعد أمامي سوى هذه الخطوات وأنتهي من كل الأمر. آه كانت حياة! حياة بشكل ما." قال عمر في نفسه وهو يتلفت جزعا حوله "رغم أنه كان عندي أمل بشكل ما في النجاة، لكن ليس الأمر إذًا بالسهولة التي ظننت، وكانت الحكومة جادة. لم تمزح لم تمزح قط!"

صاح فرج بنفاذ صبر: "يا خلق الله. ارحمونا من هذا الجنون! نحن غير مجرمين. نحن فقط جرائيم في رأي الحكومة تريد إبادتنا!"

"أصمت يا فرج، لماذا تصرخ. ألا يكفينا قلق. دعهم ينتهوا من الأمر. لقد قررت الحكومة. وليس علينا سوى الانصياع.." فكر عمر. ولم يعرف هل سمعه فرج أم لا.

ربت جندي على صدر ساعد: "بطل يا ساعد..الجنرال دائما يحذرنا من الجرائيم.."

"ليس هناك فائدة.. سنموت.."فكر عمر بحزن

"آااااه.."صرخ فرج دون توقف "ااه"

"ماذا هناك؟" صاح صوت شكيم من اللاشيء في كل المكان. فانكتم له البهو.

نظر الجنود حولهم في خوف. قال ساعد بعد طول صمت: "سيادتكم.. سيادتكم هؤلاء مجرمون!"

fb/mashro3pdf

نظر ثلاثتهم حولهم. "من أين يأتي الصوت.. لمن الصوت؟ القدر؟" فكر عمر وقد جف جوفه.

"ما جرمهم؟" سأل الصوت بطبقة عليا تملأ المكان كأثير شبحي، أصاب الكل بقشعريرة.

صاح هيثم مرتاعا: "سترك الله، لا جرم علينا سيدي.. نحن.."

"أخرس!" هدر الصوت فوقع هيثم. "ائتوني بهم!" همس الصوت

"أعرف أنه صوت الموت ذاته، أنا لا أفق من مصيبة إلى أقع في أنكى منها. هذه النهاية المأساوية يا عمر يا عبد اللطيف.." تمتم عمر، وهو يشعر بجسده يرتفع لأعلى بين سواعد الجند التي قرقعت أسلحتهم وهم يحملونهم، كجثث تساق إلى قبر!

ظلوا يصعدون. السلم الحلزوني يرتفع بهم. ويد عمر اليسرى ملقاة ميتة جواره تلامس خوذة أحد الجنود. بينما الأخرى تقبض بشدة على الملف الجلدي.تمايلت الدنيا أمامه. سقط الملف. سقط قلبه معه. وجد نفسه ملقى على أربع، ملفه مفتوح أمامه، وزميليه جواره يلهثان. وأمامه ممر شاهق البياض.

"تعالوا!" همس الصوت

انتصبوا. أحتضن عمر الملف. كان هناك قطعة ذهبية معلقة على الباب مكتوب عليه بالعقيق:

الجنرال

fb/mashro3pdf

انتهى من جسدها الأبيض اللين. قبل رقبتها مرتين. تنهد. جلس يبتسم برضا. أشعل سيجارة. دقت الساعة على الكومود بصوت مسموع. نظر لها بكره. سحب نفسين. تك تك تك. "ما فائدة هذه الساعة؟" نظرت إليه وابتسمت، ابتسم لها "ألم تتخطى الربع ساعة بكثير!" ضحكا برقاعة سحب نفسا طويلا. أخذ الساعة وألقى بها في صندوق القمامة تحت الكومود، ألقى خلفها السيجارة. ثم أنقض مرة أخرى عليها. ضحكت بميوعة "يا حاتم نام!"

fb/mashro3pdf

"عمر!"

"أمي!" رد مرتبكا على الهاتف

"يا وغد يا خائن! لم يعد لك أم بعد أن ذهبت للعاصمة! بئسك من 70
كلب حقير. يا خسارة كل هذه السنين. أيها الضال العاق، ألا تعرف أن لك أما وأخوين. أحدهم شيطان الأخر رضيع..."

"أمي.." همس

"أبوك أفسدك.. أفسدك ورحل.. ترك لك الحبل على الغارب.. وها أنت قابع كالنساء في العاصمة ترعى من ميراثه ومساعدات عمك..ألا تخجل.."

"أمي.." همس

"لست أمك.. أنا لم أنجب.. حتى مروان.. لا يبشر بخير.. الله يعوضني في كريم..الله يعوضني في كريم.."

"أمي.." همس

"ماذا تريد؟" صرخت

"أنا أموت.."أختنق

"ماذا؟" لم تفهم

"أم..أم..أموو..." ثم طفر يبكي..

fb/mashro3pdf

"شهادة النجاة من الإعدام الحكومي!" قال الجنرال السمين ذو البذلة البيضاء والشارب الكث المصبوغ. قال في طرب بعد أن استوعب أوراق ثلاثتهم

"والله يا نيافة الجنرال كدنا نقبل أقدامهم حتى يسمعونا، لكنهم..." تباكى فرج

"نعم. نعم.. أعرف أن رجالي لهم حماسة عظيمة.."

"............"

"أعرف..أن رجالي لهم حماسة عظيمة.."

".........."

نظر إليهم. كانوا منكسو الرؤوس.."أعرف.. أن.. رجالي.. لهم.. حماسة.. عظيمة.." وعبس

نظروا لبعضهم البعض. أومأوا بخضوع

"لماذا لا تردوا؟" صاح وقد توهجت رأسه الكبير

"نعم نعم نعم.. سيدي.." "إنهم رجال الأمن الذي نطمئن بهم" "نعم نعم.. نعم" " إنهم رجال..الاطمئنان.."تلعثم ثلاثتهم

"ماذا تقولون؟" نظر لهم ممتعضا ثم عاد للورق "ماذا تعملون؟"

"................"

عبس: "لن تردوا؟"

"عاطلون!" صاحوا

انتفض واقفا: "لماذا؟"

fb/mashro3pdf

"ستعدمكم الحكومة عن قريب..أخشى عليكم!"

نظروا لبعضهم البعض في خوف..

"لكن.." قال أحدهم

"ماذا؟.." صرخ

"..............."

"ماذا؟.." صرخ

"..............."

"ماذا؟.." صرخ

نقر الباب..

"أدخل!" صاح الجنرال. فُتح الباب. فابتسم "أهلا العقيد عشماوي!"

"سيادة الجنرال!" جاء صوته محايدا.

"تفضل.. تفضل.. قل لي أتعرف ما هؤلاء الأوباش؟.."

"عاطلون؟.." أجاب العقيد باستمتاع

"نعم.." قال الجنرال وهو يعبث بشيء على مكتبه

"مطبق عليهم إذًا الموت الحكومي، ويريدون إخلاء طرف!"

"نرجوك يا سيدنا أن..." هب ثلاثتهم

"مكانك!" صرخ العقيد بوجه كالح مظلم. وسترته السوداء ملتصقة بجسده القوي.

"مكانك يا آفة المجتمعات.. يا عُطّال يا بُطّال، يا لمامة الأجيال. هل تنتظرون نجاة. نجاتكم كنجاة عرسة من تحت كلب."

انفجر الجنرال ضاحكا.."يا للعقيد عشماوي كم هو ظريف!"

fb/mashro3pdf

ابتسم العقيد "لكن سيادتك ما أقوله صحيح! الكلاب هذه الأيام تقوم بعمل قومي. إنها تقهر بنات عرس بكسر عيونهن. قل لي ما فائدة العرسة في الحياة؟"

قال الجنرال بين العبوس والضحك:"لا أعرف إلا أنها تأكل الكتاكيت!"

جلس العقيد "وتدمر الثروة الداجنة. التفريخ شيء مهم لنا في المجتمع. لذا فوفاء الكلاب تخلصنا من ذلك. فأي عرسة في الكون تستطيع أن تفترس كتكوت بعد أن يأتيها كلب؟ كيف ستنظر في عين الكتكوت وهو ممتلئ شماتة فيها؟"

قال الجنرال: "صحيح.. بارك الله في الكلاب!"

"نعم.. نعم.." ثم نظر بمكر للثلاثة "أيكم رأى كلبا ينكح عرسة؟"

"................"

"أصُم هم؟" سأل الجنرال وهو يشير إليهم، فأجابه عابسا: "هم لا يجيبون دائما!"

"اممم... سنرى الآن هل يسمعون أم لا! أنت!" دفع كتف فرج.

"سيدي!" صأصأ فرج

"أرأيت كلبا ينكح عرسة؟"

"لا لا لا أبدا.."

"و أنت؟" سأل عمر

"............"

"لا ترد!" أمسك أذنيه بشدة ورجرج رأسه بعنف "أرأيت كلبا ينكح عرسة؟"

fb/mashro3pdf

"أرأيت كلبا ينكح عرسة؟"

"............. سيدي.."

"أرأيت كلبا ينكح عرسة؟"

دمع عمر "رأيت رأيت يا بن البلهاء رأيت، لكن ما يضمن أنك لن تتحول لكلب إن قلت لك نعم؟" فكر عمر "هلا أخرجت مسدسك وأطلقت على رأسي طلقاته الست، نعم هذا أفضل، هذا أفضل، سحقا لك أذني يا بن العاهرة. أذني.." "آه آه آه.."

"ماذا؟" سأل العقيد بحدة

"ماذا؟" همس عمر ببكاء

"قلت نعم؟"

هز رأسه نافيا

"لقد قلت آه.."

أشار عمر لأذنه. ثم مسح عينه.

"عجيب!" قال العقيد وهو يجلس مرة أخرى "عجيب أنهم لم يروا هذا!"

"لماذا؟" سأل الجنرال باهتمام

"لا يرى هذه الغرائب إلا العاطلون.."

حاول الجنرال يفهم. لكنه أمرهم بالانصراف.

fb/mashro3pdf

فتح الشباك بقلق. أستاذ شوقي يصيح في أبيه عم منصور. وقفا خلف البرميل. يفحصا يد عم منصور. لم يكن أحد يراهم سواه. الشارع نائم.

"ألم أقل لك أنك كبرت وخرفت.. كفى عبثًا مع الكلاب، سيبلغون عنك المصحة العقلية!"

"اصمت يا ابن الكلب، أنت لا تفهم شيئًا!"

"لا أفهم، أفهم. لا يهم، ها أنت مدرج في دمائك، الكلب عضك ويجب أن نذهب للمستشفى!"

"وهل رأيت كلبا يعض يد صاحبه من قبل!"

"وهل أنت صاحبهم" صرخ شوقي "أنت تقتلهم يا رجل يا مُخرف!"

"أنت لا تعرف ماذا يفعلون!"

"ولا أريد أن أعرف، هل أهتم بحفنة من كلاب الشارع، يا حاج الله يهديك، تعالى، لا بُد أن نذهب للمستشفى"

"لا!" صرخ عم منصور "أنا لست مريضا!"

"يا حسرتي! يكفيني هم الولد المريض، تأتي أنت كي تحملني فوق طاقتي، يا عم عُد لمدينتنا لابنك محمود يحملك عني قليلا!"

"آخ يا ابن الكلب، تريد أن تلقي بي مرة أخرى هناك بعد أن جئت بك وعيالك إلى هنا!"

"يا عم لا تقرفني، سأتصل بمحمود يأتي يأخذك معه المدينة الأخرى، أولاده سيفرحون بك، خاصة صابر!"

"آه يا وسخ يا ابن الكلب!"

"يا عم هيا على المستشفى، وهات هذه البندقية، ستأخذنا كلنا خلف الشمس الله يهديك!"

"لا.." صرخ في وهن

"هيا" وسحب أبيه

fb/mashro3pdf

وزارة رقم 2

الجنرال لا ينسى كلابه

"عمر.. عمر.. عمر.." صاح فرج وهم خارجون.." ما هذا؟"

"ماذا ؟" سأل بغضب

نظر لليافطة "ماذا بها؟"

"ألا ترى ما هو مكتوب؟"

"ألم أقل لك أن هذا كان مكتوبا قبل أن ندخل" ونظر للمبنى بكره

"كلا.. لقد لم يكن!"

"كلا.. كان دوما مكتوبا.."

" لا لقد بدلوها!"

"بماذا؟"

"كان مكتوبا: الأمن في خدمة الأمة!"

فتح عمر فمه. وسبقهما يضحك بهستيرية.

fb/mashro3pdf

"ألم أقل لك ألا تدخلني في موضوعك هذا؟" صاح العم حاتم من الهاتف الجوال.

"لكن يا عم.. كل شيء متوقف على إخلاء الطرف هذا.."

"ألم يخبروك أن تأخذه من وزارة رقم 2؟"

"نعم.. وذهبت هناك، وطردونا. لم نحصل عليه.."

"أذهبت تطلبه من الوزارة نفسها؟" سأل العم مذهولا

"نعم.."

"غبي.." صاح "منذ متى ويتم شراء المستندات من داخل الوزارة؟"

"إذًا من أين أشتريها؟"

"من أي كشك سجائر في محيط الوزارة.."

"كشك؟"

"نعم.."

"كشك سجائر؟"

"نعم.." صاح العم " هيا... سلام.."

سار عمر صامتا ناحية صاحبيه. "ماذا هناك؟" سأل هيثم. لم يرد. سحبهم، سار بهم حتى وصل لأحد الأكشاك. "ثلاث استمارات إخلاء طرف لشهادة نجاة.."

"تفضل" أعطاه البائع بملل "خمسة عشر جنيها

أخرج كل واحد منهم خمس جنيهات.

عادوا لمنازلهم.

fb/mashro3pdf

صفحة 1

وزارة رقم 2
قطاع رقم 1
قسم المواطنين

15/ 7ب / ط5
ت 13 هـ
تاريخ: / /

78

شهادة إخلاء طرف للنجاة

م	جهة	اسم المسئول	التوقيع
1	وزارة رقم 1		
2	وزارة رقم 2		
3	رئاسة الجمهورية		
4	رئاسة الوزراء		
5	وزارة السكان		
6	وزارة التموين		
7	وزارة التربية والتعليم		
8	وزارة التعليم العالي		
9	وزارة الصحة		
10	وزارة المالية		
11	وزارة الري والمياه		
12	وزارة الثقافة		
13	وزارة العدل		
14	وزارة شئون مجلسي الشعب والشورى		
15	مكتب الشياخة		
16	المحافظة		
17	مكتب الحكم المحلي		

fb/mashro3pdf

صفحة 2

اسم:

تاريخ وجهة الميلاد:

الرقم القومي:

اسم الأب:

اسم الأم:

عدد الأخوة وأسمائهم:

اسم الزوجة:

الأولاد:

فصيلة الدم:

العنوان:

الهاتف:

أقر أنا ________ بأن البيانات أعلاه صحيحة، وأي خطأ فيها أنا مسئول عنه، ويعتبر تزوير في أوراق رسمية يقتضي المسائلة القانونية.

المقر بما فيه

___

fb/mashro3pdf

تك تك تك تك تك

كان يحدق في بندول الساعة الخشبية. لا صوت آخر سوى بعض قطرات الماء التي تسقط كل فترة من صنبور الحمام. "الجنرال، ساعي البريد، داوود، العقيد، موظف الحكومة الذي ضربني على قفاي، كل هؤلاء الموظفين الذين وقعوا على إخلاء الطرف.. كل هؤلاء خطأ؟ كل هؤلاء خطأ؟ هل نظام الحياة الذي يتحرك بين أصابعهم الملطخة بالحبر خطأ؟" تنهد "بالطبع لا.. كل هذه الدولة وكل رجالاتها ليسوا مخطئين.. نعم.. هل كان علي أن أدرس وأسمع كلام أمي.. هل كان علي أن أطرق سبيل كل أطفال المدارس المتفوقين؟ هل كان عليّ أن أعمل بشهادتي؟ لماذا لم أعمل حارس عمارة كما نصحني عمي؟ لا أفهم لماذا التعنت؟ أمي وقد نبذتني، فهل أخشى غضبتها عندما تعرف أني أعمل حارس عقار مثلا؟ لكن لماذا أعمل؟ صحيح لماذا يعمل الناس؟ لم اسأل الجنرال! لكن الجنرال كان سيقول ليحفظ الأمن.. حقه.. لكن أنا لماذا اعمل؟ نعم، تذكرت. كي أتزوج.. ها! أتزوج.. ولماذا أتزوج؟ كي أنجب أطفالا سيُحكم عليهم ذات الحكم بعد سنين! أتزوج؟ كل البلهاء تزوجوا! وكلهم أصبحوا موظفين ذوي كروش. كل هذا لماذا فعلا؟ من أجل الذرية؟ أم من أجل النساء؟ النساء! أظن عليّ أن أتعلم من حاتم غازي كيف أصول وأجول بين النساء! هل علي أن أتزوج النساء كي أنعم بهم؟ " تنهد "أستغفر الله العظيم!"

جرى على يده شيء، نظر بحدة نحوه. كانت نملة، تركها تصعد على يده، وراقبها. صعدت صعدت صعدت صعدت. وصلت لرقبته. أذنه. أمسك بها قبل أن تدخل أذنه."ماذا تريد أن تقول هذه المجرمة؟" سحقها بإصبعين. "نحن مثل النمل! لكن النمل يعمل! لكنه يُسحق! فما بالك يا عمر برجل مثلك! لا يعمل! أنا قلت أنهم على حق، كلهم على حق، والقانون على حق، لا بُد أن أسحق كالنمل!" شعر بأخرى تمشي على يده! نظر إليها عابسا. "من أين تأتون؟" دار بعينه قليلًا رأى القليل

fb/mashro3pdf

عند الساعة، نفخ في النملة.

قام نحو الأوراق التي رتبت ببراعة بجوار ملفه الجلدي التاريخي. أخذ يقلب كل ورقة إفادة ملحقة لتوقيع الموظف المسئول عن الوزارة، ثم يعيد قراءتها. تذكر كل موظف، كيف كان أحدهم لطيف، والآخر سيئا عطله أيام. كان الورق مشوه بلطع الحبر والأختام الكثيرة.

"إنجاز" ابتسم لنفسه. لكنه سرعان ما عبس "لكن وماذا بعد؟ ماذا بعد النجاة؟ هل سأعمل؟ وأذهب إلى أمي ومروان وكريم! سأعمل حارس عقار؟ نعم، سأعمل عند عمي حاتم حارس عقار! قد أنجح حينها في إغواء خادمته ذات الجسد القاهر!

قاطعه طرق شديد على الباب.

هرع. فتح الباب. لا أحد. جال ببصره. وجد خطاب على عتبة الباب.

فتح الخطاب.

ازدرد لعابه.

"لم يعد أمامي سوى أسبوع! أسبوع!"

أغلق الباب. أرتجف. سار بسكون نحو الملف الجلدي. وضع الخطاب بهدوء وسط الأوراق.

أمسك رأسه. "أسبوع" شعر بضيق في النفس "فكرة أن تموت بعد أسبوع ليست جيدة نهائيا!" ضحك نصف ضحكة، ثم بكى فجأة بكاءً مكتوما.

فتح الشباك.

تبخر نشيجه على زجاج الشباك. مسح عينيه. توقف عن البكاء. وطالع كلبا ممدا على ظهره، كل قدم في اتجاه. وجهه يتحرك باستمتاع. يهر في غنج. كان عند مؤخرته قطيع من العرس تلعق ذيله، فخذيه، مذاكيره، شرجه، يلعقون يلعقون يلعقون، يمصون ذيله. وهو راض مستمتع.

نخر عمر يهزأ. ثم أكمل بكاءه.

fb/mashro3pdf

"هذه البلد لا تستحق سوى عود ثقاب واحد، وبئر نفط. وأحرق!" قال وائل وهو يسحب نفسا من النارجيلة.

02 "نعم والله، ليس هناك أمل، نعمل ونعمل ونعمل ونكد، نأكل ونشرب ونخرأ، ولا أمل " تمتم محسن

"ماذا تنتظر من قوم نائمون على بطونهم.. لا شيء" صاح رفعت

"نعم. والحكومة! ماذا تنتظر من الحكومة ترى شعبا ساذجا نائما على بطنه ليل نهار، إلا أن تخلع السروال وتضا.."

"اخرس!" صرخ عمر مقاطعا يحيي. نظر أصدقائه له باستغراب

"هاه.. أي وطنية نزلت عليك يا ابن عبد اللطيف؟" ضحك وائل والدخان يفوح بالتفاح.

"لا؟؟ ليس وطنية.. لكن ليس هذا التشبيه. لا أحب هذه التشبيهات!" قال بقرف

"ليس تشبيه جيد، لكن أليس صحيحا؟" سأل يحيي بخبث

"لا" صاح عمر، فنظروا له باستهجان

"غريب أنت يا رجل، وكأنك لا تعرف أن الحكومة تطأ الشعب" حرك يحيي يده بحركة وقحة

"اصمت اصمت اصمت اصمت.."

"لا حول ولا قوة إلا بالله. أنت بالذات تعرف ذلك! " قال وائل

"نعم!" صاح يحيي متذكرا "ألست من الميتين؟ "

"لا" صاح عمر بخوف "أمامي أسبوع!"

"أسبوع! ويقتلوك!"

fb/mashro3pdf

"........."

"وأنت تسعى في الأرض كي تحظى بختم من هنا ومن هناك كي تنجو!"

".........."

"وبعد ذلك؟ ماذا ستفعل؟ هل تعتقد أنهم سيتركونك؟ كلا سيضعونك في خطة الإعدام الحكومي الثانية، مادام وضعوك في الأولى سيضعونك في الثانية!"

"على الأقل أعرف كيف أنجو مرة أخرى.."

"ها ها ها.. لو عرفت في الأولى.." ضحك سيد ثم قال بشفتيه بلا صوت: "سيضاجعونك.." ثم وهو ينّصب إصبعه الوسطى "كما سيلف علينا الدور!"

انفجروا ضاحكين. بينما تقيأ عمر.

fb/mashro3pdf

وزارة رقم 1

صفر الريح حولهم.

وقفوا أمام الوزارة رقم واحد. كانت في شارع خال تمامًا. على جانبيه صحراء. والهواء يعبث بكل شيء.

طرقوا البوابة الجانبية السوداء.

خرج حارس أسمر عابس:"أفندم؟"

"توقيع استمارة إخلاء الطرف الخاصة بشهادة النجاة.." قال عمر بوضوح

هز الحارس رأسه ببطء، راقبهم ببطء. بحذر. ثم سأل "أي منكم خدم!"

"أنا!" رفع عمر يده بلهفة

"تعال" أشار إليه الحارس برفق "قف هنا." فوقف

سأل فرج: "أنت؟"

"لا.."

"لماذا؟"

"أعيش مع أمي فقط"

"اممم نعم نعم.. لكن من هم في حالتك لا يصدر ضده أحكام إعدام حكومي قط؟"

fb/mashro3pdf

"كيف؟" سأل فرج مدهوشا

"هو ذلك..أرجع إلى فرع المديرية رقم 2 الذي تتبعه، سيعطونك ورقة شطب. هيا توكل على الله.."

تورد وجه فرج.. حاول احتضان الحارس، إلا أنه ردعه بنظرة قاسية.. فخبط فرج الأرض بقدمه وحيا الحارس، وعاد أدراجه متقافزا.

"وأنت؟" سأل هيثم

"........"

"أنت؟" أرتفع صوته

"لم.. لم أخدم!"

ضيق الحارس عينيه في حذر: "لماذا؟"

"لم يقع علي اختيار.."

"لماذا؟"

ازدرد لعابه: "لا أعرف.." همس

"لا تعرف؟"

"لا أعرف..!" نظر هيثم بخوف

"كلب!" همس الحارس

"ماذا؟" صوصو هيثم

"كلب!" زأر الحارس، هوى بيد ثقيلة على وجه هيثم، فسقط مرة واحدة كلوح خشبي.

"ارجع يا بن الفاجرة، وانتظر تابوتك..ارجع!" صاح الحارس. ثم التفت إلى عمر "ورقك!"

"هذه شهادة الخدمة، شهادة الميلاد، البطاقة، رخصة القيادة،

fb/mashro3pdf

هذه.. وهذه أيضًا..”

ضحك الحارس ”رائع، أين إذًا ورق إخلاء الطرف هذه؟”

”ها هي..”

”وها هي الإمضاء.. وها هو الختم”

تلعثم عمر بكلمات الشكر، بينما دخل الحارس مرة أخرى. وأغلق الباب.

”لم يعد سوى ختم الوزارة رقم 2.. الله يستر..” تنهد. ثم عاد أدراجه يتقافز فرحًا.

لكن واجهه كلب عملاق.

تسمر مكانه. جرى الكلب نحوه. فسقط على ركبتيه. أغلق عينيه، لما زأر الكلب أمامه.

لكن الكلب حف به، وتخطاه.

نظر خلفه في رعب.

الكلب ينهش هيثم.

ارتاح قليلًا. وقف. سار قليلًا وزمجرة الكلب تعلو وهو يمزق هيثم. شعر بالملف الجلدي ينزلق من يده. فاجتاحه رعب مفاجئ. نظر لكفيه. ”يا ويلي، سيبتل الورق بالعرق!” جفف يده في ملابسه، تأكد من الأوراق. أمعن النظر في ختم الحارس. ابتسم. ابتسم. ضحك. تقافز. حتى وصل للمنزل.

fb/mashro3pdf

وقف أمام الباب الأخير. باب أستاذ عرفات. "أخيرا. الختم. الختم الأخير.." طرق الباب، ودخل.

كانت الحجرة مرتبة جدا، بها أدراج كثيرة تصل حتى السقف. جلس أستاذ عرفات خلف مكتبه الذي تصدر الحائط الرئيس للحجرة. شاب وسيم في بزة رسمية. يفوح منه عطر نفاذ.

"السلام عليكم.." ابتسم له عمر

"وعليكم السلام.." رد الرجل مبتسما

"أريد أن أختم إخلاء طرف شهادة النجاة من حضرتك!"

"آه طبعا. طبعا." ثم مد يده يطلب الورق.

قلب في الأوراق: "نعم نعم نعم.." هز رأسه في استحسان. حتى وصل لورقة الإخلاء.

عبس.

"هذه الورقة غير مختومة.." قال

تبدلت ملامح عمر، قال بحزم "كيف؟" نظر في الورقة بيد أستاذ عرفات "وما رأيك بكل هذه الأختام؟"

"آخ لا أقصد هنا.. أقصد.. هنا.." وأشار أقصى الورقة أسفل اليسار.

قرب عمر الورقة. قرأ الموقع المشار إليه. وجده مكان توقيع لم يراه من قبل.

سأل بخوف "توقيع من؟"

"الكبير.."

"الكبير؟" سأل مخنوقا

fb/mashro3pdf

"نعم!" رد بأدب

"لكن من؟" بُح صوته

"الكبير..احم.."

"لكن من أين يأتي ختمه.."

"المشكلة ليست في ختمه الآن. المشكلة أنه يستحيل أن تحصل على هذا الختم.."

جلس عمر مصدوما.. "لم!"

"هذه الورقة لا بُد أن تحصل عليها مختومة.."

"لكن.. لكن أنا اشتريتها هكذا، وكل الموظفين وقعوا عليها دون مشكلة..!" سال على حاجبه قطرة عرق كبيرة.

نظر له عرفات ببرود.. " سيد عمر.. كان لا بُد أن تتأكد من أن الاستمارة موقعة!"

"لكن الكشك.. والموظفين..الموظفين وقعوا.. هل أخطأوا إذًا.. فلتقتلوهم هم أيضًا!"

"كشك؟ أي كشك؟ ولو أخطأ الموظفون فليس علي أن أمرر ورقة ليس بها الختم الكبير.."

"أرجوك سيدي.. مرر الورقة!"

"ليس بها الختم الكبير..آسف"

"والحل؟"

"ورقة جديدة!"

"كيف؟" صرخ "كيف؟ كيف كيف كيف كيف؟" لم يعد أمامي سوى خمس أيام!"

fb/mashro3pdf

"إذًا تكاد تلحق بالفرصة!"

"كيف؟ أنت تعرف أنه ينتهي في أسبوعين!" صاح عمر

"............"

"ما الحل؟"

"..............."

"إذًا. فقد كان قرارا. لقد قررتم موتي!"

ابتسم عرفات!

"إذًا لماذا تركتموني أسعى للنجاة؟"

رفع عرفات سبابته في وجه عمر، ابتسم: "لا تنس، لقد نصحناك في أول خطاب أن تستجم!"

"استجم، وأنتم تحكمون علي بالموت!" همس

"معذرة يا سيد عمر، معذرة، فالحياة كفاح يا صديقي!" قال مبتسما

"لا.." وقف عمر.."الحياة نكاح.. نكاااح.. نكاح يا سيدي!"

جمع أوراقه. وانصرف.

fb/mashro3pdf

تجمهر الناس أمام برميل عم منصور. علت الأصوات والهمهمات. كان أستاذ شوقي يبكي. ويربت على كتفه الكثير من الأيادي. اقترب عمر من الجمع. سمع أحد الأطفال يقول: "مات عم منصور!"

ليلة أمس كان يقف خلف البرميل بسكين ويد مصابة.

اقترب من شوقي. ربت على كتفه بصمت. فأومأ له وهو يبكي.

ظل ساهرا مع سكينه طوال الليل، وكانت رأسه تتساقط بين اللحظة والأخرى.

صُدم عمر لما وجد الجثة ممددة على الأرض، ومغطاة ببعض الأغطية القديمة. تلفت حوله. لم يجد جوابا. كان الناس مشغولون بتعزية شوقي، أو بالحديث عما حدث للرجل.

ركضت مجموعة كبيرة من الكلاب. حوالي خمسة عشر. حاوطت البرميل.

مر بعض الهواء على الأغطية. فبدت ذراع الرجل المسكين.

عقره الكلب الأكبر في قدمه. فسقط. فهجموا عليه، وهو يئن. "البندقية..البندقية.."

عظم. عظم ملوث ببعض الدم. جلس عمر على ركبتيه. "ماذا! ماذا حدث؟" صاح.

"البندقية..البندقية.."

"وحد الله يا أستاذ عمر.. الله يرحمه.. ميتة صعبة. لكن شهيد، أليس من يموت بين أسنان الضواري شهيد؟" نظر عمر للناس حوله. أعطوه ماء بالسكر، لكنه رفض. هب فزعا. نظر لشوقي بلوم. ثم هرع لبيته منهارا.

fb/mashro3pdf

في ركن قصّي من شقته. ارتمى على البلاط البارد. جمع كل أوراقه يحضنها. أما الأثاث والسجاد والستائر، فقد كومه في الركن الآخر من الشقة.

أستند على جنبه الأيمن. بعد أن ربط وسطه في قطعة رخام. حتى لا يسهى ويستلقى على بطنه.

فكر قبل قليل في أن يحرق المنزل بأوراقه، بالأثاث. لكنه خشي أن تنفذه الحكومة ثم تعاقبه بصورة أنكى وأشد. نظر للساعة ذات البندول. عينه تعد التكات. العقارب. حركات البندول. "صلاحيتي أوشكت على النفاذ!" وتساءل هل سيكتبون بعد ذلك في شهادة الميلاد تاريخ موت الشخص. سيكون المستقبل إذًا كله للموت!

غزت الحجرة رائحة فساء. تلفت حوله. وجد قطيع من العرس يقف مطأطأ الرأس على اليسار. حدق بخوف. "ماذا دهاكم.. ماذا تفعلون هنا؟"

نظروا جميعا ناحية باب الحجرة. نظر. شعر بهواء يسري برائحة الشعر والعرق. برز من الظلمة خطم أسود. ثم خطم. خطم. خطم. ذيل. ذيل ذيل. كلب. فكلب. فكلب. حتى امتلأت الحجرة كلابا بعدد العرس.

بدأت العرس في البكاء.

نظر كل كلب ناحية عرسة بعينها. جلسوا على قوائمهم الخلفية. لعبت ذيولهم. وبدئوا العبث بمذاكيرهم. كأنهم يمارسون العادة.

حاول عمر الصراخ. لكن لم يخرج صوت. يصرخ. لكن بلا صوت. ابعد نظره عن الكلب الذي أمامه، فقابله كلبا أخر. فكلب أخر. كلهم يتهيئون لمجزرة.

fb/mashro3pdf

تكومت العرس فوق بعضها البعض. تحاول الاختباء في أي ظل. لكن لا مناص. كلاب كلاب كلاب.

يئست أول عرسة من المقاومة. مشت ناحية كلب بعينه. نامت على بطنها. فاخترقها.

تبعتها ثانية. واخترقت.

ثالثة، ثم أخرى فأخرى.

حتى أكتمل الأزواج.

هدأت أنفاسه. وتابع الحفلة الكلبية الكبرى.

لكن..

برز خطم أخير عند الباب. عملاق. أسود. له صدغان متهدلان. يحدق فيه بعينين سوداوين ينعكس عليها حركات الكلاب فوق العرس.

اقترب الكلب. جلس أمام عمر.

بدأ يهيئ مذاكيره.

حاول عمر الحركة. لكن. عوقته قطعة الرخام.

صاح أخيرًا: "أنا لا أنام على بطني قط.."

فابتسم الكلب.. قال: "ومن قال لك إننا لا نعالج كل الأوضاع؟"

ثم هجم عليه!

fb/mashro3pdf

وزارة السكان

شئون المواطنين

شهادة موت حكومي

تشهد وزارة السكان

أن السيد/ عمر عبد اللطيف محمود السيد غازي

المولود في المدينة الأخرى بتاريخ 1980/04/05

الذي يحمل بطاقة قومية رقم: ***********************

قد تطابقت عليه اللائحة الخاصة بالموت الحكومي. وقد تم استيفاء الشروط في السابع من أغسطس عام 2007. حيث أنه وجد ميتا. بحجرته الخاصة في منزله. الكائن في شارع الكهف-العاصمة.

تُسلم هذه الشهادة للمختصين، ولا تعتبر تصريحا بالدفن.

عرفات المنجي أحمد

مدير المشروعات

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

القسم الثالث

الناس

fb/mashro3pdf

III

ذكريات النوم القديم

"النمل أقوى من كل شيء!"

fb/mashro3pdf

وقفت جوار أبي أشاهد بحزن الرجال وهم يصعدون بخزانة ملابسي إلى العربة.

التف ذراع مي حول كتفي، همست برقة: "ما لك؟"

نظرت للأرض بحزن: "أبي أخذ الدولاب معه!"

"لا بُد أن نأخذه. أين سنضع ملابسك إن لم نأخذه؟"

بكيت: "أنا لا أحب هذا الدولاب! أريد واحدا جديدا إنه يخيفني!"

ربتت على كتفي. همست في أذني: "لا تقلق سنذهب لمدينة جديدة تمامًا!"

"لا أريد مدينة جديدة أريد دولاب جديد!"

ظهر أبي غاضبا فجأة، وسأل: "لماذا يبكي؟"

نظرت له مي قلق، قالت: "زعلان!"

"ضربتيه؟" سألها بعيون غاضبة

هزت رأسها، توشك على البكاء. بينما فردت ذراعي الأيمن أمامها وصحت: "لا لا لا.."

قرص أذنها بعنف: "اذهبي.." جرت للداخل. احتضنني. قال: "لا تحزن لا تحزن، ليس هناك شيء في هذا العالم يستطيع أن يحزنك!"

"لا أريد هذا الدولاب!" همست بين دموعي

"ماذا؟" لم يسمعني، كدت أردد، لكن جاء رجل منهم وقال بصوت غليظ: "أيوجد شيءٌ آخر تريد أن ننقله يا أستاذ شوقي؟"

وقف أبي بقامته الطويلة: "آه تعالى معي،.." ثم سحبني من ذراعي ودخلنا المنزل ثانية!"

fb/mashro3pdf

واحد..

اثنان..

ثلاثة..

أربعة..

خمسة..

ستة..

سبعة..

سبعة! رائع ليلة سعيدة اليوم، نستطيع أن نركض خلف النجوم، بين مزارع المطر القطنية، نتنسم البرد السماوي النقي، حتى تتجمد روحنا وتصفو، وتتركز ثم ننزل.. ننزل.. ننزل قطرات صغيرة من شيء ما؛ فنذوب بين التراب ونمكث.. نمكث.. نمكث، حتى نخرج.. نخرج كلٌ في جسد جديد.. جسد منفصل قائم بذاته..

سبعة!

لا تسألونا لماذا نبدأ كل يوم بعدهم، وقتلهم!

لا تسألونا لماذا نعب أباريق الشاي والناس تبدأ في التدفئة تحت الأغطية الثقيلة..

لا تسألونا لأننا لن نجيبكم مطلقا، فلقد سئمنا السؤال.. وأنتم تعرفون الإجابة جيدا..

وما يضيركم إن قتلناهم.. إنهم النمل..النمل! ألا تعرفون النمل؟ هذه الأمم العظيمة التي تأكل كل شيء، الأخضر، اليابس، الماء، السكر..الزمن.

فهل عندما نفتتح الليل بالتخلص منهم كيلا يأكلوه؛ فهل علينا إثم

fb/mashro3pdf

في هذا؟

لا!

نعم.. فلتكونوا عقلاء.. هيا فلنتأكد من أنه لم يعد هناك منهم أحد، فنحن نريد أن نعيش..

نعيش كل دقيقة صغيرة قدر هذه النملة الصغيرة..

ياااا

أنظروا!.. يا ويلنا!.. هناك ثامنة!

fb/mashro3pdf

- صباح الخير!

- صباح؟

- صحيح! دعونا نرى متى نحن؟

- فلنفتح الشباك.. رباه؟ يا للنوم الثقيل!

- نعم.. نوما ثقيل..

- نعم.. صدقتم..

- نعم..

- يا الله..إنها الزرقة السابقة لبنفسج الغروب الدامي!

- إنها إذًا السادسة والثلاث دقائق!

- لم نعد نرى قلب الظهر!

- وما يجبرنا أن نراه وهو المليء بمساخر البشر؟

- مساخر البشر تحدث ليلا.. في الواقع..

- لا زلتم تؤمنون أن مساخر البشر تحدث في الليل فقط؟

- صحيح! قولوا لهم!

- أنظروا هناك نملة!

- ششش! يكفي ما قتلوهم ليلة أمس؟

fb/mashro3pdf

- يا ويلنا! وهل سيرحمنا النمل يوم أن يحكم العالم؟

- أصمتوا هناك أحد قادم!

- صحيح!

- هي ذات الخطوات الواثقة التي تكبت أصواتنا!

- نعم! إنها هي..

- نعم.. ألم نقل لكم.. ها هي ذات اليد.

" أشرف!"

"أمي!"

" استيقظت أخيراً "

ابتسمت: "أخيراً"

نظرت إليّ بعمق: "كم الساعة؟"

فتحت الشباك، كان الشفق أغرق السماء بنبيذه، "السادسة والربع!" قلت.

عبّست: " فالح أنت فقط في قراءة الساعة من السماء.. هيا.. حتى تتغدى"

"حاضر" قُلت وهي تخرج

- رحلوا

- نعم..

- حمداً لله

fb/mashro3pdf

- لكنهم تركوا الباب مفتوحا

- لا فائدة منكم! متى سيظل الخوف متحكم فيكم؟ أخرجوا للعالم، وأعلنوا عن أنفسكم!

- يووووه! نحن جوعى هيا!

- صحيح! هيا!

- هيا!

- هيا!

fb/mashro3pdf

"مي؟" همست، وأنا مرتكن على كتفها، أنظر للطريق من على المقعد الخلفي من السيارة!

"نعم!" همست

"إلى أين نذهب؟"

"للمدينة الأخرى!" ثم عادت تتابع الطريق من النافذة.

"لماذا؟"

"جدو مات؟"

"أعرف!"

صمتنا قليلًا.

"هل هي حلوة؟"

"لا أعرف!" نفضت شيئا من على فستانها الأبيض الصغير ذو الورود الحمراء.

"ما اسمها؟"

"المدينة الأخرى!"

"ولماذا تركنا مدينتنا؟"

"اسأل أبي!" ونظرت له بقلق. ثم عادت تراقب الطريق.

fb/mashro3pdf

-5-

"أشرف؟ ما أخبارك؟؟ أوحشتني كثيرا يا رجل، كثيرا جدا، كيف تمر أيامك؟؟" سألتني مي ساخرة.

"رائع، وأشعر أنه يوم رائع" رددت ببرود 104

"يوما ؟ تقصد ليلا.."

"لا يهم.. لا فرق عندي في الحقيقة.. فكلُ نوم.. المهم أني لا أنام قدر ما تنامين"

" يا رجل؟؟ حقا؟؟" سألت باندهاش..

"أعرف أنك تكوني عمياء وأنت مستيقظة، نحن نرى بعضنا البعض كل يوم صباحا عندما أدخل للنوم، وأنت خارجة من نومك كالبقرة!"

" بقرة؟؟ وقح!" قالت باشمئزاز ودخلت حجرتها..

هناك أوقات أحب أن أجلس معها، لكن ليس هذه الأوقات، خاصة إذا كان كل منا لا يطيق دعابة الآخر، ويرغب في الانطواء على نفسه اشمئزازا من انطواء الآخر..

- **أنتم!**

- **ششش، أصمتوا نحن لسنا في الحجرة!**

- **سحقا..توقفوا عن الخوف.. لا بُد أن نعلن عن أنفسنا!**

- **ششششش!**

"أشرف" صاحت مي..

"خيرا؟" سألت منزعجا..

" أين بلوزتي الخضراء؟"

"هل أنت مقتنعة بسؤالك؟؟ هل تعتقدين حقا أني أستعيرها منك؟"

fb/mashro3pdf

سألت بضيق..

"هل تراني أمزح معك؟؟ سألت عابسة "أين البلوزة؟؟"

"مي! هل جننت؟" صحت

"ألم تراها قط؟؟" سألت بهدوء..

"مي، وما دخلي بملابسك عزيزتي؟"

أومأت والتفتت تدخل حجرتها..

- أي حمقاء هذه؟
- نعم ترى من أخذ بلوزتها؟
- لا ندري..
- كاذبون.. هناك أحد منكم أخذها..
- مجانين..
- لا.. ليسوا مجانين إنهم صادقون
- نعم.. لقد رأينا أحدكم يأخذها..
- ليس مناّ لا يجب أن تتخيلوا أشياء مثل هذه!
- لا لقد رأيناهم.. وهم غير قادرون على الاعتراف.. إنهم امرأة في الحقيقة
- هاهاهاها
- هاهاهاها
- هاهاهاها

fb/mashro3pdf

- على ما تضحكون ؟ ليس فينا امرأة
- لا هناك واحدة!
- سحقا.. وتعجبها هذه البلوزة الخضراء، يا له من ذوق مبتذل..
- لا إنها بلوزة جميلة رغم أي شيء..
- صحيح.. أنظروا..تبرز الصدر باحتراف..
- اخرسوا..
- ماذا؟؟؟
- ششششش

"أشرف!"

"هاه!" قلت مصدوما..

"كف عن الدمدمة وتأمل الساعة.. كُل!"

"حاضر..." قلت في خضوع

fb/mashro3pdf

- لماذا لا يريد أن يدخل؟؟
- صحيح؟؟
- لا نعرف..
- فليدفعه أحدكم!
- يدفعه؟؟
- نعم..
- نعم ندفعه ليدخل الحجرة..
- نعم.. فكرة جيدة..
- كفوا..
- نعم كفوا عن الجنون..
- موافقون.. يجب أن يتوقفوا.. نحن معكم..
- كفى..
- صمتا.. لم ندخل الحجرة بعد...
- شششششش هناك أقدام..
- فليدخل!
- أصمتوا..إنه حزين..

fb/mashro3pdf

- خائف..
- وحيد
- فليتحرك..
- لا يريد..
- يخاف..
- يخاف، نعم.. يخاف الدخول!
- بل يخاف عدم الدخول...
- كفى..
- كفى..
- كفى..

"آآآآآه.." صرخت

"أشرف!" هرولت أمي ناحيتي "مالك حبيبي؟"

" لا أريد.. لا أريد.." قلت في خوف، وأنا أشير لحجرة..

" لماذا؟ لماذا يا حبيبي؟؟ ماذا هناك؟" سألت في خوف..

"المرآة.. لا أريدها..أنزعوها.."

"حاضر سنتزعها.."

- لاااا.. يجب أن نمنعه.. مجنوون
- نعم.. سيقتلنا.. من أجل نفسه...

fb/mashro3pdf

- قلنا لكم أن نثور.. ونخبر العالم بالحقيقة...

- نعم.. صادقون.. لقد نصحتمونا بهذا كثيرا... لا بُد أن نتبعكم..

- اصمتوا...إنه يموت رعبا...

- فليموت... لأجلنا!

- لا

- لا

- لا

- لا

- بلى

- بلى

- إنه يمسخنا..ألم ترونه يرتدي بلوزة أخته أمس!

- يا للعار

- ومساحيق التبرج..

- آخ

- نعم..آخ

- هاهاها اعترفتم..

- لا.. لا نعترف..

fb/mashro3pdf

- نعم.. هذا ليس اعتراف منا.. نحن فقط نشهد عليه..

- لماذا تفعلون به هكذا..ارحموه... إنه يحبكم..

- " نعم أحبكم.. والله أحبكم..أرحموني.." صرخت

بكت أمي وهي تحتضنني في حجرها، بعد أن هويت على ظهري، "ونحن نحبك يا قلبي.. حاضر.. سننزع هذه المرآة.. يا شوقي.. يا شوقي...تعالى أشرف مريض"

" لا تنزعوها.. لا تنزعوها.. سيموتون.. سيموتون!"

"من؟؟ من يا حبيبي؟؟" صرخت أمي..

"لا تنزعوها.." قلت في إعياء..

"لن ننزعها!"

"جيد.."

"جيد.. هيا.. هيا يا حبيبي..أدخل نام قليلًا..."

أومأت وقمت ببطء... أغلقت المصباح.. تجاهلت المرآة..تمددت على السرير..تابعت مروحة السقف، ويد أمي تداعب شعر رأسي...

fb/mashro3pdf

"صاحب النظارة الطبية الباردة، ذات اللمعة الخضراء، يطير في السحاب، داخل طائرة خشبية الأثاث، وهناك في الأسفل جمع من البشر، فقراء.. فقراء.. جدا جدا، لدرجة أني لا أستطيع المساعدة في شيء، والطائرة هي من ستساعدهم، لكنها تعلو بقسوة برودة النظارة الطبية.. عدسات النظارة الطبية ذات اللمعة الخضراء.. و الخلق يزدادون في الأسفل وحشة.. وحشة..الطائرة ترتفع، فترتفع البرودة.. ترتفع.. فأزداد عجزا، لا أصدق أنه لن يساعدهم.. يعلو يعلو يعلو.. يهترئون يهترئون وسط أنقاض مدينتهم، ويتحولون إلى كائنات رمادية في أسمال بنية، والطائرة تعلو.. تعلو..

"محمود! ابنك يلعب ببندقية جده! احذر! سيؤذي نفسه، ويأتي على نفسه بالمشاكل، إنها بندقية شؤم!" قال أبي

"ماذا أفعل يعني؟ الولد يحب الصيد!" قال عمي

"الصيد؟ يا رجل إنه يقتل الكلاب في الشارع!"

"الولد يحب جده يا شوقي!" قال بحسم

"يا الله! وهل قلت شيء؟ كلنا أحببناه رحمه الله! لكن ابنك سيضر نفسه!"

"لن أتخلى عن إرث أبي يا شوقي!"

أفكر.. أفكر.. ماذا أفعل لهم؟.. الغوث..أفكر..أفكر..أفكر..أقلق.. أقلق..أقلق.. يأتي النمل من حولي.. يدبدب.. دب دب دب.. يدخل فمي.. ببطء.. ببطء.. يسيطر عليّ... على العالم...أسمع تكتكة عقارب مجنونة..تك تك تك تك... وصل النمل لقلبي.. يحاصره.. يبدأ في

fb/mashro3pdf

اقتطاع شرائح منه، شريحة وراء شريحة وراء شريحة، قلق وراء قلق وراء قلق..

خوف.. فخوف.. فخوف.... فهلع..

"إذًا فأجعله يكف أذاه عن أولادي!"

"وماذا فعل لأولادك، إنهم يلعبون مع بعضهم البعض!"

"لكنه، يؤذي أشرف، يعيره بمرضه" ثم صاح: "يقول له يا مجنون!"

"يا رجل يا أبله، إنهم أطفال!"

"أطفال نعم، لكن أشرف ولد حساس!"

"يا رجل أعقل.."

استيقظ في الظلمة.. لا أعرف كيف أعبر عن المشكلة..أدفع باب الحجرة..أسير في الردهة ذاهبا..إيابا.. في صدري رعب لا أذكر سببه، لا يفلح المسير.. فأركض..أركض،

"أشرف! ما لك يا ولدي!" صاح عمي

"أشرف!" همس أبي ثم جرى نحوي

... دون أن أعير أبي وأمي الباكيان أي اهتمام، لا أعير لتوسلاتهما لي أن اهدأ. لم أعد أراهما، ولا (مي) المنطوية في خوف تراقب نوبتي، باكية في صمت، ولا عمي المصدوم الذي يحاول تهدئتي.

فقط أرى النمل في كل مكان، يسير على جلدي، قلبي، الأرض.. الحوائط..الأثاث.. دب دب دب..تك تك تك تك.

fb/mashro3pdf

أما أثاث الصالة البني، فيكبر، يصغر.. يكبر.. يصغر.. "كيف؟؟" أصرخ.."كيف؟".. أفكر..أفكر..أفكر.. أقلق أقلق أقلق..النمل يأخذ شريحة وراء شريحة وراء شريحة.. خوف خوف خوف.. ثم هلع..

"اهدأ يا شوقي لا تُفزع الولد أكثر، اهدأ يا أشرف يا حبيبي، سآتي بالطبيب حالاً"

أدخل الحمام ففي من البول مالا أتحمل..أغلق الباب خلفي، أرفض أن يدخل أحد معي..

لا أسكر الباب.. خوفا من أن يحدث لي شيء فلا أجد نجدة فورية..

لكن كيف أتبول وقد يدفع القلق أبي أو أمي لأن يدخلا علي وأن أتبول...

لا.. لا مجال لهذه البولة.. فلنخرج والسلام..

أخرج.. وألقي بنفسي في حضن أمي..أبكي:"أريد أن أنام.."

"تعالى يا حبيبي.." تقول في نحيب..

"أستلقي على السرير، أتابع المروحة ويد أمي تلاطف شعري، تلف المروحة.. تلف ببطء، كساعة مجنونة..

يخرج النمل من فمي.. ببطء..

يتبخر حول قلبي سحابة ساخنة من أثر الشرائح..تهبط، تدق قلبي، تسري مع النبض في عروقي.. ذراعي.. رجلي.. رأسي.. فتهدأ..تهدأ..

أنام..

fb/mashro3pdf

"أشرف!" صاح أبي

"هاه.."

"ألا تنام؟"

"لا أنام!"

"لماذا يا ولدي؟"

"أقرأ.."

"ومتى ينتهي الكتاب؟"

"نومي غير مرهون بالكتاب؟"

"إذًا بـ ؟"

"شروق الشمس!"

"غير معقول! إذًا متى ستعيش مثل باقي البشر؟"

"ومنذ متى كنت مثلهم؟"

"...................."

"أبي..أنظر!" أشرت للشباك "العصافير استيقظت، والنسيم مترقرق قليلا، لم يعد على الشروق إلا أربعة خيوط حمراء..تتبدد.."

"...................."

نظر للساعة...

"أبي..أذهب أنت للنوم حتى لا تفوتك ساعتين عزيزتين من النوم.. قبل العمل.."

"أشرف!" همس أبي..

fb/mashro3pdf

"هاه!"

"....................."

التفت وعاد حجرته..

fb/mashro3pdf

-9-

- لا تفهمون ما قد حدث؟ لقد كانت حمى.. حمى شديدة، أصابته وقت أن اجتاحه الجدري الخفيف الذي يصيب الأطفال في هذا السن بحبيباته الوردية المزعجة.. 116

- لا أحد يفهم، ما مدى اتحاد الحمى مع الجدري ليحدث هكذا لعقله..

- لقد كان صغيرا..

- جدا..

- طفلا..

- يا للبؤس

"أشرف!" همست الأم بلطف

"هاه!"

"فيم تفكر حبيبي؟" سألت في حنان

"المرض!"

"المرض؟ أي مرض؟"سألت بقلق

أشرت لرأسي

"أشرف!" صاحت "لقد شفاك الله..الحمد لله.. كف عن هذا أرجوك..

أومأت بعبوس

fb/mashro3pdf

"سأذهب أحضر لك الغداء" ثم قامت وانصرفت..

"لا بُد أن أقطع الشك باليقين" قلت بصوت عال

قمت في تحفز، وقفت أمام المرآة، وجدتهم - كما أعرف - هناك..10 - 20 - 25 لا أعرف بالضبط..إنهم كثير..

ارتعشت يدي.. جلست على الكرسي.. جلسوا..أشرت بيدي أشاروا..

"من أنتم؟" سألت بهدوء

"أنت تعرف!" قال الطويل

"نعم تعرف جيدا" قال ذو الرداء الأسود..

"نحن موافقون. على أنك تعرف.." قال واحدا شاحبا مرتبكا..

"نعم.. نعم.. نعم.." قال واحدا أخر..

"ولا بُد أن تعترف بنا.." قال ذو الرداء الأسود في حزم..

"أعترف؟ بماذا؟"

" أنك أحق بالمرآة منا؟؟" ابتسم في الخبث

"المرآة؟.. لكني أكره المرآة!" قلت في تردد

"كاذب" قال ذو الرداء الأسود بكراهية

"لا.." قلت

"بل كاذب.." قال المرتبك

" أخرسوا.." صحت

"نحن لن نبقى هكذا أبد الدهر.. هناك وقت سيأتي ونخرج، فكن رفيق بنا حتى نرحمك.." صاح ذو الرداء الأسود

"وماذا فعلت فيكم حتى ألتمس منكم الرحمة؟" صحت "أنا لا أفهم"

fb/mashro3pdf

"أنت تحبسنا"

"لا.."قلت

"إذًا ماذا ترى؟" أشار لرفاقه

" أرى بعض المجانين؟" ثم استدركت " أين صورتي؟؟ أريد صورتي على هذه المرآة" ثم قمت إلى المرآة أتفحصها عن قرب، بينما نظروا جميعًا إليّ في ذهول..

"ماذا تفعل؟" قال الطويل بصوت عميق

"صحيح.. ماذا تفعل؟" سأل المرتبك..

"ابتعد عن هنا؟" صاح ذو الرداء الأسود..

"اخرسوا هذه مرآتي وهذه حجرتي.. أفعل ما أشاء.." صحت..

"لا.. لست حرا في هذا!" صاح الطويل

" نعم!" صاح المرتبك

" نعم.." صاحت باقي المجموعة..

"اخرسوا!" صرخت..

"بل أنت الذي يجب أن تخرس.. كفى أنه بحريتك هذه توقعنا في المشاكل كل يوم.." صرخ ذو الرداء الأسود

"نعم وتسرق ملابس أختك أيضًا.. هاهاها" قال الطويل ضاحكًا

"ماذا؟" همست مشمئزًا

"نعم.. سرقتها لترتديها " قال المرتبك بجرأة.. فضحكوا كلهم..

"مجانين.." ضحكت..

"لا.. هذا حدث.." قال ذو الرداء الأسود بحسم.

" لم يحدث.."

fb/mashro3pdf

"حدث"

"حدث"

"حدث"

"حدث"

"حدث" قالوا كلهم

"لاااااااااااااااااااا"

"نعم"

"نعم"

"نعم"

"نعم"

"نعم" قالوا كلهم

"لاااااااااااااااااااا"

"اسألها" قال المرتبك وهو يقترب من فتاة جميلة، لينة كغصن أغيد، ملامحها حزينة، شعرها بندقي. أمسك بكتفيها الضيقين لأسفل، ونظر إليها بخبث، فوضعت ناظريها الكسيرين في حجرها.. في شعور بالذنب كطفلة.

"من أنت؟" سألت بشفقة.."كيف أنت هنا؟"

فوضعت يدها على صدرها الجميل.. ونظرت معاتبة، ودمعة تنزلق بهدوء.

"لا أعرفك حقا..أنا.. صدقا.. لا أعرفك..:" قلت محرجا...

"ومنذ متى تتذكرني؟" همست

"......"

"لا تحاول التذكر..."

fb/mashro3pdf

"أهاا!.. لذا فقد جعلتيه يسرق بلوزة أخته؟.." قال المرتبك وكأنها كشف لغزا ما.

"أنا لم أسرق" قلت بحسم

ابتسمت الفتاة:"نعم لم يسرق.. لقد كانت هدية.." 120

حدقت فيها.. حدقوا فيها.. "هدية؟؟" سألنا في نفس واحد

"نعم.." ابتسمت في فرح

"متى؟" سألت عابسا

"نسيت؟" سألت معاتبة

"وهل عرفتك حتى أنسى لماذا هاديتك بلوزة مي الخضراء"

"أنت تعرفني جيدا لكن لا تذكرني؟ لا تعرفني إلا وقت حاجتك لي.. وقت حاجتك للتخلص من هؤلاء الحمقى، وقت حاجتك للتخلص من خوفك" ثم وهي تلاعب أصابعها كقطة "أو التخلص من نملك"

رجعت مرتجفا للخلف فسقطت من على الكرسي، أضرب صدري ووجهي، كأن أزيح النمل من على جسدي، الذي جرى في جسدي كرعدة، بينما تعالت ضحكاتهم بقوة، حتى أني ضحكت.. وهي ضحكت بدهاء ذكرني بشيء ما، أعرفها؟؟ نعم هي.. هي! هي؟ من؟

هدأت من الضحك، واستقرت عيني على المروحة، تلف ببطء.. ببطء، تلف تلف تلف، ريشها الثلاثة تشبه العقارب، تلف تلف تلف.. بالفعل إنها ساعة، نعم ساعة بثلاثة عقارب بيضاء تلف..تلف تلف، تك تك تك تك.. عقارب عظيمة بيضاء، تلف تلف، تصبح رمادية، تلف تلف تك تك تك تك، تصبح سوداء.. تتك تتك تتك، تنتفخ العقارب، ت ن ت ف خ..تك تتك تتك، تنثني، يتدلى منها مجسات تشبه أرجل، تك تتك تتك، عقارب! عقارب حقيقية، سوداء كالتي تجري في الصحراء مثنية الذيول لأعلى، تتك تتك تتك، ثم..

fb/mashro3pdf

بدات تتنزل كالعناكب ببطء حاذق..

قمت مفزوعا، فوجدت الفتاة وحيدة أمامي في المرآة تمسك ببلوزة مي الخضراء في حب..

حدقت فيها برعب..

حدقت فوقي برعب..

"مروحة" همست

نظرت للمروحة فوقي كثيرا دون أن أتوقف عن الرمش!

"هااا"

"مالك تنظر للمروحة هكذا؟؟" سألت مي في توتر.. متى دَخَلَت الحجرة؟

"ايه.. ايه.. لا شيء.. مجرد أتأكد من أنها لن تسقط! "

نظرت في فزع إلى المروحة "تسقط؟" ثم وقفت جواري، تلامست أطراف أصابعنا، فشعرت بدفء روحها يشع من جسدها يطمئني..

نظرت لها، كانت تنظر بعينيها العسليتين الفهديتين بحذر، وتدقق لتطمئن..

"لا تخاف..إنها سليمة.... لماذا تنظر إليّ هكذا؟؟" سألت عابسة

ابتسمت.. وألقيت نفسي في حضنها، ولا أعرف لماذا، بكيت.. هاها.. حقًّا بكيت، بحرقة، دون أن أفهم، حتى أني كدت أضحك لأني لا أفهم على ما أبكي؟

شحبت مي قليلا، احتضنتني في حنان، سألت بهمس: "مالك؟"

"لا أعرف "

فبكيت بصمت وهي تربت على رأسي..

fb/mashro3pdf

-10-

كانت تبكي بمرارة، وحمالة فستانها الأزرق ذو الفراشات اللبنية متهدل. كتفها أحمر. ربت على ظهرها. قبلتها على خدها المبلل. "لماذا ضربك؟"

"ضربت صابر!" 122

"لكنه يستحق! لقد قال لي يا مجنون!" وارتجفت شفتي السفلى

"لا عليك.." احتضنتني

شعرت بالضيق. تتبعته، كان يتسحب كاللص. يحمل بندقية جدو منصور. سرت وراءه بصمت دون أن يراني. وصلنا إلى صخرة كبيرة عند النهر. لم يكن أحد هناك تقريبا. رفع البندقية. أطلق رصاصتين! ارتعشت. وقف مرة أخرى وضرب. كان الصوت مرعب. صرخت. ألتفت إليّ بفزع. "ماذا تفعل هنا! عُد للبيت!" صاح أخفى البندقية خلف ظهره. "سأقول لأبي" صحت. "لن يصدقك!" قال بكراهية. "سيصدقني!" "لا لن يصدقك، أنت مجنون!" ارتجفت شفتي السفلى، نظرت لمي التي نامت من البكاء. انسللت من تحت ذراعها. فتحت دولابها. قلبت في الفساتين. أخرجت إحداها. كان يناسب مقاسي. لونه "بيج" بورود نبيذية. ارتديته في حجرتي. بدوت مثل مي. إلا أنها كانت أطول قليلًا. وصدرها كان أسمن!

خرجت للصالة. سرت قليلًا. هتف أبي عندما رآني عند الباب: "مي! أين تذهبين؟"

وقفت دون أن أرد

"مي! تعالي هنا!"

همست أمي في ألم:" يا شوقي دعها، كفى!"

"تعالي هنا يا بنت!"

التفت إليه، أنظر له بتحدي. وقليل من الخوف. تهدل فمه، ضحكت

fb/mashro3pdf

أمي: "أشرف!" جرت ناحيتي. لكنه أمسك بذراعها. دخل صابر البيت. كاد يضحك. لكنه رأى أبي غاضبا فاختبأ خلف الكرسي.

"ماذا ترتدي؟" سأل أبي

"هاه!"

"ماذا تلبس!؟"

"فستان!"

"هل يرتدي الرجل فستان؟"

"لا!"

"إذن لماذا ترتديه!"

"لقد ضربت مي دون ذنب!"

"لقد ضربت ابن عمك يا بني وشججت رأسه!"

"لكنه قال لي يا مجنون!" وأمسكت دموعي لأني أعرف أن صابر مختبئ، إلا أنه قفز فجأة من خلف الكراسي: "كاذب، كاذب والله يا عمو!"

"لماذا قلت هذا له يا صابر؟" سأله بلوم

"لأني رأيته يضرب الكلاب بالبندقية!"

شهقت أمي، صاح أبي:"ماذا؟"

تباكى صابر؛ فضحكت عليه: "والله يكذب يا عمو!"

"على حجرتك يا ابن الكلب يا مجنون!" صاح أبي، فجرى يبكي للداخل

عاد أبي يسألني: "لكن ما شأن كل هذا بفستان أختك؟ اذهب أرتدي ملابسك، أنت رجل!"

"لا، سأرتدي فساتين مثلها، حتى تضربني مثلما تضربها!"

بُهت، ازدرد لعابه. بينما احتضنتني أمي. وقبلتني.

fb/mashro3pdf

"صباح الخير" تقول أمي بوجه نضر، وتحمل في يدها صينية الفطور..

"صباح الخير" قلت بتثاقل"ياه.. ماذا حدث.. الفطور حتى الحجرة!"

"نعم، قليل من الدلال حبيب ماما.." ثم قبلت جبهتي..

"لا لا لا.. سأتعود على ذلك.. وقد تغار مني مي"

ضحكت أمي: "لا مي طيبة، وتحبك، أنا أدللها أيضًا!"

"حقا! كيف؟" سألت بفضول شديد..

"سر؟" سألت بطرافة

"نعم.." ضحكت

"أصفعها على مؤخرتها وأنا أوقظها: (دُبي العزيز استيقظي) "

انفجرت من قلبي ضاحكا، حتى طفرت دموعي؛ فضحكت بدورها.

سمعنا دبيب، ثم اقتحمت "مي" الحجرة مبتسمة. سألت بشقاوة: "على من تضحكون؟"

"لا شيء دُبي العزيز!" قلت بمكر ثم أكملت نوبة الضحك.

شهقت أمي وضربتني برفق على يدي: "كشفت السر!"

حدقت مي في كلينا بشراسة، ثم فتحت ذراعيها كجناحي عقاب، فبدت كدُبة رشيقة قليلًا.. جرت نحونا، ألقت نفسها علينا تحتضننا في عنف، تضحك وتقول: "أيها الأشرار سأكلكما! أتسخرون مني؟ عاااا.." ثم مثلت أنها تحاول أن تعض رقبة أمي، فأغرقت أمي في نوبة ضحك قطعت أنفاسها.

عند الباب، وقف أبي مبتسما: "صباح سعيد!" قال بحب وهو يضحك في صلعته المنيرة، وطوله الذي لم أرثه أو مي التي قامت فزعة، عدلت

fb/mashro3pdf

ملابسها وابتسمت في فتور. جلست على الكرسي. ضحك أبي، قال لها وهو قادم نحوي: "لماذا التكلف؟ أنا أبوك لا تتحفظي أمامي هكذا". فابتسمت بتكلف.

نظر نحوي، قال برفق: "كيف حالك أشرف؟"

ابتسمت بعبوس مستفسر: "بخير!"

"هل نمت.. هل نمت جيدا؟"

أومأت شاعرا بالقلق.. ولازال عبوسي يستفسر منه..

اقترب. قبل رأسي بهدوء، ربت على كتفي..

ابتلعت ريقي..

رمشت عينه في توتر.. ابتسم، وخرج.

لم ألتفت عن الباب بعد خروجه، أغرقت الباب المفتوح بنظرة رمادية من عمق قلبي، لا تتوقف عن محاولة استعادة أي تفصيلة من أي كابوس مر بي ليلة أمس. لكن دون جدوى..

لا أذكر.. لا أذكر..

- لا نذكر أيضًا..

- بل نذكر

- كيف؟

- نعم لقد واتته النوبة ليلة أمس

- اممممم لذا..

- أتته الأم بالفطور..

fb/mashro3pdf

- حتى السريرا
- والأخت تداعبه وتمازحه
- أصمتوا يكفيه ما هو فيه..
- يا الله يا لخوفكم.. نصمت نصمت نصمت! نريد الحرية!
- اتركوه..اتركوه يتأمل حاله!
- يتأمل ألمه!
- مرضه!
- نعم..
- نعم
- صمتا
- ششششش
- لا
- ؟
- لن نصمت
- بلى
- بلى
- بلى

fb/mashro3pdf

"لا" همست

نظرت لأمي.. كانت تحدق في موضع ما جوار ركبة مي، ودمعة عنيدة تقاوم الخروج.

نظرت ل مي.. كانت غاضبة..

ابتسمت لها بتوتر..

"هذا الرجل يفسد كل شيء" قالت بفحيح، ثم وضعت رجل فوق رجل وأسندت وجهها المستدير على أصابع يدها اليمنى.

fb/mashro3pdf

-12-

الحمد لله المنزل خاوٍ. أغلقت الباب، خلعت الحذاء، جلست على كرسي الصالون.

"لقد انتهى كل شيء" 128

"انتهى اليوم" قال الطبيب: "أوقف العلاج؛ أنت تمام الآن" وابتسم.

سألته: "ألن أحلم مرة أخرى؟"

"بلى.. ستحلم بالطبع!" أجاب مندهشا.

"نعم.. أقصد هذه الأحلام.." أشرت لرأسي

ابتسم بدفء، عدل نظارته الطبية الباردة: "لا لا.. وإذا حدث.. فستسيطر عليها..أنت الآن في بنية تساعدك على مقاومتها"

"كيف؟" استفسرت

"عندما كنت طفل كانت كوابيسك أكبر من أن تسيطر عليها، كانت أكبر من مساحة عقلك على تصورها.. أما الآن؛ فأنت تستطيع أن تحتويها، كلها، دون أن تدفعك لليقظة..أبدا"

"لكن لو جاءتني.."

قاطعني بثقة: "لن تستيقظ.."

قلت بضجر: " أفهم! لكن لو جاءتني... امم.. نسيت.. أرجوك لا تقاطعني!"

هز رأسه مبتسما ينتظر

"آه! نعم! لو جاءتني مرة أخرى؛ هل سأخاف؟"

"لو جاءتك أحلام.. ستستيقظ راق النفس، لو جاءتك كوابيس ستكون مزعجة بالطبع.. أنت الآن إنسان طبيعي"

fb/mashro3pdf

"لكني سأخاف؟" سألت بحذر

أومأ متوترا: "خوف الإنسان الطبيعي من كوابيسه!"..

"إذن كل هذا الوقت الذي أضعته في علاجك لي بالمنومات، من يعيده لي؟ ما فائدة كل هذا النوم والخوف سيتربص بنومي مرة أخرى؟" صحت

"اهدأ أرجوك.. ومن منا لا تأتيه كوابيس؟؟ اهدأ"

"أنا تحملت من الكوابيس ما يكفيني.. بل ما يكفي شعبا من أمثالي" صرخت.."ونمت بما يكفي لكبتها وقتلها.. والآن! تقول لي بعد كل هذا النوم..أنها لن تذهب!"

"..................."

" أنا أكرهك! وأكره كل هذه السنين.. تبا لك.. ولكل الأطباء، لقد جعلت النمل يأكل عمري وأحلامي!"

حدق في بخوف.. انصرفت.

و الآن أجلس في الصالون، أجول ببصري على الأثاث البني.. لن يكبر أو يصغر بجنون مرة أخرى..

سيكون هناك أحلام وكوابيس جديدة..

"لكن ما كل هذا النمل؟؟" انزويت قليلًا على نفسي في قلب الكرسي "هل ستأتي الكوابيس في اليقظة؟"

صف طويل.. رفيع.. رفيييع.. يأتي من الردهة المظلمة، فلا تظهر بدايته، لكن نهايته تقترب عندي، تقترب، تقترب..تصعد الطاولة، العامود، الحائط، حتى تصل للساعة الصندوقية الخشبية ذات البندول..

لحظات.. يتكثفون حولها، يغطونها، تعلو تكتكة الساعة في خوف.

fb/mashro3pdf

تك تك تك تك.. بسرعة.. تك تك تك تك.. في رعب.. تك تك تك تك ثم ببطء

تك

تك

تك

ت..

تهتز المجموعة السوداء، ثم قرقعة خافتة، ويتحرك الصندوق المغطى بالنمل، ينزل العامود، الطاولة، ثم ببطء ينزل مكعب النمل..

وببطء يختفي في الردهة المظلمة.

fb/mashro3pdf

-13-

"أشرف!"

"هاه!"

"تقرأ؟" سأل أبي

أومأت

"ماذا؟" سأل مبتسما

"كافكا!"

"من؟"

"كافكا!"

"من كافكا؟"

"مؤلف هذا الكتاب؟"

ضحك: "وما هذا الكتاب؟"

"الإنمساخ.."

"ياه.. يا له من اسم!" قال في تقزز

"نعم.. ويا له من كتاب!"

"عما يحكي؟"

" عن رجل استيقظ من نومه فوجد نفسه وقد تحول إلى حشرة كبيرة!"

"................"

أكملت القراءة

"أشرف!"

"هاه!"

fb/mashro3pdf

"ألن تنام؟"

ابتسمت وأشرت إلى الكتاب برأسي

"بعد الكتاب؟"

"ليس نومي مرهونا بالكتاب؟"

"إذن بـ ؟"

"بشروق الشمس.."

"غير معقول! إذًا متى تعيش مثل باقي البشر؟"

"ومنذ متى كنت مثلهم؟" قلت بنفاد صبر

".................."

"أبي..أنظر!" أشرت للشباك "العصافير استيقظت، والنسيم مترقرق قليلا، لم يعد على لشروق إلا أربعة خيوط حمراء..تتبدد.."

"................." نظر للساعة.. لم يجدها، فنظر إلي بخوف..

ابتسمت:" أخذها النمل..أكلها النمل!"

تسارعت أنفاسه فجأة وكأن قشعريرة نمل بارد اكتسحته، ترقرقت عيناه، وارتعشت شفته السفلى..

"أبي! أذهب أنت حتى لا تفوتك ساعتين عزيزتين من النوم قبل العمل!"

"أشرف!"

همس بانسحاق..

"هاه!"

".............."

مسح عينيه، التفت وعاد حجرته.

fb/mashro3pdf

- جنون!

- إنه يقتلنا!

- إنه ينتحر.. سيقتلنا معه

- حمقى! ألم نقل لكم أن نثور ونخرج!

- لا

- لا؟

- نعم.. لا

- خائنون

- هاهاهاها

- هاهاهاها

- هاهاهاها

- اصمتوا أنتم تهذون..اهدؤوا..إنه لا ينام.. سيموت.. ستقتلونه..

- دعوه يتوقف عن قراءة هذه الترهات

- نعم إنها لا تجعله ينام..

- كيف إذاً نوقفه؟؟

- صحيح؟ كيف؟

fb/mashro3pdf

- عاااا.. قلنا لكم ثوروا.. ثوروا..

- كيف نخرج إذن؟

- أقنعوه؟

- لن يقتنع!

- اقتلوه إذاً؟

- مجانين!

- نعم

- نعم

- نعم

- أنتم الثلاثة.. لا تقولون إلا نعم.. وترددوا كالببغاوات

- هاي! ماذا دهاك؟

- أصمت

- بل أصمت أنت..

- يا أخوة..أنتم تتنادون بالمفرد.. توحدوا. نرجوكم..

- لالالالالا.. لا بُد أن أخرج.. وعليكم مساعدتي.. وتساعدوا أنفسكم..

- لكن أفترض أن هناك من يريد البقاء؟

- البقاء محبوس في مرآة رجل مريض؟؟

fb/mashro3pdf

وما شأنك إن أراد البقاء في مرآة رجل مريض؟

عاااااااا فليبقى في الجحيم .. لكني سأخرج!

هاهاهاها

هاهاهاها

هاهاهاها

هاهاهاها

هاهاهاها

تضحكون؟

هاهاهاها

هاهاهاها

هاهاهاها

هاهاهاها

هاهاهاها

نعم نضحك!

أنت مسلي

هاهاهاها

أحمق هاهاهاها

fb/mashro3pdf

- **يا ذا الرداء الأسود هاهاهاها**
- **هاهاهاها**
- **هاهاهاها**
- **هاهاهاها**
- **هاهاهاها**
- **عاااااااااااا... سأنفجر فيكم.. سأقتلكم جميعا..**
- **هاهاهاها**
- **هاهاهاها**
- **هاهاهاها**
- **هاهاهاها**
- **هاهاهاها**
- **هاهاهاها**
- **عااا**

"عاااااااااااااااااااااااااااااااااااا" صرخت

"أشرف!" صاح أبي

"أشرف!" صرخت أمي

"أشرف!" صرخت مي

fb/mashro3pdf

"نمل.. نمل.. نمل.."

"أين؟" صاح أبي، بينما جرت مي للداخل

"هناك؟" صرخت

نظر أبي حيثما أشرت "لا شيء ولدي!"

"لا" صرخت من قلبي" أنا لست مجنونا... هنا..تعال.."

"أين؟ أين؟ " جاءت مي تبكي، تحمل عبوة مبيد حشري

"هناك" أشرت نحو النمل المتكوم عند المنبه الذي تصرخ تكاته..

"أين لا أرى شيء" صاحت مي

"هنا!" صرخت فيها

فصرخت تبكي " أين؟ أين أين أين؟؟ أين يا اشرف؟" ثم انهارت تنتحب على الكرسي.

انتزعت منها المبيد.. جريت نحو منبه وردي حيث تركز النمل..

فشششششششششششش

رششت المبيد بكثافة مرعبة..

صرخ النمل.. صرخ بصوت صغير جدا جدا.. صوت مقزز، كطقطقة نار متألمة.. وجرى في كل اتجاه.. يفر لكني لم أرحمه.. رششت.. رششت.. حتى سمعتهم يسعلون خلفي..

وقع المبيد من يدي..أمسكت المنبه الوردي المدور.. احتضنته.."الحمد لله الحمد لله" تمتمت في راحة..

سحبتني أمي..احتضنتني، أخذت المنبه، وعدتني أن تحافظ عليه، ثم سحبتني للحجرة.

"لا بُد أن تنام.."

fb/mashro3pdf

هززت رأسي كالأطفال: "لا"

"أنت مريض وتحتا..."

"لا.. لست مريضا.." صرخت في حسم.."لقد أنهيت العلاج منذ سنوات" 138

"طيب.. طيب.. أرجوك نام لأجلي.. نام لأجل (ماما) يا حبيبي" ثم بكت

أشفقت عليها، استلقيت على السرير، جلست جواري، داعبت شعري حتى أنسحب رأسي للداخل.. لكن رائحة المبيد كانت لا تزال في أنفي، وبعض أثاره على يدي تزعجني لزوجتها.

جلست فجأة..أمسكتني في رعب.. طمأنتها "لا تخافي أريد أن أغسل يدي من أثر المبيد"

أومأت واصطحبتني للحمام. لكني رفضت أن تدخل معي.

أغلق الباب خلفي، فتحت الصنبور. قلبت الصابونة في يدي تحت الماء، غسلت وجهي جيدا حتى رضيت.

جففت وجهي. رائحة المنشفة ذكرتني بأيام نوبتي القديمة عندما كانت تغسل وجهي بعد كل

نوبة، وتجففه بذات المنشفة.

ارتجفت لهذه الذكري، خاصة أنها ذكرتني لمعة خضراء على نظارة طبية مغرورة.

أخذت شهيقا، وتحركت للخروج.

كان مفتاح تسكير الباب من الداخل، هو ذات المفتاح الذي كان يسبب لي صراع غلق الباب أم فتحه.. شعرت بمثانتي تمتلئ "أتبول؟". شعرت بضيق فجأة يجثم على صدري.. المنشفة، المفتاح الداخلي

fb/mashro3pdf

للباب، الرغبة في التبول.. نظرت للمرآة على يميني..

فزعت للخلف.. كانوا هناك.. يحدقون في رعب "صرخت" ثم كبت فمي بيدي.. ظللت أحدق فيهم.. وهم يحدقون..

صرخت أمي وهي تطرق الباب بشدة: "أشرف! ماذا حدث؟ "

استجمعت أنفاسي: "لا شيء.. لا شيء.. كدت أسقط.."

"حاذر.. يا ولدي حاذر.." ثم صمتت

"حاضر!"

نظرت لهم..

حدقوا برعب..

"ماذا؟"

أشاروا بعيونهم لشيء خلفي.

ارتعشت رأسي وهي تتحرك بالكاد للخلف.. أنفاسي تعلو وتهبط.. تعلو وتهبط.. تعلو وتهبط.. تعلو.. تعلو.. ثم في تسارع هلع متشنج عندما بدأ ظلا أسود خلفي يظهر..

فُحتُ.. سقطت على الحائط خلفي.. إنه أمامي.. ذو الرداء الأسود.. "لقد خرج.." يقف في هدوء بذات النظرة الرمادية.. بعيونه الكحيلة.. نظر إليّ باحتقار.. احتقار سقوطي.. ارتعاشي.. فحيحي.. بولي على نفسي..

اقترب.. انحنى نحوي..أمسك رأسي وهمس: "قلت لك كن رفيقا بي حتى أرحمك!"

أطلقت عواء غريب ثم ذهب صوتي.. بعد صرخة صغيرة جدا جدا.. كطقطقة نار متألمة..

fb/mashro3pdf

واحد

اثنان

ثلاثة 140

أربعة

خمسة

ستة

سبعة

ثمانية!

تسعة!

عشرة!

أحد عشر!

اثنا عشر!

ثلاثة عشر!!

"ثلاثة عشر! اممم يا للمشئوم.. ثلاثة عشر نملة!" قال المرتبك

"أحمق.. ماذا تعد.. أتظن أن النمل سيبحث عنا؟؟ إنه يبحث عنه هو" قال ذو الرداء الأسود بضجر وهو يشير للمرأة.."كفوا جميعا عن الارتباك.. لقد أخرجتكم من محبسكم البارد هذا.. كفوا عن تمثيل حياة شخص مريض بالصرع.. كفوا عن هذا.. انطلقوا..

"ننطلق"

"ننطلق"

fb/mashro3pdf

"ننطلق"

"نعم يا ببغاوات" قال ذو الرداء الأسود بضجر.. "ننطلق فالعالم أكبر من قطعة زجاج عاكسة للضوء.."

"الضوء!"

"الضوء!"

"الضوء!"

"عاااا لا أمل منكم.. سأرحل في كل حال.. هي مسألة وقت لأذهب.. من سيأتي معي..." نظر لهم بعبوس..

نظروا لبعضهم البعض بخوف..

تحرك الطويل ووقف جواره.. ثم القصير.. ثم ثالث.. ثم المرتبك.. ثم سابع.. عاشر...

وقفوا جميعا خلفه...

عدا الفتاة وقفت في المقابل، تحمل بين يديها البلوزة الخضراء، ممتقعة الوجه.. نظرت حولها تبحث عن نجدة.. لا شيء.. نظرت في البلوزة.. احتضنتها..اقتربت من المرآة.. فظهرت لها.. وضعت جبهتها باستكانة على المرآة.. بدأت تنقر بسبابتها برفق على السطح البارد..

بدأت أنا بالطرق الشديد على هذا السطح الأسود الشفاف القاسي الذي يحبسني عن حجرتي داخل المرآة.. لكن.. بلا جدوى!

"ابتعدي عن المرآة!" صاح ذو الرداء الأسود.

هزت رأسها رافضة بحزن طفولي..

"ابتعدي!" صاح وهو يسحبها بقسوة من ذراعها الأيمن..

"ابتعد عنها.." صرخت في صوت مكتوم بارد..

fb/mashro3pdf

ابتسم باستهزاء.. ثم أمسك بذراعي الفتاة يواجهها: "أسمعي.. لن أجبرك على الرحيل معنا.. إذا أردت البقاء لتكوني وليمة للنمل أو للعقارب.. فهذا شأنك.. أما أن ترفقي به أو تطلقي سراحه فسأقتلك..

شهقوا جميعا.. بينما نظرت إليه برعب.. ألقاها على السرير.. ونظر خلفه:"هيا!"

التفتوا جميعا ناحية الباب.. لكن خطوات لطيفة اقتربت من الباب.. طرقته.. ثم فتحته..

قفزوا جميعا خلف ذو الرداء الأسود الذي أخذ ينظر ل مي باضطراب..

صحت بفرح:"مي مي مي "

دخلت بحذر وترقب. سارت على أطراف أصابعها. فتحت درجا من أدراجي. وقفت تتأمل صورة من صوري. تبكي. " مي مي مي"

لم تراني. تسحب ذو الرداء الأسود ومن خلف الباقي. صحت فيهم: "أين تذهبون؟ تعالوا! تعالوا أعيدوني يا كلاب! مي مي مي" لم أتوقف عن الطرق

وضعت الفتاة البلوزة الخضراء بهدوء. وقفت تنظر لمي بحزن. انتهت مي من دموعها. جالت ببصرها في الحجرة. لاحظت البلوزة. جلست جوارها. وعادت تنتحب.

"مي مي مي "

فتح أبي الباب. انتصبتْ. كان وجهه صلبا. "ماذا تفعلي هنا!"

"بلوزتي!" قالت بجفاء وبرود. مسحت دمعها.

قاوم رعشة حزن. قال بقسوة: "أخرجي. لا يدخل أحدا هذه الحجرة."

"مي مي ميا" لم تسمعني وخرجت!

نظر أبي مرة أخيرة. أطفأ النور. أغلق الباب!

fb/mashro3pdf

١٧

الحالة السائلة للسيد مروان عبد اللطيف

"الناب الذي لا يعض؛ يأكل صاحبه"

fb/mashro3pdf

"ماء..أريد ماء.. أكره اللبن.. أريد ماء.. نظافة.. نظافة!"

fb/mashro3pdf

"مروان!" قال يوسف مندهشا

"نعم مروان! ما المدهش في هذا؟ كأنك تراني أول مرة من سنين!

"كلا، لكن غريب!" ثم شرد في وجهي

"ما الأمر؟" سألت بضيق

"لا شيء، لكني يا رجل كنت أعرف وصولك من عطرك، كنت أحسب خطواتك الـ43 من وصول فوح العطر حتى وصولك إلى هنا!"

ضحكت بارتياح:"نعم نعم، قد يكون العطر الجديد أقل جودة" ثم عبست "سأؤدب الرجل صاحب المحل!"

"من أين تشتري عطورك؟"

"من عند ذاك الرجل، في أول الشارع الذي أقطن"

"امممم، لكنه ماهر! حقيقة! إنه يخصك بعطور جيدة وقوية!"

ضحكت في خيلاء:"نعم، هو يقدرني كوني زبون دائم لديه منذ ما يقرب من 10 سنوات، المهم، دعنا نبدأ العمل! توقفنا أمس عند؟"

"عند عند عند.." وأخذ يقلب على الشاشة أمامه، ثم توقف..:"نعم، عند مكتبات السلالم!"

"السلالم؟" تعجبت

"نعم يا سيدي، السلالم، مكتبة جديدة في وسط المدينة، لا أعرف لماذا سماها هذا المجنون بهذا الاسم؟"

"من صاحبها؟ وكيف يفتحها وسط حيتان وسط المدينة؟"

"لا أعرف، إنه مجنون، حتى تصميم المكتبة لا يترك قيد أنملة إلا وضع فيه كتاب أو قصاصة ورق أو قلم! أما صاحبها، فاسمه..." دقق

fb/mashro3pdf

رنين.. ثم.. "سامو عليكو.." رد رجل ذو صوت أبح ريفي

"وعليكم السلام.. مروان عبد اللطيف من دار السلطان للنشر والتوزيع يا فندم"

"سامو عليكو... الووه..الووه" صاح الرجل

"يا حاج..أسمعك جيدا لست مضطرا للضجيج.."

"ألوووه.. من يتصل..ألوه.." ثم غمغم لأحد ما جواره "لا أسمع شيئا هناك وش شديد. لا أعرف.." ثم ثواني "جاء صوت صارم لشاب "السلام عليكم"

"وعليكم السلام.."قلت بنفاد صبر.. " مروان عبد اللطيف من دار السلطان للنشر والتوزيع معك يا فندم"

"ألو.. فلترد أيها الوقح..ألوووو.." ثم أغلق الخط..

ماذا يحدث؟ حدقت في السماعة بوجه لا دم فيه.. "أغلق الخط.." همست بحنق..

"ما المشكلة" سأل يوسف في انزعاج، أخذ السماعة وأخذ يقلب فيها ويضبط الأسلاك ويرى أهناك مشكلة أو أخرى. فتح السماعة.. ضغط مرات على زر الحرارة، نظر متعجبا للسماعة، ثم طلب الرقم مرة أخرى.. لحظات..:"وعليكم السلام.. حاج توفيق..أخبارك.. يوسف من السلطان..أهلا وسهلا أهلا كيف الحال يا حاج، والمهندس حسام ما أخباره؟ الحمد لله.. كنا فقط نريد أن نراجع بعض الحسابات والجرد....."

لم أتوقف عن هز رأسي في عدم تصديق.. هناك شيء خطأ.. بدأت أقلق.. أمسكت حنجرتي.. بلعت ريقي أكثر من مرة أتأكد من وجودها..

موجودة؛ إذًا ما خطبها؟

fb/mashro3pdf

"الله يخرب بيتك رجل نصاب!" تمتم يوسف وهو يغلق السماعة بغضب."الرجل الوسخ يراوغ في الحساب وهو يبيع أكثر من أي مكتبة، بل لا يقتصر نشاطه على بيع كتب دور النشر، أيضًا له منشورات يأكلها الناس في كل مكان.." قال غاضبا لي..

"امممم.. لكن ألم يكن هناك مشكلة في الاتصال.." سألت متوترا..

"مشكلة؟" عبس يوسف.."آه.." نظر للأسلاك.."لا لقد كان الاتصال جيد جدا.." ثم نظر إلى الشاشة:"دعنا نتم هذا المخروب"

"لا..اتصل أنت هذه المرة.."

ضحك وأمسك بالهاتف.. أمليت عليه: "مكتبة السحاب.. 245********"

طلب الرقم، لحظات..:"وعليكم السلام، مكتبة السحاب..أهلا وسهلا.. معك..."

اختطفت من يده السماعة:"معك مروان عبد اللطيف من دار السلطان للنشر والتوزيع"

"ألوو..ألوو.."

"بل أنا الذي أقول الووو يا أحمق.."صرخت فيه..

"ألو..ألوووووووو.. لا أسمع شيئا..."

استرد يوسف السماعة بغضب..:"نعم نعم سيدي... معذرة.. الخطوط متشابكة..
جيد الآن..تمام.. نعم.. معك يوسف أبو طالب من دار السلطان للنشر والتوزيع..
أهلا وسهلا.. من معي.. مكرم..أهلاااااا..أين أنت يا رجل أوحشتني.. ياه.. معرض الجزائر.. هاهاهاها.. هاهاهاها.. يا شقي... هاهاهاها."

fb/mashro3pdf

أرتعش خدي الأيمن، وأنا أحدق في يوسف، قمت قاصدا الحمام.. نظرت في المرآة.. نظرت جيدا.. هناك شيء خطأ.

مسحت جبهتي.. وجدت شيئا لزجا.. نظرت

سائل لزج..

عرق؟

لكنه شديد اللزوجة...

غسلت وجهي جيدا.. وجففته في ملابسي..

خرجت..

"مروان!"

ارتجفت؛ إنه صوتها..: "مي!"

"أخبارك؟؟" قالت بإشراق

"الحمد لله، كيف حالك أنت؟"

"تمام.." ثم ابتسمت بوداعة، ومرت أمامي.. ثم التفتت بنعومة: "بالمناسبة.. شعرك اليوم أحلى من أي يوم! " ابتسمت وذهبت..

أمسكت شعري، كان لا يزال رطبا من كريم الصباح.. مسدته بثقة، ثم قربت أنفي من يدي.. رائعة رائحة الكريم..

ابتسمت وعدت إلى يوسف. كان غارقا في نوبة من الضحك مع صديقه مكرم من مكتبة السحاب.. ابتسمت أكثر.. كان يطرق المكتب بشدة من الضحك ويقول: "يخرب بيت النساء اللاتي ضيعونا يا حاج! الرجل منا قد "ساح" "

ضحكت..

fb/mashro3pdf

"أسير في الشوارع..

أنظر في الوجوه

وجدت الهم جامع

سطوته على النفوس

أسير في الشوارع..

أنظر..

أنظر.." دندنت وأنا أتابع واجهات المحال الزجاجية. كان الخريف. الجو يهذي في رماد السحب، وعفرة عظيمة تملأ الدنيا تنتظر المطر، ويطير وسطها أوراق الشجر الذابلات، والبرد يسري بخفوت يبشر بشتاء قريب بارد.

الناس تجري هنا وهناك، تختبئ، تستعجل الوصول للمنزل حيث حساء العدس الساخن الثقيل بدفء الأعضاء، يلهب الرغبات. لكني لم أكن متعجلا. فضلت المشي قليلًا بعد يوم شاق من العمل. واجهات المحال تعرض ملابس الشتاء أخيرا، عسى أن أشتري شيئا جديدا.

أنتقل من رصيف لآخر، ألمح امرأة ممتلئة في عباءة شعبية أتابعها قليلًا قبل أن أفادي عربة بائع جائل يجرها أمامه، أنظر له باشمئزاز، يعتذر بغلظة، فلا التفت إليه وأتمتم:"ابن عاهرة". أتابع واجهات المحال بنظرات متتابعات، البناطيل سيئة هذا العام، والسترات غريبة الشكل، هل سأعثر على شيء؟. مانيكان أنثى جميلة العيون يرتدي عباءة، وآخر عار بجمود يلتف حولهما فتيات في شعور مصبوغة تخرج من تحت الطرحات، وكل منهن يضعن أيديهن في وسطهن عسى أن تبرز مؤخراتهن، وعيونهن لا تتوقف عن البحث عن متابع، **"تعرف يا مروان؛ العاهرة دائما عيناها لا تتوقف، دائما يمينا ويسارا، ابنة**

fb/mashro3pdf

الناس، عيناها في الأرض!". طفل يتوسد امرأة شمطاء تستجدي الرائح والقادم، وتتباكي بينما ترنو إليها شحاذة أخرى عظيمة الجسد بحقد وكراهية. الأحذية أيضًا سيئة حتى الجلدي منها خراء. مر جواري رجل، صدم كتفي بكتفه من الخلف، نظرت إليه شزرا، لم يلتفت حتى إليّ ابن العاهرة، كان يحيط فتاة بذراعه، فتاة مومس يضع يده حول وسطها يحميها من الزحام. هاه! ويدلي ذراعه قليلًا لأسفل يحمي مؤخرتها. "من الممكن أن تكون خطيبته؟". هه لا يهم.. آه.. هذه السترة رائعة. بلون البني المحروق، وهذا البلوفر أيضًا رائع.

وقفت أمام الواجهة أتأمل السترة والبلوفر. أظنهما يناسبا لون بشرتي، حتى المقاس. سيناسبني مقاس المانيكان. مي تميز الجمال بعينيها الفهديتين وتمتدحه. ابتسمت. مي مي مي مي مي مي. هاهاهاها. سيناسبني هذا الطقم.

دخلت المحل، استقبلني شاب ابن عاهرة بملامح مستنكرة، ابتسمت: "أريد قياس هذه السترة البنية وهذا البلوفر الكراميل!"

"الكراميل؟" سأل بقرف وهو ينظر إلى جبهتي

"على ما تنظر يا بن الزواني!" قلت في نفسي "نعم هذا الطقم، السترة البنية والبلوفر ال.."

أومأ، وذهب إلى الداخل وأتاني بهما. بادلته النظرة بأكثر خراءً منها.

دخلت حجرة تبديل الملابس. وضعتهما على العلاقة، خلعت سترتي. لكني لمحت شيئا أسود كبيرا على جبهتي، وأنا أخلع القميص. اقتربت بسرعة من الزجاج في هلع. "سحقا!". كان شيء كقشرة جرح متجلط. حككتها. حاولت أن أزيلها. لكن لا شيء. بل شعرت بألم، كأن هذا الشيء ملتصق بجلدي. "سحقا، ارتديت سترتي مرة أخرى، خرجت من حجرة تبديل الملابس، سألت الشاب: " أليس لديكم ماء؟"

"ماء؟" سأل مستغربا

fb/mashro3pdf

"ماء. ماء.. أريد أن أغسل وجهي!"

نظر ذات النظرة بنت العاهرة، وأشار بذراعه لليمين: "المحل المجاور؛ حلاق"

هرعت نحو محل الحلاقة. فوقف الرجل الوحيد مبتسما لي. لم أعيره انتباها. كان هذا الشيء الأسود يزعجني. فتحت الصنبور، وأخذت أغسل وجهي، وموضع الشيء هذا، كان ملتصقا بجبهتي. استخدمت بعض الصابون. ومع التدليك، بدأ يتفتت هذا الشيء،"ما هذا؟"، نظرت في يدي، فتات أسود مخضر. استمررت في غسل موضع جبهتي. حتى تفتت القشرة مرة واحدة..

تأملتها.."ورقة شجر؟ ما يجعل ورقة شجر تلتصق بجبهتي؟"

"هاه؟" قال الحلاق الذي نسيته تمام

نظرت له بلامبالاة. عدت أتفحص وجهي، أثر الورقة محمر، لكنها ذهبت تمامًا. غسلت يدي، وقد بدا الماء موحل بشكل ما! "هل كنت قذرا لهذا الحد؟" تأففت.

"يا أستاذ؟" قال الحلاق بابتسامة باردة.

"يووه. أعرف أعرف.. تريد أجرتك.." فتح فمه السمين وانزلقت نظارته على أنفه المتعرق. تأففت. وضعت له جنيهان على المنضدة وعدت أشتري السترة والبلوفر.

fb/mashro3pdf

نظرت الفتاة إليَّ بارتياب وهي تمضغ اللبانة في عصبية.

سألتها بثقة: "كم الحساب؟"

ظلت تنظر إليَّ بتوتر.

ابتسمت لها.

قالت بسرعة: "453 جنيه"

"هل يمكن أن تلفيهم كهدية؟"

حدقت بخجل: "ليس عندنا.."

"حسنا حسنا..تفضلي.."وذهبت

fb/mashro3pdf

"أستاذ مروان!" صاح جمعة صاحب العمارة بصوته الدقيق.

"خيرا يا حاج جمعة؟" أجبته بحنق بالغ دون أن ألتفت إليه.

"ألا ترد عليّ وجها لوجه؟"

قلت ضاغطا على ضروسي. "أأمرني يا حاج جمعة". ألتفت إليه دون أن أنزل درجات السلم التي تفصل بيننا.

"ألا تنزل إلى هنا نتحدث كرجلين جارين متحابين؟" سأل بصوت عال.

اقشعر جلدي من اكتساح الكراهية داخلي، نزلت ببطء ثقيل، حتى وقفت أمامه، تفوح منه رائحة الصابون، وابتسامة عريضة تعلو وجهه المستدير. بعويناته العظيمة.

"كيف حالك يا بُني؟" ومسح التراب من على سترتي ببرود، فرفعت أنفي رغم عني.."ماذا تريد؟"

أنزل يده. "كنت أود أن أذكرك فقط بالإيجار!"

"إيجار؟" عبست "إيجار ماذا؟ اليوم هو العشرون!"

"أعرف أعرف أعرف... فقط.. أذكرك أن هناك عشرة أيام، فجهز حالك فقطا"

لجمني الغضب.. اقتربت منه ببطء. تراجع قليلا، ولمحت خلفه وجها شاحبا، بنظارة تشبه نظارته، تخفي عينين كبيرتين، ثم همس مفضوح:

"ماذا قال يا جمعة؟"

"لا شيء يا كريمة!"

"لا شيء؟" سألته بفزع

"لا شيء.."

fb/mashro3pdf

"وبعد؟ ماذا لو لم يتذكر وجاء يعتذر لنا؟ وأن تعرف هم لا يقدرون الظروف!"

"أعرف أعرف، لكنه يتذكر على كل حال.."

"لكن يا جمعة.. هو أعزب.. قد ينسيه طيش الشباب، وينفق أمواله على الشقاء من خمر وموسات وخلافه.."

"كريمة!"

"اصمت أنت قل له ما أقوله لك. ذكره مرة أخرى"

"كفى.. سيتذكر.. يبدو مرهقا.. يبدو.. غاضبا."

"كيف؟"

"هل ترين السواد والتراب الذّين غبرا وجهه"

"الخمر والمومسات!"

"ششش.. لا كريمة.. لا.. إنه العمل.."

ضحكت:" يعمل؟ كذب.. لم يعد هناك أحد يعمل منهم..الحكومة ستعدمهم جميعا!"

"كريمة..اصمتي.."

اقتربت أكثر مشتعلا من الغضب. العاهرة تُلمح لعمر! فندا منها صرخة فئرانية، احتمت بجمعة الذي أغلق الباب أمامي بذراعيه.

حدقت فيه بتقزز شديد، بصقت عليهم، استأنفت الصعود..

"ماذا قال؟" سمعتها تهمس مرة أخرى

"قال:اتفووه، قال اتفووه يا كريمة" همس بذات النبرة

"وماذا تعني اتفووه؟"

"من يعلم؟"

"هه.. صحيح!"

fb/mashro3pdf

التراب التراب التراب..أكره التراب، التراب وكل الخريف.

وضعت الملابس الجديدة على الأريكة.ألقيت المفاتيح على المنضدة، خلعت سترتي، الحذاء، الشراب.

"سحقا لهذا العرق اللزج المقيت، وسحقا لكل هذا التراب الذي يغطي وجهي، ما هذا، كيف يعلق بوجهي؟ تؤ.. يا للقرف.." بدأت اغسل وجهي والماء الموحل ملأ الحوض "سحقًا.." أغلقت الصنبور بعنف، وخلعت ملابسي، وفتحت الدش.

انهمر الماء الدفيء فوق، بدأت كالعادة بتدليك رأسي حتى يلين شعري، ومن ثم ينساب الماء من عليه سريعا. هل من الطبيعي أن تمتدح مي شعري؟ ليس شيئا طبيعيا أن تمتدح فتاة شعر زميلها، "**أفضل من أي وقت سبق!**" هاها شيء مريب. مريب، ولا أستطيع مقاومتها قط، خاصة، عينيها الفهديتين، جسمها البض.

آه. هلا يرافقني الآن تحت الماء! أوووف

ملأت شعري بالصابون حتى استغل الرغوة التي ستخرج معه فلا أستخدم اللوفة، أكره اللوف. أنظف الإبط، والعانة. العانة مهمة. أدلك باقي جسدي سريعا، أفضل مرحلة الماء على مرحلة التصبين. لكن لماذا يلين جسدي هكذا في يدي؟

مي؟

جسدي المسكين لا يتحمل حرارة التفكير بها. نعم. جسدي يستحضر ليونة جسدها. نعم. قبيح هو هذا العالم دون الكائنات الأنثوية الرائعة. نعم. لم يكن للحنان وجود وسط الصدور الذكورية الجافة المشعرة. كلا. الحنان يملأ صدورهن اللينة. الرائعة. نعم. مع اللبن.. لا لا أحب اللبن، رفعت ذراعيّ كالمصلوب. انساب الماء. أقف

fb/mashro3pdf

هكذا نصف ساعة. أو على قدر مزاجي. أو للأبد.

ماذا يعني الوقت؟

لا يعني شيء. إذا احتجته يأتيك النوم يأكله، وإذا أردت النوم، الاستحمام، الاستجمام. يأتي الوقت ويشعل في رأسك موقد الأرق البارد. ولكن فليمر، ما الفائدة. المهم أن أجدها يوما هنا. هنا تحت هذا الدش تحتضنني وترتكن على صدري. نجتمع جسدين في واحد. وروحا واحدة..

ونطير.

نطير لأعلى في نشوى وسعادة.

لكن هل تكون السعادة تامة يا مروان؟

هل ستصل للسعادة يا مروان؟

أظنه يوما بعيد.. يوم بعيد. كالموت. حينما يدفن كل البشر. ويظل بعد شواهد القبور. يحفر أسماءهم عليها. ماذا سيكتب الموت على قبري؟ ماذا سيكتب الموت على قبري. سيكتب ما أشعر به؟ هل سيخبرني بما أشعر به؟ يا للشفقة يا مروان.

أغلقت الصنبور. تنهدت. أسندت رأسي على الحائط قليلًا. وخرجت.

fb/mashro3pdf

لا أريد أن أذهب للعمل اليوم. أظن أن الجو سيكون أكثر مرضا. رائحة صابون الاستحمام أمس لا زالت في شعري، وملابسي تحت الأغطية. ياه يا للدفء صباحات الجمعة من عشرون عاما تشبه هذه اللحظة. كانت رحمة صباحات الجمعة. لم أحب المدرسة. رغم أني متفوق لكني كنت أستيقظ كل يوم مبكرا جدا، أحتسي اللبن والفطور. مبكرا جدا جدا. لماذا؟ كي تكون منتبها.. يا أماه! لقد انتبهت بما يكفي، حتى أني لم أعد أتوقف عن ملاحظة نفسي أذوب في المرآة. لا بُد أن **تكون منتبها جدا كي تفهم ما يدور في الفصل وهذا لا يتحقق إلا بالفطور الجيد.** نعم. صدقت فلم أفوت أي شيء حدث في الفصل. يا ليتني فوّت. كيف تكون إذا سألك المدرس ولم تجب؟ كان في الواقع يضربني بالعصا ثلاثا وهو مخذول مني! كان يدعى كمال. لم أرى أهيب منه في المدرسة كان يعرف كيف يوصل المعلومة إليّ. كانت الثلاثة صفوف الأولى للحمقى الذين لا يفوّتون حصة. أما من كان في الخلف.. **كان مبكرا جدا مبكرا جدا جدا.**.أستيقظ، أفكر في الثماني أو تسع ساعات. كيف سأقتل أحدهم. كيف سأتحاشى هذا الفأر ممدوح. كان طفلا صغيرا أسمر لا يتوقف عن العرق، كان يملك أثقل ظل، فلا أقاوم سماجته إلا قليلًا. كنت أجلس جواره، وجوار هشام الطفل النظيف جميل الوجه. تفخر بالجلوس جواره. مثل عبد الرحمن. **أجمل أطفال العالم. الثالث والعشرون من أغسطس منذ قليل من الأعوام. رأيته بين يدي أمه. ابتسمت. قلت: "صباح الخير". قالت بإشراق: "صباح الخير أستاذ مروان. كيف حالك؟" قلت: "الحمد لله، كيف حضرتك؛ هذا ابنك؟" فأومأت. حملته عنها. هدهدته. ضحك فامتلأت سعادة غريبة. قبلته في رأسه. أعطيته لأمه. يومها كانت مي قد وصلت الدار كزميلة في العلاقات العامة. كانت تشبه عبد الرحمن. أو عبد الرحمن يشبهها. كانت تتفجر منها الطفولة. الطفولة**

fb/mashro3pdf

قضيتها استيقظ مبكرا مبكرا جدا جدا. أشرب اللبن كي لا يتوقف رأسي عن تجميع أكبر معلومات من الفصل الأستاذ كمال يشرح وهم يكتبون خلفه والآخرون يراقبون البنات يعبثون بشعر إحداهن. "**مروان: أي معركة فصلا في تاريخ الحروب الصليبية؟**" ينحصر كل شيء متركزا
160 في نقطة واحدة أظل أحدق فيها! كيف تكون إذا سألك المدرس ولم تجبه؟ ثلاثة عصيان وهو ينظر إليّ مخذولا!

ترن..ترن..

من يريد ماذا مني؟ لو كان يوسف لن أرد على أمه! هو ابن العاهرة.. صمتا صمتا.. لن أذهب اليوم. شممت كياني الدافئ. آه صباحات يوم الجمعة!

fb/mashro3pdf

"ألو..."

"ألو.."

"مي.." قلت مبتسما

"ألو..."

" مي؟" سألت بتوتر

"ألو..ألو.."

"..........."

"أرجوك ابتعد قليلًا عن الهواء؛ لا أسمع شيئا!"

أغلقت الخط.

fb/mashro3pdf

كان يدعى "حطاب" ورث مهنته من أبيه الذي ورثها عن أبيه الذي ورثها عن أبيه.. وهكذا وصولا إلى غراب قابيل! حطاب يقول ذلك دائما. أنه ورث مهنته عن غراب قابيل. بل أنه انحدر من نسل هذا الغراب. هو يؤمن بذلك. لا أعرف شيئا عن هذا الهراء. حطاب دائما يهذي بهذه الأشياء. لا أعرف من حشا عقله بهذه الترهات. لكنه يعتقد في هذه الأمور بالفعل! دائما يثبت أسطورته بأنفه الطويل المعقوف. عيونه الغامقتان المدفونتان وسط هالات سود عظام. وله صوت نعاب أخنف!

"لماذا دعوك حطاب؟"

"أستاذ مروان..أستاذ مروان.. كل ليلة تسألني هذا السؤال!" يتأفف

"قل يا رجل. انسى انسى!"

"حالك يسوء يا رجل! هزلت وأصبحت لا تُرى!"

"صدقا؟" سألت برعب

أومأ وقال: "كان يوم مظلم، لا نور. إلا ضوء الشموع. تجمع ثلاثة عشر غراب عند الشباك. ملأت أمي الدنيا صياحا، والقابلة تعاملها بالماء الساخن حتى تسترخي وأخرج. فجأة خفتت الشموع. خفتت.." نظر في الأفق المليء بشواهد القبور. طقطقت جمرات النارجيلة باسترخاء. نظرت إليها. ابتسمت: "هه؛ فعل الحشيش فعلته.."

"جرى أبي وسط الجيران وسط الجيران يطلب الحطب كي يوقد النار. لكنهم نبذوه؛ يكرهونه خوفا منه. قال أحدهم يوما لي: كان أبيك وقادا للنار بيننا حتى يعمل، ويكسب. لكني لم أضع رأس أبي في التراب قط! انزلقت من رحم أمي بين يدي القابلة. لكني انزلقت من يديها. سقطت على كومة القش. فطار القش وسط النار. فاستعرت. نعبت الغربان

fb/mashro3pdf

الثلاثة عشر.

"وصفق الجماهير للبطل الوليد، ولفرج أمه الجريح" ضحكت في مجون.

عبس: "يووه أستاذ مروان. دائمًا تسخر مني هكذا!"

"لا لا.. أنا أهرج. اممم كيف حال الحشيش؟"

"أستاذ مروان ألا تذهب للطبيب؟"

عبست متوترًا: "لما؟"

"أنت لم تعد كما كنت؛ حالتك غريبة!"

"كيف؟"

"هزلت. فقدت شيئًا ما. أصبحت لا أعرفك. ولا أراك. أنت جالس معي لكن هناك شيئًا فيك تخفيه عني"

عضضت شفتي السفلى. قمت في صمت. عدت للمنزل.

fb/mashro3pdf

"أريد أن ألف هذه هدية!"

"أمرك.." ابتسم الشاب في محل الهدايا. "اختر حضرتك صندوق الهدايا المناسب" 164

"هذا.. نعم هذا.. الأحمر ذو القلوب.."

ابتسم.." إذا سمحت" أشار إلى ما في يدي.. أعطيته الكيس. نظر فيه مبتسما. ثم صُدم. ازدرد لعابه. حدق في.

"هدية!" ابتسمت بثقة.

نظر للكيس مرة أخرى مندهشا ثم ابتسم.

ووضعها في الصندوق ولفها.

fb/mashro3pdf

تذهب بعيدا. بعيدا. كلما رفت روحها حولي ما تلبث أن تطير بعيد. بعيد جدا جدا جدا. كفراشة تقترب من أنفك تدغدغك. فإذا اقتربت منها. تطير. كشعري كشعري الذي يتساقط. ولم يتساقط ابن العاهرة إلا عندما اثنت عليه. إلا عندما أثنت عليه مي. رغم أن أبي وأعمامي وأخوالي لم يكن أحد منهم أصلع. حامد صديقي الصيدلي وعدني بمستحضر ينقذ شعري. سحقا ماذا لو عادت من إجازتها الطويلة القاسية، القاسية جدا جدا ووجدت شعري وقد طار. **طار الغراب وحط على ذراع الكرسي ونعب فنخر حطاب. وقام يرقص طربا. نظرت إليه ببلاهة. ابتسم وقال: "زبون جديدا" ازدردت لعابي.** لعابي جف وأنا أستجدي ابن العاهرة يوسف اسأله عنها "متى تأتي؟" وهو يهز رأسه كأنه لا يعرف. يا للشفقة. كل يوم أتصل بها ودائما: **"أرجوك ابتعد قليلاً عن الهواء؛ لا أسمع شيئا!"**. أغلق الخط ولا أجد سوى الوسادة أحتضنها. أو أطرق باب جارتي. فيفتح عبد الرحمن ذو الثلاث سنوات فاحتضنه بشوق. **أنت تشبهها يا عبده أنت تشبهها جدا. العينين الوجنات الوردية. أنا أحبك كما أحبها يا عبد الرحمن أحبها أحبك أحبك!** أحبها واحتضنها تحت الدُش كجسد واحد تحتضنني وترتكن على صدري. نجتمع جسدين في واحد. وروحا واحدة.. ونطير. نطير لأعلى في نشوى وسعادة. لكن هل تكون السعادة تامة يا مروان؟ هل ستصل للسعادة يا مروان؟ **السعادة لا تكون في الموت دائما يا مروان. يموت الأشرار ويتعذبون في القبور. العاهرات السارقون. النصابون. القتلة. الشواذ.** أمتعض أمتعض أمتعض **لا يا سيدتي أنا أحب عبد الرحمن كأخي الصغير طبعا. أليس كذلك يا عبد الرحمن؟؟** أمتعض أمتعض أمتعض منظري أصبح كقواد أو صبيه بهذه الرأس ذات الشعرات المريضة. امتعض ما هذا الوحل الذي ينزل من ماء الحموم. قذارة قذارة. ماء ماء. نظافة. أكره اللبن. **لا يا أمي اليوم**

fb/mashro3pdf

إجازة. لن أذهب. لن أذهب. لا تسبيني. اصمتي. اصمتي. يوووه سأذهب لهذه المدرسة اللعينة. نعم لن أجيب على كمال وليضربني فليضربني، لأضربه. سأضربه إذا ضربني بالطبع. سأضرب.. أضرب الهاتف لم يعد يرد قط. سحقًا. سحقًا على كل شركات الاتصالات. فليذهب أصحابها أبناء العواهر للجحيم. سألغي اشتراكي. ما أهمية أن أشترك ومي.. مي.. مي لا تسمعني قط. فقط تقول "أرجوك ابتعد قليلًا عن الهواء؛ لا أسمع شيئًا!"ما أهمية خط الهاتف إذا كان هناك عطل أصيل فيه؟ لكن يوسف لديه شيء يخفيه. إنه يكيد لي. تراه يحبها هو الآخر. سحقا له ولمن أنجبوه! إن كل الناس يسمعونه ولا أحد يسمعني. لا أحد يسمعني. تبا! سأتصل به أقتله! "ألو..."

"ألو.."

"ماذا فعلت بمي يا كلب!"

"ألو..."

"ألو..ألو.. أسمعك يا كلب يا بن الكلب"

"ألو"

"..............."

"أرجوك ابتعد قليلًا عن الهواء؛ لا أسمع شيئا!"

أغلقت الخط.

fb/mashro3pdf

"تعرف يا مروان؛ العاهرة دائما عيناها لا تتوقف، دائما يمينا ويسارا، ابنة الناس، عيناها في الأرض!"

نظرت حولي في وجوه بنات الفصل بترصد.

ضحك. وضربني على ظهري:"يا خروف، ليس الآن. أنتظر عندما نكون في الفسحة. وستجد كل واحدة على حقيقتها"

نظرت ناحية الفتاة ذات الشعر الأحمر. كانت عابسة في اللاشيء. لماذا شعرها أحمر؟ نزلت عيني على صدرها. ازدردت لعابي. عضضت باطن شفتي السفلى. جلت بنظري على صدورهن جميعا. لا هي الأجمل. هي الأكبر. وتنورتها القصيرة الرصاصية. آخ. ركبتيها ورديتان. وركيها.

حدقت فيها عابسا. أمس أمسك بها الصبية من ذراعيها. صرخت. فكتموا صوتها بأيديهم المتربة. استكشفوها سريعا. وأنا أراقب من بعيد. ازدردت لعابي. قبلها علي في رقبتها. أمسك أحمد بفخذيها كالأحمق. أحتضنها أخر من الخلف. وأنا أراقب فقط من بعيد. فتح علي القميص. حدق في صدرها وهي تحدق فيه بخوف بعد أن أصبحت كتمثال. لماذا شعرها أحمر؟ جس صدرها بأصبعه. مر طيف بسرعة من خلف الشباك. انبطحوا جميعا. وأنا أراقبهم فقط. أفلتوها إذا. جرت وهي تزرر القميص. ازدردوا لعابهم جميعا. وارتكن كل واحد منهم على شيء. وقفت عند الشباك أتابع تنورتها تطاير مع ركضها. قال أحمد: "إن اشتكتنا ضعنا!". نخر علي. أغمض عينيه. هرش عانته. ازدردت لعابي. نظرت من الشباك. ثم جلست على المقعد أتذكر كل تفصيلة.

"مروان؟"

حدقت في أستاذ كمال.

"أي معركة فصلا في تاريخ الحروب الصليبية؟"

ازدردت لعابي. فنحت يدي.

fb/mashro3pdf

-13-

"مروان!" قال يوسف بقلق.

تنهدت عابسا.

"مالك يا رجل؟" اقترب مني 168

"ماذا؟" سألت بضجر

"أين كنت؟"

"ماذا؟" نظرت له باشمئزاز

"مروان. أين كنت؟ أين أنت؟" ونظر لي من أعلى لأسفل بإشفاق

"ماذا تريد؟"

"أين تذهب؟ أي حال هذا؟ أين شعرك؟ أين روحك حتى؟ أين أنت؟"

"أي هراء تقول؟ أين مي؟"

"مي؟"

"مي شوقي؟ زميلتنا. أين هي. لم أرها منذ أسبوع؟"

"أنت لم تأت الشغل من أسبوع!"

"أنا؟ بل هي!" كم هو شخص كريه

"مروان. لا بُد أن تذهب للطبيب"

صرخت:"أنا لست مريضا"

"الهزال يأكلك.."

"سحقا. كف عن هذا." صرخت. نظرت للحاسوب "هيا فلنستأنف العمل. أين توقفنا أمس؟ لكن أرجوك كف عن العبث بسماعة الهاتف! هذا يؤذيني!"

fb/mashro3pdf

"سماعة الهاتف؟" سأل وكأنه لا يفهم ابن العاهرة.

"أرجوك لا تراوغ. لا أفهم كيف تقابلني حاسر الوجه هكذا!؟"

"مروان؟"

"حتى هاتف المنزل تتلاعب فيه؟"

"لقد اتصلت عليك ألف مرة يا رجل ولم ترد يا رجل؟" صاح

"الهاتف تالف!"

"لا أنت ترد كل مرة ولا يأتي صوتك. وش فقط!"

"الرحمة. ألم أقل حالا أنه تالف؟"

"مروان أنت متهالك!"

"متهالك؟" نخرت " من أين لك بهذه الكلمات. عساك تقرأ هذه الأيام؟"

"لن يمانع السيد سلطان من أن يمد إجازتك.."

ابتسمت. يا لحيل هذا الوقح. كل هذا حتى تمارس مكائدك الدنيئة على مي المسكينة في غيابي. أي قلب يملك كي يؤذي هذه الكائنة اللطيفة البضة. ألا ترده غمازاتاها ذاتا السلطان؟ لا. هذا الجلف كعصابة مراهقين لا يملأ عينه سوى اللحم الطري. نابه جائع. الناب الذي لا يعض يأكل صاحبه. وهو يريد أن يعض. لحما طريا. الورك. ألين من الصدور. دائما ما يختلط بالعظم فهو طري قالت جدتي يوما ما على المائدة. لكن علي ضربني على قفاي. لا الصدر ألين. أنظر. لم أنظر لم أنظر المرة الفائتة رفدتهم المديرة على فعلتهم. وذلك بعد أن جعلت الفتاة ذات الشعر الأحمر تصفعهم أمام الفصل كله. نظرت له. وركضت. وأصبعه المغروز في صدر الفتاة ذات الشعر البني هذه المرة. ركضت. جلست في ركن قصّي من الفناء. كانت تجلس ذات

fb/mashro3pdf

الشعر الأحمر. بعبستها الجميلة. الفخورة. لماذا شعرها أحمر؟ نمش دقيق كان حول أنفها. دق قلبي. كان أنفها مدور صغير. جميلة. نظرت إليّ بعيني قطة. ابتسمت لي بغرور. لماذا عيناها تشبه عين القطة. الفهد. مي مي مي نظرتُ لأعلى ناحية الفصل. ابتسمت مرة أخرى لي. نظرت للأرض في خجل. حمقى أبناء عواهر أصبح صبية فصلنا سخرية كل الفصول. رنوت إليها على استحياء. كانت تقرأ مع أحد زميلاتها قصة ما. ركضت نحوهما الفتاة ذات الشعر البني تبكي. وقالت لهم شيء. فانتصبت ذات الشعر الأحمر في هيبة مخيفة. وجرت الفتيات خلفها نحو حجرة الناظرة. ازدردت لعابي. جريت خلفهن. دخلن الحجرة في أشبه بالمظاهرة. انتصبت المديرة: ماذا هناك؟ صرخت. حكين لها. لاحظت الناظرة وجودي. سألت الناظرة: هذا؟ فصرخت. لا لا لا. أنا رأيت علي وأحمد وسعد وصلاح وراغب.. صاحت المديرة خلفي.. ورفدتهم أسبوعين. ضربتهم ذات الشعر البني. وضربني باقي صبية الفصل وقاطعوني أسبوع. أسبوع أسبوعين أسبوع أسبوعين لم أرَ مي قط مي مي بعيدة بعيدة كفراشة. كفراشة كفراشات في الفسحة تقافزن حولي في فناء المدرسة. انكمشت في خجل حول نفسي. وقفت أمامي ذات الشعر الأحمر. تحلقن حولي الأخريات. قالت بعينيها القططيتين: نشكرك على ما فعلته معنا أنت لست مثلهم. نعم نعم نعم نعم نعم نعم. قالت كل واحدة نعم مرة واحدة. ضاقت الحلقة. نظرت إليّ ذات الشعر الأحمر. لماذا شعرها.. أحمر؟ اقتربت. نفسها تردد على أنفي. ازدردت لعابي. ضاقت الحلقة. أمسكوا بي. لم أقاوم. أكان في قوة لأقاوم؟ اهتزت ركبتاي. صهرتني عيناها القططيتان بل الفهديتان لا فرق. ابتسمتْ. أهلا. أنا مي شوقي. زميلتكم الجديدة في العلاقات العامة. ازدردت لعابي. نعم. أنا مروان. ضحكتْ. آه. أسنانها. آه. فتحت ذات الشعر الأحمر قميصي. ازدردت لعابي. نظرن بفضول. نخرت لهن جميعا: ليس هنا يا حمقاوات! توهج وجهي. نظرت باقتدار: هنا.

fb/mashro3pdf

نظرن باتساع عيونهن ليدها وهي تفتح سحاب بنطالي الرصاصي!
فتحت سحاب البنطال

"مروان!" صاح يوسف "ماذا تفعل ؟ استحي يا رجل"

فتحت البنطال.

"مروان!" هرع ناحيتي صارخا يتلفت حوله. "ماذا تفعل؟"

عبست له "أريد أن... أن... احم.. أتبول!"

"من هنا من هنا! يا الله يا رحيم!" جرني ناحية الحمام وهو يغلق لي الحزام. "هنا الحمام."

أغلقت خلفي الباب. أحمق. نظرت لقضيبي. بصقت.

"مروان. أنت بخير؟" قال من الخارج

ازدردت لعابي. "أين مي يا وقح؟" همست

"حاضر!" وسمعته يتحرك.

fb/mashro3pdf

-14-

"كل عام وأنت بخير!"

ابتسمت وانفرجت عينيها في بريق طفولي فرح. فبدت تشبه دولفين بريء. 172

"وأنت بخير. شكرا" همست

انشغلت بفتح الهدية. بينما درت حولها أستكشفها. درت حتى وقفت أمامها مرة أخرى. فتحت العلبة أخيرا. اقتربت منها.

همست: "ما هذا؟"

ابتسمت

حدقت في مصدومة. توهج وجهها.

ابتسمت بثقة.

صفعتني. وبصقت في وجهي.

ازدردت لعابي. سنبحث عن قطة أو إوزة أخرى. أو حتى سمكة (بلطية نعم.. بلطية!)!

تنهدت.

أغلقت الصندوق. وعدت ألفه مرة أخرى.

fb/mashro3pdf

أثر الورقة على جبهتي لم يعد. الملابس الجديدة أصبحت فضفاضة بعض الشيء. فضفاضة على نحو غريب. رأسي شاحب بشكل مزعج. الشعر عروق سوداء تتراقص عليها وسط عرق دهني سميك. وجهي ليس وجهي. وإن بدا كوجهي. عيني دليل دامغ على أني مروان عبد اللطيف. وإن بدت مفزوعة.

"لماذا دعوك حطاب؟"

".................."

"هاه؟ لماذا دعوك حطاب يا حطاب؟"

".................."

نظرت إليه، كان ساهما في أفقه المليء بشواهد القبور.

"لماذا يضعون هذا الشواهد؟"

"أمس، وجدت شاهدا مكتوب عليه:من الذي قتلك؟ "قال ودخان النارجيلة يتلاعب حول وجهه.

سألت بقلق: "ما يعني هذا؟"

"المشكلة أني لست من كتب هذه العبارة؟"

".................."

"ليس هناك أحد غيري يدفن أو يكتب على الشواهد!"

"هل تعيش وحيدا هنا يا حطاب؟"

"عندما مات أبي، لم يكتب فوق هذه الشواهد غير أزميلي" ونظر إلى يده

"أتظن أن سيكون منك طفلا يكتب فوق شواهد القبور عندما يرحل الجميع؟"

fb/mashro3pdf

"وأمس كتب أحدهم فوق شاهد: من الذي قتلك؟" سحب نفسا عميقا. نظر إليَّ بمهابة: "من الذي كتب فوق الشاهد؟"

ارتجفت: "لست أنا! لا أعرف!"

ابتسم " مروان أنت مسكين. أعرف أنه أحد الأشقياء. لكن من؟"

"وما يزعجك في هذا؟"

"كيف لا تعرف؟" همس

حدقت فيه قلقا.

"كيف لا تعرف؟" صرخ

جحظت في رعب: "هل لأنه مقتول؟"

"مقتول! كيف عرفت؟" سأل

"ألم يكتب: من الذي قتلك؟"

أومأ. لكنه قال: "من قال لك أنه جاد؟"

"تخمين فقط!"

نظر إليَّ بمكر، همس:"من الذي قتلك؟"

"كيف؟ أنا لا زلت حيًّا يا حطاب! أليس كذلك؟" سألت بخوف.

"أمتأكد؟ ألا تود أن تذهب للطبيب؟"

ازدردت لعابي. قلت بحذر: "أنا لست مريض!"

" مروان كف عن هذا!" استجداني

"لا لا لا لا لا لا لا لا لا لا لا لا.." صحت

"من الذي يصرخ.." صاح صوت مألوف

"أفق.. مروان.. أفق.." صفعني أحدهم.

"ماذا هناك.. ماذا يُبكيك يا مي؟" قال الصوت المألوف

fb/mashro3pdf

"مروان مريض يا حاج سلطان!" قال يوسف

"ألا يذهب للطبيب يا بني.."

"لست مريض يا أوغاد!" تمتمت

اقتربت وعيناها تحتضنني تحتضنني في جسد جسد واحد روح واحدة نطير نطير تحتضنني عيناها العسليتان الفهديتان بشفقة.. جثت جواري.. "اهدأ مروان.. اهدأ.."

اعتدلت في جلستي.. لماذا لم اشرب الماء.. ماء.. كوب الماء.. امتدت يدي.. شربت.. ماء ماء ماء.. نظافة.. شعرت بالأنفاس تعود إليَّ مرة أخرى. عاد الدم لرأسي. شعرت بنشوة دافئة. ورغبة في البكاء. لكن أبيت. أسندت رأسي إلى كفي. وقفت.

"إلى أين؟" سألني يوسف بقلق

"البيت!"

"سأوصلك للطبيب!"

"البيت!" همست

"سأوصلك!"

"أومأت.." نظرت لمي: "ليس جيدا أن أتصل بك كي أطمئن عليك ولا تردي. عبست وسط دموعها: "لم تتصل!"

"بل اتصلت!"

"متى؟" سألت باستغراب

"كل يوم في الأسبوع التي لم تأتين فيه"

"أنت من لم يأت يا عم مروان" قال الحاج سلطان

"بل أنت يا مي" قلت لها في وداعة

لم ترد. اكتفت بهز رأسها يمنة ويسرة بخفوت كأنها لا تصدق.

"هيا.." قلت ليوسف

fb/mashro3pdf

-16-

أخيرا..

اقتربت منها..

نعم هي تلك الشفاه.. 176

كانت تقف تنظر بلامبالاة للسحب تقريبا. وقفت جوارها وقد جمعت كل تاريخي في قلبي. ابتسمت في ثقة.

عبست. ابتعدت قليلًا. تبعتها.

نظرت بانزعاج لي.

"ممكن كلمة؟"

رمشت بتوتر. ولم تتخلى عن عبستها. فبدت كيمامة بيضاء بعيون نظيفة.

"أريد فقط أن أعرض عليك طلبا سنستفيد منه كلانا!"

رفعت شفتها الحلوة جدا جدا جدا باستنكار.

"أنت لا ترتدين دبلة. لم يخطبك أحد؟"

سكنت عبستها قليلًا.

"إذًا، أنا أيضًا كذلك."

قاومت بسمتها بالكاد. فابتسمتُ بثقة أكبر.

"إذن فكلانا لم يعرف حبا من قبل."

ابتسمتْ أخيرا. فاقتربتُ.

" وكلانا.. إحم.. لم يذق قط أي قبلة.. قط.."

عبست. جحظت.

fb/mashro3pdf

"لا تنفعلي. سأجعلك تقبليني. وتستكشفي حلاوة القبلة بنفسك. كذلك سأقبلك وأذق حلاوة..."

صفعتني. بصقت.

"يا آنسة.. انتظري. أنا لا أغرر بك والله.. أنت تحتاجين هذا كما أنا أحتاجه بالضبط. بل أنت تحتاجين أكثر مني.. يا آنسة..." سحقا.. لا فائدة.

fb/mashro3pdf

"من؟"

"أستاذ مروان!" صاح جمعة صاحب العمارة من خلف الباب.

"حقا" فتحت الباب في غضب.

"أستاذ مروان موجود؟"

"أنا مروان" صحت

"كاذب!"

"ماذا؟" همست

"أين أستاذ مروان؟؟ يا مروان.." أدخل رأسه وبدأ يصيح

"أنا هنا.. انظر إليّ ماذا تريد؟" دفعته في صدره.

وجم قليلًا. تفحّصني بعينيه المقززتين.

"الإيجار إذًا!"

"آخ.."

"أرأيت أستاذ مروان لا ينسى.. أنا أيضًا ذكرته.." قال فيما يبدو نبرة انتصار.

"ذكرته حين بصق عليك؟" قاطعته

"بصق؟" فكر ببلاهة

"لكن هل مر عشرة أيام؟" سألت

"اليوم هو الثلاثون.."

"انتظر" دخلت. تأكدت من النتيجة. مرت الأيام كأنها أمس. سحقا. جمعة هذا مزعج ابن عاهرة.

fb/mashro3pdf

"حطاب؟" كان مرتكنا على السرير جوار الدولاب. "ماذا تفعل هنا؟"

ابتسم: "لا شيء"

أومأت. أخذت الإيجار من الدولاب. هممت بالخروج. قال حطاب:"لم تعد كما أنت؟". رجعت إليه. كان ينظر للمرآة. "هزلت. فقدت شيئا ما. أصبحت لا أعرفك. ولا أراك. أنت جالس معي لكن هناك شيئا فيك تخفيه عني؟"

نظرت لما ينظر إليه..

"حطاب.. من هذا؟"

ابتسم إلي. عض شفته العليا. خرج.

طرق على الباب. "أستاذ مروان." صاح جمعة.

"حاضر" سآتي يا جمعة الكلب.

fb/mashro3pdf

"حطاب! أين شواهد القبور؟" سألت مندهشا

"ياااه! أخيرا لاحظت هذا؟"

"أيحدث هذا كثيرا.." 180

"نعم.." سحب نفسا من النارجيلة..

"لماذا؟"

"الموتى يسحبون الشاهد، يكتبون عليه ما يشعرون. ثم يدفعونها لأعلى مرة أخرى. فأدعو لهم بما يريدون. أو أجلس لأتحدث إليهم!"

"هراء!"

"ماذا؟"

"هراء.. كل ما تقول هراء يا حطاب؟"

"هاهاهاها"

"وأسطورة الغراب أيضًا.."

"هاهاهاها"

"جدك ليس غراب! كيف يلد الغراب آدميون.. الغربان تبيض.."

"هاهاهاها.."سحب نفسا.

"لماذا تضحك؟"

"إن كان كلامي هراء فلماذا تجلس معي؟"

"فراغ!"

"بل لأنك تبادلني الهراء!"

"اخرس يا نذل!"

fb/mashro3pdf

"ذات الشعر الأحمر هراء.."

"اخرس.."

"سحاب البنطال كذب.."

"اخرس.."

"صوتك الذي لا يظهر من التلفون.."

"هذا يحدث.. كله حدث.. لا أنتظر منك أن تصدقني.. لست سوى حانوتي نذل، تعاقر الخمر والحشيش"

"نقل الموتى عمل شريف!" سحب نفسا

"ها.. نقل الموتى.." نخرت..

"لا تهزأ.. ستنقل يوما ما!"

ازدردت لعابي..: "حقا؟" همست

ابتسم بوداعة:" كلنا.."

"أنا أشعر بهذا جدا هذا الأيام."

"اممم.."

"أنت تعرف؟"

"نعم.."

"كيف؟"

"أنت مريض.."

"نعم.."

"كف عن التفكير!" سحب نفسا وهو يراقب شواهد القبور تصعد لأعلى.

fb/mashro3pdf

"كيف؟ كل شيء يستدعي التفكير.."

"لا.. ليس كل شيء.."

"أين مي مثلا؟"

سحب نفسا طويلا: "هناك لحظات تمر في العمر لا نود أن ترحل، وهذه الأثمن؛ التي تستحق الذكرى والتفكير."

"لم أرها منذ زمن.."

"كل شيء يمر. العمر أسبق الأشياء للمرور. الموت يُعلم الكثير سيد مروان.." سحب نفسا

"منذ أن قالت أن شعري جميل وهو يتساقط.. وهي لم أراها؟ ما العلاقة؟" سألت في شجن

"لقد أمسكت بهذا الذي كتب:من الذي قتلك؟ على الشاهد إياه"

"حقا؟"

"نعم.. لكن هل عانى أحد أفراد عائلتكم من الصلع؟"

"لا. قلت لك قبل ذلك. من الذي كتب إذًا على الشاهد؟"

"عجيب؟ إذًا لماذا يتساقط شعرك؟ هل تتعالج بالكيميائي؟"

"كيف غافلك وكتب؟ كيف أمسكت به؟ أحكي لي؟"

" هل أنت مصاب بالسرطان؟"

"ماذا فعلت فيه؟"

"من؟"

"الذي كتب على الشاهد؟"

"كتب ماذا؟"

fb/mashro3pdf

"من الذي قتلك؟"

سحب نفس بهدوء: "لم يقتلني أحد؛ أنا حي أمامك!"

"حاطب!" صحت بملل

"نعم!"

"ماذا فعلت بالذي كتب على شاهد القبر:من الذي قتلك؟"

"آه.. لقد كان أحد الموتى. سحب الشاهد وكتب في الواجهة بدلا من أن يكتب على خلفية الشاهد؟"

"الموتى يكتبون على خلفية الشاهد؟" سألت مندهشا

"نعم.."

"عجيب! عندنا القبور عند العيسوي لا شواهد لها. مجرد يسدون فوهة القبر بالأسمنت ويكتبون عليها أي شيء."

"ثقافات!" سحب نفسا.

"اممم لكن ميت؟"

"نعم!"

"هل عليّ أن أصدق هذا!؟"

أومأ وعيناه ساهمة في الأفق والدخان يتلاعب حول وجهه.

"هل ذهبت للمدرسة يا حطاب؟"

"نعم. يوما واحدا!"

"اممم."

"ذهبت أحضر جثة طفل!"

"يا الله!"

fb/mashro3pdf

"ألقى بنفسه من أعلى المبنى عندما تحرش به أحدهم!"

"انتحر!"

"نعم. لك أن تتخيل!"

انتحر، انتحر! تأكدت من أن سحاب البنطلون مغلق جيدا. إذًا كان على أن أصعد أعلى المبنى وألقي بنفسي. **مروان عبد اللطيف عبثت به البنات! البنات يا خروف.. البنات.. تركتهم هكذا.. سحقا لكم.. أتريدونني أن أترككم أنتم يا أبناء العواهر.. هل (كان) خجلا في أيديهن أم أنك بهرتهن..** سحقا.. سحقا انتحر.. ضحكت غير مصدق.

"حطاب..أين قبر الولد؟"

"من؟"

"يا إلهي الرحيم! أترك هذه النارجيلة.. خذني إلى قبر الولد الذي زرت مدرسته مرة واحدة كي تدفنه"

"لماذا؟" سأل في جد

"أريد أن أراه!"

"نعم.. لماذا؟"

"أود أعرف ماذا كتب على شاهد قبره!"

سحب نفسا:"لا لم يكتب. لن يكتب. لقد اكتفى بمذكرة انتحار"

"ماذا كتب؟"

رفت عينا حطاب: "سرد ما حدث له. ثم أنهى خطابه بجملة أسير عليها في حياتي. كتب:

إنه لعالم مقزز؛ إذ يفطم عقل المرء على قضيب ومهبل

"مستحيل!" صحت.. "كتب هذا؟ الطفل كتب هذا؟ أنت تهذي. لا

fb/mashro3pdf

لم يكتب هذا!"

"والله العظيم هذا حصل!" سحب نفسا

"سحقا.. كيف كتب هذا؟ كيف كان عمره!"

"كان في الأول الإعدادي؟"

"أنت تهذي. لم يكتب ما قلته!"

تنهد في فراغ صبر. أرجع رأسه مستندا على الكرسي. تأملته قليلًا. نظرت لوهج الجمر. سرى البرد في رجفة الهواء. لمحت شيئا يجري.

"كلاب.."صحت

"نعم. تبحث عن عرس"

"العشاء..اممم.." استرخيت في الكرسي

نخر بخفوت: "بل للنكاح!"

اتفووووه

fb/mashro3pdf

بضة، خمرية قليلا، لها غمازة قادرة، وجهها مستدير في قططية مبينة، عيناها الفهديتان، هادئة ثقيلة، ميساء، ينبض قلبي لذكراها فقط، أو ذكرى ابتسامتها، عينيها التي بالكحل أو دونه يظل السحر 186
يرقبني منهما.

"مروان!" دخلت الحجرة في دلال

"مي!" هببت واقفا. شعرت بالحماقة. ضحكت. جلَست أمام المكتب. فجلستُ.

"كيف حالك؟" سألت مبتسمة

"أين كنتِ؟"

عبست غير فاهمة

"أين كنت من أسبوعين؟"

ابتسمت بعبوس يلومني: "مروان! أنت من لم تكن تأت لمرضك!"

"أنا لست مريضا!" قلت بهدوء

اكتفت بالابتسام وأومأت. صمتنا لدقائق. جال كل واحد بنظره في الحجرة. لا شيء أقذر من أن تنتظر شخصا ما لأيام كي تجلس معه وتتكلم. تتكلم فقط. وتخطط لكل ما تريد أن تقوله. لكل ما تود أن تقوله. وعندما يأتي تصبح كالأبله. تبتسم كالأبله. ترد كالأبله. وعندما تصمت هي كل الكلام الذي خططت له يخونك ويطير يطير ونطير. **نطير لأعلى في نشوى وسعادة. لكن هل تكون السعادة تامة يا مروان؟ هل ستصل للسعادة يا مروان؟.** كانت تنظر لأعلى في وداعة. وتهز رأسها وتدندن. أراقب تجليها الأجمل حين تندمج مع ذاتها. حتى لو انفصلت بنفسها عني للحظات. لساعات. الوقت الذي تتجلى فيه براءتها. **الوقت يشعل في رأسك موقد الأزرق البارد. ولكن فليمر، ما**

fb/mashro3pdf

الفائدة. المهم أن أجدها يوما هنا. هنا تحت هذا الدش تحتضنني وترتكن على صدري. نجتمع جسدين في واحد. وروحا واحدة.. وتصبح كالأطفال. خاصة عبد الرحمن أنت تشبهها يا عبده أنت تشبهها جدا. العينين الوجنات الوردية. أنا أحبك كما أحبها يا عبد الرحمن أحبك أحبك!

"أحبك!" همست

توقفت رأسها عن التمايل. توقفت الدندنة. حدقت للحظات في شيء ما. رمشت عينيها التي بالكحل أو دونه يظل السحر يرقبني منهما. مالت برأسها قليلًا. كأنها تريد أن تتأكد بسمعها من شيء. ابتسمت. رمشت.. رمشت.. رمشت. رفعت رأسها قليلًا وواجهتني بأنفها الصغير الجميل.

"أحبك!" همست

حدقت في قليلًا. انحسرت ابتسامة على طرف فمها. توهج وجهها بحياء لم أره من قبل. حياء جريء! حدقت في حيائها الجريء هذا بجنون. ببلاهة. رمشت رمشت رمشت. نهضت فجأة.

"أنت مجنون!" قالت باسمة وانصرفت.

خرجت في خطاها القططية المتدللة. العزيزة. سارت قشعريرة خافتة. وانحسرت عند وجهي. خرجت تنزع جزء صغير من روحي. وخرج خلفها يتبع. يقبل يقبل يقبل. كل خطوة بطيئة مدللة عزيزة.

ازدردت لعابي. أغمضت عيني. ورجعت برأسي على المقعد في خدر عظيم.

fb/mashro3pdf

-20-

دخلت الحجرة. نظرت للهدية باستياء. بحزن. إذًا من تأخذها؟

تنهدت. سحقًا لكل هذا الحرمان!

fb/mashro3pdf

"ألو.."

"ألو.." رد صوت رجل كبير

"مي.. موجودة؟" سألت بوجل

"ألو..."

" نعم.. هل مي موجودة!" صحت

"يا مي تعالي، هذا التلفون تالف!" تحفزت قليلًا ستأتي.

سمعت ضوضاء. أغاني. صاحت امرأة:"يا مي تعالي أبوك يقول التلفون تالف!"

ضحكت امرأة أخرى:" يا جماعة أتركوا العروس ليومها!"

ازدردت لعابي "عروس!؟"

صاح رجل: "ماذا ماذا ماذا؟"

"التلفون! أنظر ما له يا صابر!"

"ألو..ألو أنت يا حيوان رد!" قال صوت رجل قوي

"ألو.. السماعة تمام يا عمي، فقط الحمار يعاكس، ألو..."

"....."

"قل لي اسمك فقط، وسأفجر رأسك!"

صاح أحدهم: "أغلق الخط مادام يعاكس، أتهدد الناس في التلفون يا مجنون؟"

ضحك الرجل: "حاضر يا عمي!"

أغلق الخط.

fb/mashro3pdf

"أستاذ حطاب؟"

"نعم!"

"أنا يوسف أبو طالب زميل مروان في لعمل." 190

"أهلا أهلا تفضل.."

"أنت صديقه؟"

"بطريقة ما!"

"اممم.. المهم هل تهتم بشؤونه؟"

"بلى.. ماذا تشرب؟"

"أشكرك!"

"حجر!"

"لا يضر!"

ابتسم حاطب:"ليلتنا وضّاءة"

ابتسم يوسف: "لن اخذ من وقتك شيء. مروان مريض. ويرفض الذهاب للطبيب.."

عبس حطاب: "والله لقد هلك لساني في نصحه. لكنه لا يأبه ويستكبر. ألا تعرف أي مرض يأكله؟"

"كلا.." سحب نفسا أول "لا اعرف.. هو لا يعرف!"

"ومي؟ هل تعرف؟"

"أنت تعرف مي؟" عبس "أيا كان.. هي لا تعرف بالطبع. أقول لك أنه لا يريد أن يعرف كي يعالج نفسه!"

fb/mashro3pdf

"والحل؟"

"سنجبره أن يذهب للطبيب!"

"كيف؟"

"سنزوره. وأصطحب معي ابن خالتي. طبيب. عساه يفيد"

"وهو كذلك! هل ستأتي بالآنسة مي؟"

عبس: "إن أرادت!" سحب نفسا طويلا. وغاب وجهه خلف الدخان.

fb/mashro3pdf

"أستاذ مروان!"

"نعم.."

"اليوم هو السابع!"

"تقصد أن هناك 23 يوما حتى تأخذ الإيجار!"

"نعم!"

"لا تقلق..اذهب الآن!"

ظل جمعة واقفا مبتسما ببلاهة.

"ماذا يريد هذا الأحمق؟" تمتمت بغضب.

"ينتظر أن تبصق عليه!" قال حطاب

"ماذا تقول؟"

أومأ "أنظر!.. اتفووو" فابتسم جمعة وأنصرف.. برز حاطب برأسه من الباب "سلم على المرأة كثيرا!" ابتسم جمعة وأومأ.

"أين مي؟" سألت

"لن تأت؟" قال يوسف

رمقته بكراهية"لماذا تعرف أنت دائما؟"

"قالت لي!"

"تزوجت؟"

نظر إليّ مبهوتًا: "خُطبت، لكن كيف عرفت؟" لم أرد عليه. اكتفيت بابتسامة ساخرة. وحرارة الصدمة واليأس تغزوني.

"هاتفك غير معطل يا مروان!" قال حطاب

fb/mashro3pdf

"حقًا؟"

"أسمع!"

"نعم هناك حرارة!"

"اممم.إذن أين المشكلة؟"

" صوتي لا يسمعوه!"

سأتصل بك نجرب!"

"هل معك جوال؟"

"لا.." قال حطاب متوترا. نظر ليوسف الذي قال: "ليس معي رصيد..". لكن صاحبهم الثالث قال:" انتظر.. ما الرقم.."

"*******452"

أتصل. كان يرمش وهو يتصل. رن الهاتف. رد حطاب:"ألو..."

" نعم الصوت واضح!" قال الثالث..

"خذ.." أعطاني السماعة..

"ألو..." همست في قلق..

"علي صوتك يا رجل!" صاح حطاب

"ألو.. ألو.." صحت

لم يتوقف الرجل الثالث عن الرمش..

"ما الخطب؟" سأل يوسف!

أعطاه الجوال..

"ألو.. ألو.." صحت

"ما هذا؟" سأل يوسف بفزع

fb/mashro3pdf

"أعطوني هذا اللعين!" صاح حطاب في قلق

"ألو.. ألو.." صحت

"تبا.." همس حطاب.

"ألو.. ألو.." صحت

وضع حطاب هاتف الرجل الثالث على أذني. "ألو.. ألو.." صرخت. وش عظيم. "ألو.. ألو..". كأن مضخة هواء فتحت في أذني. "ألو.. ألو..". فووووووووووو. "ألو.. ألو..ألو.. ألو..ألو.. ألو.." صداع. صداع. صداع. ".. ألو..ألو.. ألو..ألو.." اقترب ثلاثتهم في قلق. أمسكوا بي. يصيحون. هكذا بدوا دون أن اسمع صياحهم. ".. ألو..ألو.. ألو.. ألو.." أخذ حطاب هاتف الرجل عنوة. ولما يأس يوسف من السماعة أن ينزعها من يدي فصل الخط من الحائط ".. ألو..ألو.. ألو..ألو..".

اهدأ اهدأ اهدأ اهدأ اهدأ اهدأ اهدأ اهدأ اهدأ. صاحوا

"ألو.. ألو..ألو.. ألو..ألو.. ألو.."

"أهدا أستاذ مروان. أنت مريض. تحتاج لفحص شامل. أنت تتأكل!" قال الرجل الثالث

"ألو.. ألو..ألو.. ألو..ألو.. ألو.. من أنت؟"

"أنا دكتور جميل!" قال

"ابن خالتي" قال يوسف..

"أنا لست مريضا" زمجرت. دفعتهم عنى. ودخلت الحجرة.

fb/mashro3pdf

مروان.. مروان..استيقظ..الساعة الآن السابعة. قم يا حبيبي. قم. حتى لا تتأخر عن الحصة الأولى. قم يا ولد. هيا اشرب. أشرب اللبن حتى تنتبه في الفصل. قم يا بني آدم. أشرب.. ماء..أريد ماء.. أكره اللبن.. أريد ماء.. نظافة.. نظافة انهمر الماء الدفيء فوقي، بدأت كالعادة بتدليك رأسي حتى يلين شعري، ومن ثم ينساب الماء من عليه سريعا. هل من الطبيعي أن تمتدح مي شعري؟ يطير يطير شعري يطير.. نطير. نطير لأعلى في نشوى وسعادة. لكن هل تكون السعادة تامة يا مروان؟ هل ستصل للسعادة يا مروان؟ كانت تنظر لأعلى في وداعة. وتهز رأسها وتدندن. أراقب تجليها الأجمل حين تندمج مع ذاتها. حتى لو انفصلت بنفسها عني للحظات. لساعات. الوقت الذي تجلى فيه براءتها. فقدت شيئا ما. أصبحت لا أعرفك. لا أحد يعرفني. لا أحد يسمعني. لكني أنا اسمع كل شيء حتى طرق الأبواب اللعين. لا تطرقوا الباب. أتسمعونني لا تطرقوا الباب. لا.. لن أستيقظ لا تتصلوا على الهاتف. الهاتف تالف. أكره الأصوات العالية. توقفوا. لن أستيقظ لن أجد سوى وسادة جواري. أين مي؟ مي ضاعت ليست جواري. لم يأت اليوم بعد. اليوم البعيد البعيد جدا جدا جدا كالموت. حينما يدفن كل البشر. ويظل بعد شواهد القبور. يحفر أسماءهم عليها. ماذا سيكتب الموت على قبري؟ إنه لعالم مقزز! إذ يفطم عقل المرء على قضيب ومهبل. تصعد وتنزل تصعد وتنزل شواهد القبور، ونكتب ما نشعر به على الوجه الخلفي للشاهد. لا نكتب على واجهته الأمامية إلا من الذي قتلك؟ من الذي قتلك يا مروان. من؟ هيء هيء هيء. ابكِ ابكِ ابكِ وأملأ الدنيا صراخا وقل لا أريد أن استيقظ يا أمي لكن لا أحد يسمعك. لا تطرقوا الأبواب. لا أريد أن أستيقظ هذه الدنيا مقززة إذ يفطم عقل المرء على ذات الشعر الأحمر وهي تفتح سحاب بنطالي الرصاصي وعيناها القططيتان الفهديتان تنظر بفضول لا

fb/mashro3pdf

تطرق الباب يا حطاب كف عن هذا نعم نعم نعم نعم نعم نعم نعم نعم. قالت كل واحدة نعم مرة واحدة. ضاقت الحلقة. نظرت إليَّ ذات الشعر الأحمر. لماذا شعرها.. أحمر؟ اقتربت. نفسها تردد على أنفي. ازدردت لعابي. ضاقت الحلقة. أمسكوا بي. لم أقاوم. أكان في قوة لأقاوم لا أنا مريض.."أفتح يا مروان.." طرق طرق طرق طرق طرق "لا.. لن أفتح سحاب بنطالي صاح يوسف "ماذا تفعل ؟ استحي يا رجل! أفتح الباب.. لا تطرقوا الأبواب الأبوا...أخرج أخرجوا.. كيف تقتحمون حجرتي يا أنذال. ومن هذا الثالث. من هذا الثالث يا يوسف؟؟ نعم نعم الطبيب. الطبيب. لكني لست...

fb/mashro3pdf

تقرير حالة مريض

الاسم	مروان عبد اللطيف محمود السيد غازي
السن	27
فصيلة الدم	+O
الطول	171 م
الوزن	50 كجم *
الحالة	

تآكل تحلل بطيء في بعض الأنسجة من مناطق مختلفة من الجسم (الحنجرة- الجلد- بعض خلايا الدماغ- المخ-)

تساقط الشعر

التهاب المفاصل

احتقان البروستاتا

التهاب الأعضاء التناسلية

هذيان

هزال عام

تهالك الرئتين

ملحوظات

1 يحتاج عناية مركزة

2 التحاليل المرفقة بالتقرير

3 العرض على قسم العصبية والنفسية

4 حالة غريبة

fb/mashro3pdf
197

"حطاب"

"نعم!"

"أنت تعرف الموت!"

"نعم!" 198

"كم يتبقى لي في هذه الدنيا"

"ياه! هذا السؤال!"

"كم يتبقى لي؟"

"الله أعلم!"

"أظن أمامي 15 عام!"

"الله أعلم!"

"سأموت عند الأربعين!"

"لا تعرف!"

"لا أظن أني سأموت اليوم! مجرد مرض وأعود "

"إن شاء الله!"

"إذن أنت تعرف ذلك. أني لن أموت!"

"متى؟ لا أعرف بالطبع متى؟"

"إذن كيف تعرف الموت؟"

"أعرف أنه يأتي في اللحظة التي لا تضمن فيها عمرك!"

"كيف؟"

"ثانية واحدة فقط. هي ما تضمنه من عمرك القادم. ثانية واحدة إما شهيق أو زفير. وبعد ذلك فلا أحد يعرف!"

"ثانية واحدة!؟"

"نعم.."

fb/mashro3pdf

فتحت العلبة. نظرت باستياء للهدية. نظرت للوسادة. أخرجت الهدية. وضعت مشد الصدر عند طرف الوسادة. والكلوت البكيني عند طرف الوسادة الآخر. تنهدت. احتضنتها.

fb/mashro3pdf

عزيزي حاطب..

أكتب هذا على شاهد قبري..

إنه لعالم مقزز؛ إذ يفطم عقل المرء على قضيب ومهبل 200

و شكرا

مروان

fb/mashro3pdf

٧

سكان المدينة الأخرى

"هناك بالطبع يوما ستصبح فيه سعيدا بعد هذه الأيام.."

fb/mashro3pdf

-1-

في منتصف "المشاية". في النقطة الموازية لمحكمة المدينة الراسخة بشارع البحر. وضع كرسي بحر آتى به خصيصا لهذا اليوم من سوق مدينة البحر. 202

جلس أخيرا في تأوه. خلع "الباريه" الأسود. وضعه على حجره. كان يرتدي قميصا سماويا تحته فانلة بيضاء "توب"، وبنطال رملي، وحذاء بلون الكراميل.

ابتسم بإرهاق. وضع بندقيته مستندة بالطول على الكرسي.

ضحك بهدوء. بهدوء.

نظر حوله.

لا شيء.

لا صوت إلا صوت الهواء.

أنهى ضحكته بتنهيدة.. قال:

"أخيرا؛ هذه المدينة لي.." ثم تنهد "وحديا"

fb/mashro3pdf

-2-

الساعة الآن الواحدة والنصف بعد منتصف الليل، كانت تحدق في بثبات غريب لم تفعله أي قطة معي من قبل. كانت تجلس خلف الزجاج الخلفي لسيارة هيونداي فيرنا نبيذي مركونة أمام مسجد النور المقابل لأول شارع جيهان. كانت السيارة الوحيدة في الشارع.

رفعت بندقيتي، وجهتها نحو القطة، كانت بيضاء جدا، وعيناها ثابتتان جدا.

لكنها لم تتحرك!

اقتربت من السيارة بحذر، أخذت ألوح من بعيد لها، لكنها لم تأبه لي. كانت مستغرقة في متابعة شيء ما. نظرت ناحية موضع بصرها. لكن لا شيء الحقيقة كان يلزمها أن تحدق فيه هكذا.

وصلت للسيارة، طرقت الزجاج بدبشك البندقية برفق، لكنها لم تتحرك. طرقت مرة أخرى. لكن لا شيء. طرقت بيدي بعنف حتى آلمتني. لكنها ظلت تراقب هذا الشيء الخفي.

سحبت الأجزاء. أطلقت عشوائيًا على كل موضع محتمل أن يشد ناظريها هكذا.

لكن.. ظلت كما هي.

رفعت البندقية، هويت بالدبشك على الزجاج، فتهشم إلى مئة قطعة.

لكنها ظلت كما هي.

صرخت"عاااا" وجهت البندقية نحوها "أنت!" لكن لم تتحرك "إن لم تتحرك سأقتلك!"

لم تتحرك.. لوحت لها بيدي عن قرب..

لم تتحرك..

قبضت عليها بعنف..

"ها! إنها دمية!"

fb/mashro3pdf

استيقظتُ الرابعة صباحا. لم أعرف هل أذن الفجر أم لا. في الآونة الأخيرة لم نعد..أقصد لم أعد أسمع الآذان قط! ذهبت للشرفة لا يزال الليل جاثم وإن بدا الفجر يتنفس. أقطن في الأصل في شارع 10 بالقرب من المساكن الحكومية، لكن الآن فأقف في شرفة شقة شارع المختلط المطلة على النهر. تملكتها في ظروف ليست بقريبة. يومها كنت أسير في شارع المختلط العريق، بأشجاره الخضراء الكبيرة، ذات الأوراق الكثيرة الرقيقة، والتي تحمل دوما ثلاثة زهور: بيضاء، حمراء، بنفسجية. بعد مروري بمدرسة البنات التي كانت قصرا يوما ما. كان هناك برجان عملاقان متجاوران. بعد تأمل دقيق، فضلت الأطول والأكثر ألوانا. صعدت سلم المدخل؛ لم يكن هناك بواب. فتحت المصعد، ثم إلى الدور الأخير صعدت. كان هناك شقتين في الدور الشاسع. طرقت باب إحداها. لم يرد أحد. طرقت باب الأخرى، فانفتح، أو كان مفتوح وانفتح في يدي وأنا أطرقه!

حقيقة، كانت رائعة..

كل شيء موجود. كل شيء، حتى المفاتيح كانت معلقة على حامل فضي ظريف، مكتوب تحته بخط أنيق:

"كما وعدنا.. هاهي المفاتيح.. أرجوك أن تفي بعهدك ولا تتعقبنا!!"

أخذت المفاتيح، أغلقت الباب، وأصبحت منذ ذلك الحين شقتي!

أما الآن فأنا أقف في أعلى نقطة من شارع المختلط على أقصى اليمين أرى المكتبة ومبنى المحافظة، أمامي على اتساع شاسع النهر. يساري وخلفي المدينة كما أحب أن أراها.

تتوهج بخيوط الفجر المتنامية..

fb/mashro3pdf

تتنفس بنسيم الفجر..

لا أحد في المدينة..

عمرت البندقية، سحبت الأجزاء. أطلقت النار مرتين ناحية هذه العمارة التي يعلوها كلاب. فنبح كلبين فزعين، ولم يتوقفا عن النباح.

أحكمت البندقية على كتفي، صوبت ناحية ذو اللحية الصفراء..

نفس..

طاااااخ..

عوى عواء مكتوم، وانقلب على جنبه. فأبدأ في نوبة الضحكة الصباحية، وأصعد للسطح أمارس الرياضة الصباحية حتى تشرق الشمس، حينها يصبح الجو بارع لمهمتي الوطنية اليومية.

أخلع ملابسي، أرتدي "المايوه". أحمل الحقيبة.. وأنزل.

fb/mashro3pdf

-4-

قد وعدت أمي يوما ما أن أحافظ على هذه المدينة وأمنع سكان المدينة الأخرى من أن يقتحموها، ووعدتها أن أبقى. أبقى للنهاية حتى لو ذهب كل الناس، وكان. وها أنا أبني المدينة والنهر عروسين أبديين. 206

المهمة عسيرة، لكن كل شيء لأجل الوطن والحرية. وكل الطرق سلكتها لأجل ذلك، حتى أني أقنعت حارس المدينة الأخرى أني خائن وأني أسعى لتدمير مدينتي، حتى يأمن جانبي وأعرف منه أكثر عن المدينة الأخرى.

الغريب أنهم هم أيضًا لهم ذات مهمتي القومية!

تحطيم الجسرين!

جسر القطار، وجسر المدينة الأخرى!

لذا اتفقنا أن نقتسم المهمة سويا، أفجر اليوم جسر، وهو يفجر الآخر. ثم نتبادل الجسور في اليوم التالي. وهكذا حتى نحطم الجسران!

كنا نخرج عند الشروق والماء صافي رقراق، أنزل مرتديا المايوه، أتمشى من عند البيت حتى مكتبة المدينة، ثم أعود من على الكورنيش حتى أصل إلى أقرب نقطة للجسر المكلف بتفجيره.

أخرجت أصابع الديناميت المقاومة للماء، أقفز، أعوم حتى أصل لأحد قواعد الجسر، أثبت الديناميت، ثم أعود لضفتي. أجلس في نشوة وأنا آكل الشيكولاتة ثم أضغط على الزر.

"بووووووم"

أسعد لحظة تبدأ بها اليوم وأنت تسمع انفجار يهز مدينتك دون أن ترد عليه صرخة هلع واحدة!

وأسوأ لحظة تبدأ بها اليوم، أن ترى الجسر واقفا كما هو لم يصبه

fb/mashro3pdf

شيء من الديناميت! "تبا لا بُد أن الماء أتلف البارود مرة أخرى!" أصيح

لكن أفضل شيء تستعيد به أسعد لحظة تبدأ بها اليوم هي أن تنظر للجسر الأخر فتجده قائما، وقد عجز تفجير حارس المدينة الأخرى أن يدمره! " نعم! لم يتقدم علي فتى المدينة الأخرى بعد!" أصيح في فرح وأنا أقضم لوح الشيكولاتة الكبير!

fb/mashro3pdf

-5-

لا أعود غالبا بعد مهمة الجسر القومية في هذا الحر الشديد، أظل أتمتع بالمدينة، أعطي ظهري للشمس، وحدها تراني في المايوه الأحمر، ابتسم وعينها تلهب ظهري، أكمل الكورنيش الرائع حتى أصل لكتلة النوادي اللعينة التي تحجب النهر عني، فكرت كثيرا في نسفها.. لكن الديناميت! 208

الديناميت!

لم يعد كتلك الأيام حين كنا، اقصد حين كنت أضيء المدينة يوم الجمعة، بتفجير قاعة كبيرة مليئة بفتية وفتيات -حينما كان هناك أحد ما هنا- يضحكون، يصخبون في عيد الهلع. انفجروا بديناميتي وأنا أرقص على صوت الديناميت بعد أن حضرت ندوة أخيرة لكاتب كئيب!

كانت أيام قميئة، كان الناس يملأون طرقات مدينتي، بل والنهر، يأكلون بعضهم البعض، يصطحبون الفتيات يأكلوهن على الكورنيش، بل في القوارب وسط النهر.

كلهم كانوا يأكلون بعضهم البعض، ويأكلون الفتيات، كنت وحدي صائم، صابر، فبقائي ألزمني بندقيتي!

أين هي؟

أخرجتها من الحقيبة، قبلتها، هذا ما ورثته عن جدي. عمرتها، صوبت ناحية تمثال الرجل المثقف، أطلقت طلقتين حيث تآكل طرف سترته المرفوع خلف يده التي في جيبه.

"هذه المنطقة مليئة بالضفادع، حول الفيلا القديمة، وما خلفها. لكن ليس أوان رشها بالسم الخاص، فنقيقها بعيد عن شقة المختلط."

تمددت في منتصف الطريق أمام نادي الجزيرة، يا للسماء لماذا لم نعيش في السماء، هل كان على أبينا آدم حقا أن يشتهي الشجرة؟ هل

fb/mashro3pdf

كان عليه أن يلين للأمر ويقنع! دائما يذلونا بغوايتهم الساحقة، ليست بعيدة من هنا دار حواءتي. ليست بعيدة، لكن أين هنا الآن؟ يقولون إنها كانت شجرة التفاح؟ أنا أحب التفاح، فاكهة الإغواء، تخدع بلونها الغامق، تعطيك انطباعا بأنها قاسية حجرية، وإذ بها في الفم ممتلئة وفيرة اللحم، حلوة حتى الثمالة. آه. ها حواءتي تصحب معها الذكريات والناس.. لكن مهلا، ليس لأحد حي أن يدخل مدينتي مرة أخرى.. ثم انتصبت مرة واحدة.. "لا يدخل مدينتي حيا بعد اليوم" صرخت..

فأتى الصدى من كل اتجاه!

fb/mashro3pdf

في نوبة ليلية، سمعت صوت أغنية بعيدة. استهوتني..

"صباح ومسا..

شي ما بينتسا..

تركت الحب..

أخدت الأسى..

صباح ومسا..

شي ما بينتسا..

تركت الحب..

أخدت الأسى.."

أمسكت قلبي، تتبعت الصوت، ضغطت على بندقيتي، البندقية بالضبط كالمحبوبة، لا بُد أن تفهم تفاصيلها جيدا حتى تتعامل معها كأنها يدك! ويا ليت فعلت ذلك مع حواءتي، أخذني الصوت إلى جسر المدينة الأخرى، كان مظلما.. مظلما.. وصلت للسد الفاصل بين المدينتين في منصف الجسر تمامًا.

"شو بدي يدور

لشو عم دور على غيره..

في ناس كتير

لكن بيصير

ما فيه غيره..

صباح ومسا.."

جزء رائع.."شي ما بينتسا..تركت الحب.." احم..اثبت يا صابر. كان

fb/mashro3pdf

السد مبنيا بالطوب الأحمر فقط، على عجالة وعدم إتقان، كان سمكه تقريبا ثلاث طوبات. يقطع الجسر من المنتصف، يفصلنا عنهم، تخرج المونة من بين لبناته بعشوائية، بينما دمجوه في السور الحديدي المزخرف يمينا ويسارا. كان مثيرا للشفقة، بُني على قدر عقلية سكان المدينة الأخرى السذج السمجين، تقول الأساطير إنهم أحفاد إقطاعي حفر بئرا يصيب الشارب منه ببرود وسماجة شديدين.

طرقت السد بدبشك البندقية حيث أنه لم يكن هناك أي باب أو مخرج، لا أعرف إن أرادوا التسلل، أو حتى الاقتحام، كيف يمروا إلينا، أقصد إلىّ هنا؟

"حبيبي كان..

هاني وسهيان..

مافيه غيره..

حملني سنين..

مانون هانين..

كتر خيره.."

طرقت مرتين قبل أن ينخفض الصوت. ثم حركة خفيفة، شددت لها أجزاء السلاح. صمتت السيدة التي كانت تغني تمامًا.. ثم جاء صوت هامس:

"من؟"

رددت هامسا: "أنت من؟"

"قلت لك أنت من؟" همس بعصبية

"أنا الذي أسألك؟ أنا صاحب الأرض!" قلت بعنف

"هاهاها.. صاحب الأرض! هذا إن صح، فبعد هذا السد!"

fb/mashro3pdf

"أي؟"

"أي أنه بالنسبة إلي، فأنا صاحب الأرض؟"

"هذا ليس شأني، من أنت؟" صحت

صاح: "لقد بدأت أنا بالسؤال؟"

"لقد طرقت أنا أولا هذا السد"

"هاهاها..أحمق.. إذا طرق أحدهم بابك، من له الحق في السؤال؟"

"أنا!"

"إذن فمن له الحق في السؤال يا طارق السد!" سأل هازئا..

"أنا أيضًا!" قلت بحسم

"أنت معتوه!" قال باستخفاف

"أنا؟" سألت بذهول

"نعم" قال باسترخاء

أطلقت حوالي 18 رصاصة ناحية صوته، فضحك بصخب، أتممت الخزنة في بطن السد لكن..

"حملني سنين..

مانون هاينين..

كتر خيره..

صباح ومسا..

شي ما بينتسا..

تركت الحب..

أخدت الأسى.."

fb/mashro3pdf

طرقت السد مرة أخرى بدبشك البندقية بعنف، والغريب أن السور كان لا يتأثر لا بالرصاص ولا بطرقات البندقية!

صمتت السيدة التي تغني، وسمعته يصرخ:

"اذهب إلى الجحيم أيها الوغد، دعني أنهي نوبتي في سلام..أريد النوم!"

"أتراني أحمق؟" سألته مستنكرا

"نعم، لماذا تسأل؟"

"هل تريدني أن أصدق أنك تريد أن تنام حقا؟"

"نعم! ولم لا؟ إذا كان الأمر يخصك بالأساس؟" سأل مستغربا

"ألا تخشى أن أغير عليكم..أقصد أن نغير عليكم وأنت نائم، ونأتيكم من ثغرك هذا!"

ضحك بمجون: "لا لا لا لا لا.. لقد أبهرتني حماقتك! لا، لا أخاف، فإنكم سذج، ستظلون نائمون أيضًا، بل ستعودون لمنازلكم مطمئنين، تنامون مع زوجاتكم.."

"حواءاتنا" قاطعته

"ماذا؟"

"حواءاتنا!"

"تنامون مع زوجاتكم.."

"حواءاتنا!"

"ما هذا سحقا لك!" صرخ

"النساء عندنا يدعون حواءات." قلت بإصرار متزن

"قبحك الله بلغتك.. يا لك من معتوه! " قال بنفاذ صبر

fb/mashro3pdf

"هل تعني إذا أننا سنشق بكم ونام"

"نعم، ستنامون ملأ الجفون" صاح

ابتسمت لنفسي "يا له من أحمق"

"هيا اذهب من هنا!" صاح

"اتفووه"

"ماذا؟"

نخرت، وعدت أدراجي!

fb/mashro3pdf

المقابر لم تعد فقط مقابر العيسوي، لا.. أصبحت المقابر الجديدة هناك خارج المدينة على الطريق السريع، مساحة شاسعة، بها الكثير من الحواري الصغيرة الملأى بشواهد قبور كثيرة.

وصلت هناك، لا أذكر متى أخر مرة كنت هنا؟ أنا حتى لا أعرف لماذا آتي؟ لم يعد للمجيء ضرورة؛ فلم يعد هناك أحد خارجها كي آتي أنشد الصمت أو الوعظ هنا!

كنا بعد الفجر..أقصد كنت بعد الفجر بساعة، ولا يزال الجو لطيفا، الشمس بالكاد تختبيء في الأفق، لاحظت بوضوح ثلاث جلابيب بيضاء تجلس أمام البوابة، خلف مكتب خشبي متهالك، أحدهم خلف المكتب مطاطا الرأس، الأخر على اليمين يستند بذراعه اليمنى، ويتحدث كأنه عمدة قريتهم، أما من كان على اليسار مبتسم ويومئ مستندا بكلتي ذراعيه على المكتب.

صحت: "أنتم مرة أخرى!"

ندت عنهم شهقة عالية: "هـــــــي" ثم انتصبوا مرة واحدة، واختفوا خلف عامود إنارة قديم.

صحت غاضبا: "ألم اقل لكم مائة مرة ألا تخرجوا من قبوركم؟"

قال أحدهم: "أعقل يا صابر، نحن في مقام والدك الحاج محمود"

قال الثاني: "بل نحن مجرد أموات، دعنا نلهو قليلا"

"أخرسوا.." صحت"ألم أنبه المرة الفائتة عليكم ألا تتسكعوا في المدينة؟"

برز رأس الذي كان يجلس على يسار المكتب: "يا صابر.. وهل في المدينة مخلوق حيٌ حتى نزعجه؟"

fb/mashro3pdf

"أخرس!" وأطلقت طلقتين حيث رأسه لكنه فوتها.."أخرس.. أنا هنا وحدي حي!"

"لا حول ولا قوة إلا بالله.." قال أحدهم -أظنه هذا الذي كان يجلس في المنتصف-

برز الأيسر مرة أخرى: "صابر، فيما نزعجك، نحن أطياف!"

"ألم تأخذ فرصتك وأنت حي؟" حدقت فيه بغضب

"فرصة؟ فرصة في ماذا؟" سأل مستنكرا

"في الحياة، الحركة، الفساء في الطرقات بالقول والنظر، ألم تتحدث على المقاهي، وتسليت بالنميمة بعد الصلوات؟ لماذا تتسكع إذاً وتؤذيني بذكراكم؟ ألم نحمد الله على أنكم.. أقصد ألم أحمد الله على أنكم خامدون في هذه القبور الجديدة" ثم صرخت وأطلقت النار على العامود، فأصدر تأوهات معدنية، قبل أن تتلاشى الجلابيب. لكني دفعت البوابة بقدمي، وأطلقت النار على الشواهد، صحت: "لا أريد أي منكم أن يزعجني مرة أخرى، لقد أخذتم فرصكم، كفى إزعاج، وحذار أن أمر في الليل وأراكم تسحبون شواهد القبور لأسفل وأعلى"

ارتفعت رائحة البارود فوق النتن الإنسي المقبور، فانتشيت، ابتسمت، ثم أتممت إفراغ الخزينة في باقي الاتجاهات. سمعت تأوه غير بشري، أعقبه رائحة صدأ دموي في الهواء، صحت فرحا:"هاا، أخيرا لم أشم هذه الرائحة منذ زمن!"

ركضت نحو الرائحة، امم، قط.. للأسف، مخلوق جميل، لكن هذا قدره! وكان ليكون قدره إذا رأيته بعيني هنا أو غير هنا!.

ألقيت نظرة حولي وفوق الشواهد، تحركت للخروج بعد أن عكر مرآها صفوي. لكن. لهاث غريب أثار سمعي عند خروجي. تبعته، رائحة شعر، فساء، أي بهيمة هذه؟ شددت الأجزاء، ما هذا!؟

fb/mashro3pdf

لم أتبين أول الأمر. الحركة المتواصلة لجسد البهيمة صدمني، ركزت، إذا بكلب يضاجع شيء ما يزقزق بألم!

اقتربت بهدوء..

أع.. قذر.. عرسة!

طراخ.. طراخ.. طراخ..

fb/mashro3pdf

أسوء ساعات اليوم هي التي تسيطر الشمس فيها على كل شيء، وتصبح ثقيلة على القلب. لا أتحمل العودة للمنزل؛ سأنام، وهذا ليس جيد، فحراسة المدينة خير من النوم الذي يجلب الكوابيس، والجلابيب الرعاع الثلاثة يتحينون لحظة نعاسي، ليبثوا فساءهم في أحلامي.

أخذتني قدمي إلى أطلال مديرية الأمن. المبنى المكعب الكبير. أصبحت الآن نوافذه فجوات ظلماء. ينبعث من كل ناحية رائحة الأبوال، الشعر، العرق، الفساء، زقزقات متألمة، لهاث كريه من كل اتجاه. لكني اكتفيت بالجلوس في المدخل استظل قليلًا.

أخرجت بعض الطعام من الحقيبة، تابعت الجسر أمامي، والسد في منتصفه. هل يكون متيقظ الآن؟ هل أهله يراقبون المدينة؟ هل يلاحظون أن المدينة صامتة دائما، أم أنهم يظنون أن حاكما ظالما يجبر الخلق على الصمت؟ هذا مناسب! سأوحي لهذا الحارس الأحمق بهذا؟

أنهيت الطعام. تحركت نحوه، شددت الأجزاء عند أول الجسر. طرقت السد الأحمر.

صوت منخفض لقارئ قرآن عتيق من مذياع: "فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ"

"شرد بهم؟" طرقت السد بدبشك البندقية بجنون، حتى أن صوت الطرق غطى على صوت القارئ العجوز "أيها الوغد أين أنت؟"

انخفض صوت المذياع جدا، حتى أنه لم تصدر سوى دندنة خفيفة، ثم قال بصوته الناعس: "ماذا تريد؟"

"نائم؟" سألت

"أنا أحدثك، فكيف أكون نائم"

"أقصد هل كنت نائم؟"

fb/mashro3pdf

"هل ستذهب إن قلت لك نعم؟" تثاءب

"............."

"ها؟ ماذا تريد؟" سأل بضجر

"من حاكم مدينتكم؟"

"............" وسمعت قهقهة خافتة، لكني تجاهلتها.

"يا هذا لقد سألتك لتوي سؤالا!"

"اذهب يا أحمق" قال

"لماذا؟"

"هل توقظني من غفوتي، حتى تسألني عن حاكم مدينتنا؟" سأل غاضبا

ضحكت باصطناع:"يا رفيقي أنا أردت أن أتجاذب معك أطراف الحديث فقط، كدت لتوي أن.."

قاطعني:"تجاذبني! هل تراني صديقك حتى تجاذبني أطراف الحديث؟"

".............."

"أذهب وجاذب أطراف حديثك وأطراف "حواياتك"! "

"اتفووووه"

نخر وتثائب، سمعت صوت عقبيه يلتفا للخلف. كدت أرحل، لكني عدت أقول، "لقد كنت أقول أني كدت أحدثك أنا أيضًا عن مدينتنا وحاكمها.. وتحكي لي عن مدينتكم وحاكمها.. وهكذا.."

صمت. لم يرتفع صوت المذياع مرة أخرى. لم أسمع خطواته. تراه يفكر؟ هل خطتي نجحت.

"امم..إذن، سأحضر القليل من الشاي!" قال وفي صوته القليل من البشر.

ضحكت بانفعال دون صوت.. ها! ستسير الخطة كما أود.

fb/mashro3pdf

-9-

مد يده من طرف سور الجسر دون أن يظهر جذعه من خلف السد، أخذت كوب الشاي، بينما دققت في تفاصيل يده وذراعه الظاهر من كم قميص يبدو سماويا، حاولت أن ألاحظ أي شيء مختلف استطيع من 220 خلاله استنباط أي شيء عنه، عنهم، جوهم..الخ.

شممت كوب الشاي، وضعتها أمامي عند السد. لن أشرب من عندهم شيء. ابتسمت لنفسي.

"ها؟ من أين نبدأ؟" سأل ورشف رشفة عظيمة..

"امم.. ما اسمك؟"

"أحمد حسن الزيات!"

"ما هذا الاسم؟"

ضحك:"ما المشكلة؟"

"هذا ليس اسما!"

"ليس اسما؟" سأل مستنكرا "ألم أكرر مرارا أنك أحمق!"

"اممم..إذن هل بيتك..."

قاطعني: "هل تراني ساذج، ما اسمك؟"

احم.. لم يدع لي فرصة.. فكرت.. قلت:" أدعى.. أدعى لويس.. لويس لقمان!"

ضحك باستخفاف

"ماذا؟" سألت بوجل

"أنت تكذب، هذا ليس اسما! "

"ليس اسما؟ أعتقد أنك ساذج!"

fb/mashro3pdf

"امم.. أين تقطن إذن؟"

"أنا الذي سأسأل؟" صحت

"لماذا؟"

"دوري!"

"دورك؟" استنكر

"نعم!"

"هل نحن في مبارزة كلامية، أم أننا نتجاذب أطراف الحديث؟"

"نعم نعم.. نحن نتجاذب أطراف الحديث، لكن..ايه..احم.. أقول فقط أنه كان دوري، يتعين على من آداب الحديث أن اسأل بعد سؤالك؟"

"آداب الحديث؟ هل تأتي هنا تؤدبني؟"

"امم.. هل تقطن بعيدا عن السد؟"

"لا قريب.."

"وهل.."

"ها..آداب الحديث.."

"............"

"أين تسكن في المدينة؟" سأل بثقة

"هناك" أجبت من فوري

"هناك؟"

"نعم هناك.. عند هذه الدور.."

fb/mashro3pdf

"إحم!"

"أنت مهرج! هل شربت الشاي؟"

"إحم.. نعم نصفه.." ثم انحنيت وسكبت نصف الكوب على الأرض.

"إذن هات باق الكوب، لا تكمله.."

"لماذا؟ ألن نكمل الحوار؟"

"أعطني الكوب!" قال حاسما

"مد يدك خذه، وضعته على سور الجسر!"

"لا مد يدك وأعطه لي!"

"............"

"هات الكوب" صاح بغضب

"الكوب على السور..أراك لاحقا.."

"يا وغد.." وسمعت شد الأجزاء، وأمطر السد بطلقاته، بينما انحنيت راكضا وأنا أضحك.

fb/mashro3pdf

تقابلت معه مرات عدة بعد ذلك، حتى توطدت بيننا صداقة، قال لي:

"تعرف يا لويس، رغم أنك أحمق، إلا أني أصبحت أتشوق للساعة التي تأتيني فيها.."

"اممم.. الونس.." قلت مبتسما

" نعم ما جدوى أن يجلس المرء وحيدا..الذكريات تقتل!"

"أنت وحيد؟" سألت بذهول

"لم يرد مباشرة، لكنه قال: "أثناء نوبة الحراسة، لكن عندما أعود.."

"اممم" أومأت " لكن لماذا تقتلك الذكريات؟"

"الذكريات يا لويس كشبح عملاق، كبير بقدر كل شيء جميل تفتقده، وبقدر كل نازلة قسمت ظهرك وجعت قلبك، ينمو ويترعرع على ذلك، وكي يعيش، يعيش على تأوهاتك، تأوهاتك أنفاسه، يأتي إليك، يتكلم في أذنك، يذكرك، وأنت صامت، صامت. تتأوه فقط، فيتنفس، ويترعرع، وأنت تغرق في أثيره، ينمو، وأنت تغرق في الألم..تتأوه. بصمت. حتى يمر العمر، وهو يترعرع، وأنت أسيره. حتى تموت"

نظرت للسد بيننا. شعرت أنه لأول مرة يقول شيئا منطقيا، أو أن هذا أصدق كلمة سمعتها منذ زمن سحيق، عندما كان هناك آذان، عندما كان هناك أناس في الأندية، عندما احتفلنا بعيد الهلع لأول مرة، عندما كنت أدور في المدينة كي أنتقي أفضل. مرة ورد لحوائي، عندما كانت تبتسم، عندما كنت أجلس مع الأص..

"الذكريات شيء قبيح يا لويس"

أفقت.."امم.. لكن هناك ما تحب تذكره!"

"هذا هو القاسي، لأنك تفتقده.."

fb/mashro3pdf

"نعم.."

وصمتنا.

كنت أجلس مع الأصدقاء، كم من ضحكة ضحكنا، كم وليمة ألتهمنا، طرقات المدينة التي سرت معها فيها، آه.. وليلى، ابنتي، أين هي الآن؟ ابنتي، ابنة السماء، أمي، أبي، أخي، مي، آه يا مي، ياه، وكأن هذا من زمن سحيق. سحقا، لقد اذهب بكل مجهود فعلته كي أنسى يا له من أحمق!

شددت أجزاء البندقية، صحت فيه:"ألم أقل لك إنك أحمق!"

"ماذا حدث؟" سأل بارتياب

أفرغت الخزينة بغضب على السد المسكين.

"ماذا دهاك يا أحمق؟" ظل يصرخ.

ذهبت.

fb/mashro3pdf

اليوم هو الأربعاء..

ذهبت لشقة هناك في حي "توريل"، حيث كان صاحبها لديه أفضل البذلات التي تناسب مقاسي، وكانت اختياراته في رابطات العنق رائعة، اخترت البذلة السوداء، ورابطة العنق الزمردية.

امم.. وسيم!

أفرغت قدر ما استطعت من عطور علي، وصففت شعري قدر الإمكان، وهرعت للخارج.

اليوم هو الأربعاء..

أخذت إحدى العربات الفارغة، وذهبت. جلت في المدينة قليلًا كي يذهب عني التوتر.

اليوم هو الأربعاء.. اليوم هو الأربعاء..

فتحت مشغل الأغاني..

"صباح ومسا..

شي ما بينتسا..

تركت الحب..

أخدت الأسى..

صباح ومسا..

شي ما بينتسا..

تركت الحب..

أخدت الأسى.."

اللعنة ليس الآن.. حولت الأغنية..

fb/mashro3pdf

اشتقلك لك واشتقت لي

بعرف ميش راح بتئلي

طيب أنا عم إلك اشتقلك

اشتقلك اشتقلك اشتقتلك"

ياه لم يعد وراءنا غير هذه السيدة. حولت.

"سألتك حبيبي لوين رايحين

خلّينا خلّينا وتسبقنا سنين

يااااه..تبا أنا لا أتمالك حالي يوم الأربعاء، رغم كونه اليوم الذي أنشده طوال الأسبوع، اليوم الذي علي أن أرقص وسط الشارع على أنغام هذه السيدة، لكن! لا أعرف ماذا يحدث!

وصلت لأول شارع جيهان. كدت أدخله لكني توقفت، ظللت أراقب الشارع التالي له كثيرا، هذا الشارع، هذا.. الشارع..

لكن الزهور! سآتي بها وأعود، وصلت إلى حيث باعة الزهور في حي الجامعة. فتحت أحدها. انتقيت أفضل الزمر الطبيعية. عدت بالسيارة لأول الشارع.

ترجلت، حتى وقفت عند بداية الشارع التالي لشارع جيهان.

هذا.. الشارع..

قلت لها يوما:"لماذا علينا أن نسير في هذا الشارع؟"

ردت بهدوء: "بعيدا عن الناس" وابتسمت

نظرت خلفي للزحام. أقصد يوما كان لا يزال هناك زحام.

"امم.. حقا..أنت رائعة" قلت واجما.

ابتسَمَت..

fb/mashro3pdf

تمشينا صامتين.

تتحدث خطانا وخفقات القلوب، والبسمات.. وفقط.

كم مرة مشيت معها في هذا الشارع يا صابر؟

لا أذكر العدد من كثرة ما مشينا، ومن حلاوة المشي.

رفعت زمرة الورد نحو أنفي. دخلت الشارع، مشينا بطوله، تتبعت كل دبة خطت بها قدميها، أتذكر كل خلسة بسمة وسط الصمت، كل حديث قليل تحدثناه، كل صديق اغتبناه، كل وليمة التهمناها سويا.

حتى وصلت حيث بيتها!

لا أعرف أي واحد من هذه البنايات، عمي شوقي الأحمق منعني، الرجل الأبله، فأقف كل مرة أمام إحداها. كل يوم أربعاء، أرفع نظري للشرفات. ابتسم وزمرة الورد تفوح بجمال وأنا أرفعها لأعلى.

وأظل واقفا دون كلام.

ساعات.. نعم ساعات..

حتى أسأم من داء الذكريات، فأضع زمرة الورد عند بوابة الدار الذي وقفت أمامه هذه المرة.

وأعود إلى بندقيتي!

fb/mashro3pdf

"كيف حالك؟" همست في أذنها

أومأت بثقل: "الحمد لله.."

"أوحشتيني!"

"طبيعي جدا، أنت تأتي في العام مرة واحدة!" قالت ساخرة

ابتسم: "هكذا القمر!"

"القمر يأتي كل شهر يا أحمق!"

ضحكتُ. ضَحَكَت كطفلة. قالت "أم أنك خائف من بابا؟"

عبست: "أنا؟ أخاف من عمي شوقي، أنا لا أحترمه إلا لأجلك، إنه رجل مجنون، لا تؤاخذيني، إنها حقيقة، لا يزال يكرهني منذ أن كنا أطفال، أضربكم وتضربوني.."

"لا تأبه، هو غريب الطباع!"

"مجنون، مجنون، ويقول علينا نحن مجانين، والله نحن الطبيعيون وهو غير الطبيعي!"

"خلاص يا صابر!" قالت بضيق

"أسألك بالله، هل رجل طبيعي يمنع خطيب ابنته وابن أخيه من زيارته؟ رجل أبله!"

"صابر!" صاحت تحذرني

"يا عيون صابر!" ابتسمتُ

ابتسمتُ. اقتربتُ منها، همستُ: "أنا لا أطيق صبرا يا قطة!"

"ابتعد يا مجنون!" دفعتني، لكن احتضنتها، فضحكت. ركنت رأسي على كتفها. "سأظل أحتضنك حتى أموت، إنها سنين طويلة باعدت بيننا يا مي!"

fb/mashro3pdf

"اقترب اليوم، أصبر قليلا! " ثم بدلال "ابتعد.."

"ابتعدت، وتكوني لي أخيرا، فلا يمنعني عنك شوق قط!"

ضحكتْ: "نعم!"

"أحبك!" همستُ

"أحبك!"

وقفت على الكرسي كالمحموم، عويت. ضَحِكَت في هستريا، بينما نظر لي بعض الناس في استغراب.

اقتربت بعض الكلاب منا، نظرت لهم مي بقلق. رفعت البندقية من خلف ظهري. أطلقت عليهم النار وأنا أصر بأسناني: "أفسدتم اللحظة!"

صاحت: "صابر، أجلس!" وتابعت البندقية بقلق

سمعنا طلقات من بعيد.

"أرأيت يا أحمق، ستوقع بنا في مشاكل!"

"لا تقلقي، إنهم صبية ميليشية أو عصابة"

أشاحت بوجهها غاضبة"لعن الله الحرب!"

ما أحلاها وهي غاضبة: "لا تقلقي، أنا معك!"

ابتسمت وقالت: "هيا بنا!"

أصابتني حسرة "لماذا؟"

"الوقت!"

"لماذا يمر الوقت معك؟"

ابتسمت: "سيطول سيطول! هيا"

تعكر مزاجي: "الوقت لا يطول أبدا معك يا مي!"

أمسكت ذراعي بحنان، وذهبنا.

fb/mashro3pdf

أفطرت. نزلت أتمشى مبكرا، حيث أني بت في بيت بعيد عن الجسرين. لم أحاول أن أفكر في شيء سوى الأنسام النقية، والديناميت الجاهز لتفجير الجسر. جسر القطار هذه المرة. رغم ما أصابني من ملل 230 المحاولات اليومية التي لا تؤتي أكلها، إلا أني لن أتوقف حتى لا يظن أحمد حسن الزيات ومدينته أني..أقصد أننا جنود ضعاف. يظن أن كل يوم جندي يذهب للتفجير.

لكن ما هذا؟

شددت الأجزاء، كنت قريب من منزل جوار بريد محطة القطار. وقف عند ناصية الكنيسة الثلاث جلابيب البيضاء يتحدثون باحتدام.

"أنتم هناك!" صرخت.. فارتبكوا وأخذوا ينظرون لبعضهم البعض، حواليهم ، يرفعون أيديهم لأعلى ثم يضربون بها أفخاذهم . يمسكون بأذرع بعضهم البعض، ويبحثون عن مهرب.

أطلقت أربع أو خمس طلقات في الهواء. صحت:"توقفوا!"

فوقفوا رافعي أيديهم لأعلى.. ركضت نحوهم ، فارتعشوا وسقطوا على ركبهم.

صحت وأنا أقترب منهم : "ألم أقل لكم مئات المرات ألا تتسكعوا؟"

"حدث.." قال الأوسط

"فلماذا تخرجون على كلامي!"

"يا صابر.." قال الأيسر

"اخرس.."

"يا بني!" قال الأيمن

"اخرس.. كفى أنكم تتسترون على الحيوانات في المقابر، ألم

fb/mashro3pdf

أحذركم، بدلا من أن تبلغوني عن القطط، الكلاب..الفئران وخلافه، تتركون الكلاب تزني مع العرس"

"قبحك الله" قال الأوسط في تقزز

"اخص.." قال الأيسر، وأخذ الأيمن يهز رأسه في أسى.

صرخت "هذا ما حدث، لقد وقعوا تحت يدي المرة الفائتة!"

"وماذا فعلت؟ لا تقل أنك قتلتهم؟" قال الأوسط مغاضبا

"............"

"قتلتهم؟" سأل الأيمن في وجل.

ضغطت على أسناني. همست:"هل لديكم مشكلة!"

"أتعرف أن هناك عرافا في جبال اليونان قتل أفعى ينكحها أفعوان فتحول لامرأة!"

"أيها الوثني! هل.. هل.. هل. أنت متعاطف مع.."

"ليس لك أن تقطع متعة كائن أيا كان.. حتى لو كان كلبا!" أومأ صديقاه استحسانا.

ظللت مذهولا دون كلام. حتى عندما تكلمت خرج صوتي مبحوحا من الغضب: "أرأيتم أنكم عجائز مخنثون، أنا مؤمن أنكم تستمنون لمرأى هذه القذارة، أم أنكم تدعون القطط وبنات عرس والكلبات كي تضاجعوهن؟..اخرسوا.. أقسم بالله أن المرة القادمة سأفجر قبوركم، بل كل المقابر!.." ثم رششت أمامهم أربعين طلقة.

أوموأوا في خوف..

"هيا اغربوا عن وجهي، لا، انتظروا، هناك شبح عظيم، يدور في البلد ويبث فيّ، أقصد فينا..ايه ايه.. يبث هذا الشبح. يبث الماضي مرة أخرى، لو فكرتم. أو لو كنتم. تساعدونه ولو للحظة واحدة. سأزيل

fb/mashro3pdf

وأجرف أرض المقابر بعد أن أفجرها، حتى لا أبقي عظامكم في هذه الأرض. سأحرقكم؛ فلا يخرج منكم فساء الموتى قط الذي يذكرني بكل نجاساتكم السابقة!"

"اغربوا عن وجهي!" صرخت وأتممت الخزنة الثانية في إثرهم.

fb/mashro3pdf

"من هذا الطفل يا أمي؟" صرخت والطلقات تدوي في كل مكان!

"هيا يا صابر هيا من هنا، هناك فوق هذا المبنى قناصة لا يتركون أحدا إلا وقتلوه" نظرت ناحية العمارة، التي أشارت إليها، رأيت رجلا في الأسود، يعمر بندقيته ويضرب النار على أحد ما.

"هيا؟" وكزتني، وجرت أمامي تحميني.

"هيا! لكن من هذا الطفل؟" سألت وأنا أنحني من وطيس النار.

"لا تشغل بالك.." صاحت

"من هذا يا أمي؟" صحت

"صابر.. أحترس.." فانبطحنا نتفادى الرصاص، بينما الطفل لا يزال هادئ.

"من هذا الطفل؟" همست

"السماء كانت تمطر أطفالا منذ قليل، وقد سقط هذا الطفل في يدي. أألقيه؟"

حدقت بها:"ماذا تقولين؟"

"هيا" صاحت، وقامت تعدو حتى وصلت إلى مدخل منزل مهدم، لحقت بها. استندت إلى الحائط جوارها. نظرت في اللفة. كان طفلا أبيض كالنور، وتفوح منه رائحة العطر والتلك.

لاعب أصبعي الجاف شفتيه الناعمتين؛ فابتسم بغمازة بديعة، ذكرتني بغمازة ذات عيون فهدية.

" ما اسمه؟ "

"ليلى!"

صدمت " بنت؟"

fb/mashro3pdf

أومأت وهي تلاعب وجه "ليلى"، لكن سرعان ما احتدت ملامحها على إثر تتابع جديد للطلقات النارية.

"ويل لهم!" قالت بحسرة

"من؟" قلت وأنا أداعب وجنة "ليلى"

"هذا الشعب المسكين؛ بدد نفسه هباءً"

" دعك منهم؛ إنهم مسوخ"

"كف عن هذا يا صابر! إننا ننقرض، وسيقتحمنا سكان المدينة الأخرى!"

"لا.." صرخت " يستحيل، سأبقى في النهاية، سأبقى ولن يدخل أحدٌ هذه المدينة قط!"

سخرت "كيف أنت واثق أنك ستبقى؟"

"أنا أعرف هذا، إيمانك بأن ليلى نزلت من السماء مطرا!"

تنهدت في عدم تصديق، بدأت تهدهد ليلى، التي بدأت تبكي لأول مرة.

"أمي!"

"نعم!"

"لا تحزني إن لم أتزوج قبل هذه المعارك!"

تنهدت بحزن، احتضنت الطفلة، "لا عليك، لم تكن للتزوج مي إلا في الوقت الذي كتبه الله!" نظرت للفتاة "صابر هذه ابنتك!"

ذُهلت، لم أعرف ما أقول، لكن ليلى! سنسميه منصور. لو جاء ولد. لا طبعا، منصور اسم قديم يا صابر. ليس من شأنك، سميها أنت لو كانت فتاة! إذا ستكون فتاة يا صابر! هاهاها إذًا ماذا ستسميها، سأسميها ليلى بالطبع! "أين مي ؟" سألت أمي

fb/mashro3pdf

ارتجفت من العبرات: "مي ذهبت يا صابر، وهي من ألقت لنا ليلى من السماء!" ونحت رأسها تبكي

سارت قشعريرة في عروق وجهي وصدري.احتضنت ليلى، ارتعشت في حضنها الصغير باكيا، ربتت أمي على كتفي...

لكنها سقطت... بعد طلقات متتابعات..

سقطت جالسة في صمت..

في خوف..

نظرت لها والدم يخرج من فمها بوداعة، كبّت نحيبي كيلا يسمعني أحد. ضممت ليلى، لا أعرف ماذا سأصنع بها! رفعت نظري للسماء، وبكيت في حرقة:" حتى أمي!" "لماذا ألقيتها علي، أليس عندِك أكثر أمنا؟" سارت غيمة، تشابكت مع أخرى، واكتأبت السماء برماد صحبه موجة برد.

انتظرت حتى هدأ الجنود، وضعت ليلى في حقيبة ظهري، حملت أمي بين ذراعي بالكاد، ذهبت للمقابر، وضعتها بسلام بين أبي وإخوتي، كتبت على الشاهد:

أمي

قتلت يوم مولد ليلى صابر الناجي

ركضت، حتى وصلت لبيت أمين كنت قد استملكته، جففت ليلى، وأودعتها مهدا دافئا وثيرا، وراقبتها حتى نامت. ثم عدت لبندقيتي..

fb/mashro3pdf

" تبا لهذا الشبح اللئيم"

همست عندما مررت قدرا جوار أطلال بيت ذكرني بالبرج الذي
236 وضعت فيه ليلى!

fb/mashro3pdf

"الغضب الساطع آت..

وأنا كلي إيمان..

الغضب الساطع آت

سأمر على الأحزان..

"...

" قل لي يا زبات من هذه السيدة التي لا تتوقف عن الغناء؟"

نخر "هذه السيدة فيروز! ألا تعرفها؟"

"اممم.. لا.. اسمعها فقط من حين لأخر... لكن لم أكن أعرف اسمها. لكن لماذا تسمع أغانيها دوما؟"

"كنت أعشق فتاة هناك تقطن عند "مكسيم"؛ كانت تهيم بها، فأحببت فيروز لحبها لها."

"اممم، كلهن يحببنها!" قلت واجما، ورشفت من كوب الشاي.

"هل حواءك كانت تحبها"

أومأت.

"ها؟ هل كانت تحب فيروز؟"

"آه.. نعم.. نعم.."

"أين هي الآن؟" سأل بسكون، وهبت نسمة العصر على وجهي.

"هناك" همست

ضحك بصدق، ودق على السد ببندقيته: "هناك أين، أنا لا أرى"

ابتسمت "عند المقابر!"

صمت.. وصمتُ. تأملت المياه تمر ببطء.. بهدوء، الزرع على

fb/mashro3pdf

الكورنيش يراقص طحالب الماء. والطريق أعلاه ميت تمامًا. بينما البيوت على الطرف الأخر ترقب المدينة الصامتة.. بصمت.

"ماتت؟"

أجفلت: "ها؟"

"هل ماتت؟"

أومأت

"هاه؟"

"نعم نعم.." ونظرت على يمين حتى هيكل مديرية الأمن "وهي تلد!"

"رحمها الله... إذًا لك ولد!"

ابتسمت: "فتاة.. ليلى!"

"ليلى!" قال مندهشا "رائع.. إذًا أريد أن أراها!"

نظرت في طوب السد: "يوما ما، ستراها يومًا ما!"

صمتنا قليلًا قبل أن أسأله "أنت تدفعني لحكي الذكريات، حتى أغضب، فتغضب مني"

ضحك:"أحمق.. الذكريات تجري إذا صمتنا."

"الصمت!" قلت واجما..

"امم..الصمت.."

نظرت ناحية السد، تخيلت مكانه، نظرت باشمئزاز لصمته، رفعت البندقية على كتفي، قلت "لا تنس غدا، جسر القطار"

"أين تذهب؟" سأل مندهشا

"سأتفقد شيئا ما!"

fb/mashro3pdf

" يا رجل! كنت أود أن تحكي لي عن حواءتك "

التفت بغضب ناحية السد، كدت أمطره بوابل جديد من الرصاص، لكني قلت بهدوء:"ليس الآن!.. سلام"

"سلام" تمتم.

fb/mashro3pdf

-17-

جاءت أمي تسير في زيها الوردي، تبتسم بعيونها الذئبية الجميلة التي ورثتها عنها. خلفها مي الممتلئة في بياض ثيابها وعيناها الفهديتان تبتسم وتقفز نظراتها إليّ برشاقة وحب. طارت حولهما ليلى في وجهها 240 النوري وشعرها القصير البندقي.

"كيف حالكم؟" قلت في لهفة

قالوا فرحين: "صابر كيف أنت؟"

"أنا رائع، رائع بكم" وأمسكت بأصابع مي

"هيا فلنحتفل هيا هيا.." صاحت ليلى بصوت طفولي ضحوك.

ضحكنا، لكن فجأة عبست إذ رأيت أبي يأتي في لهفة قلقا، ومن ورائه أخي بجسده القوي، ورقبته العضلية.

اندفعت ناحية أبي:"ماذا هناك؟"

تنهد، حاول أن يشرح شيئا، عن حرب.. قناصة.. دبابات.. لكن استحال صوته إلى هرهرة غريبة، وأخذت أمي ومي وليلى يموءن كالقطط في قلق.

وأنا لا أفهم من حديثهن شيء..

التفت أخي فجأة إلينا قلقا، صرخ بغلظة في ضوضاء ووش، ثم فجأة صاح بصوت كمواء غليظ، لم أفهم منه غير آخر كلمة:

"صابر"

"هاااا!" فزعت من النوم، ألهث ولا يزال المواء يملأ رأسي، لا يتوقف. هرعت إلى الحمام. غسلت رأسي ووجهي. لم يتوقف المواء. تركت رأسي تحت الماء حتى سكنت قليلًا.

لكن.. لم يتوقف المواء.

fb/mashro3pdf

خرجت في قلق، أجفف رأسي دون أن يذهب عنها المواء. ركزت.. مواء كثير.. جماعي. نظرت حولي "أين أنا؟"

البيت.. بيت جدي!

ركزت..المواء يأتي من هذه الناحية. تتبعت الصوت. وصلت للشرفة. "كأن أحدهم فتح مسجل يذيع صوت مواء جماعي لقطيع من القطط.."

لكنه لم يكن كذلك..

وقفت أمام منزلي ألف قطة!

ألف قطة!

وقف شعر جسدي مرة واحدة لمرأى هذا العدد من الكائنات التي تتنفس.

"كيف؟.. مستحيل!"

هرعت للداخل آتي بالبندقية، أتمتم "مستحيل.. مستحيل.. من أين تسربت هذه الشياطين، ألف قطة! كل هذا الكم من الحياة! كلا كلا لا حي سيعيش هنا.. لا أحد يجب أن يعيش حتى لو كان قطة! ثم من أين جاؤوا.. نعم نعم.. بالطبع.. هذه الجلابيب الثلاثة اللعينة! سأقضي عليهم لكن بعد هذه ال.. ال..."

دخلت مرة أخرى للشرفة. وقفت على الكرسي، صوبت ناحيتهم، صرخت:"قولوا لي من أين جئتم يا رعاع؟"

أناخوا ذيولهم ونظروا بلطف شديد إلي..

(ألف وجه قططي لطيف ينظر إليّ ببراءة..)

اهتزت يدي، فأطلقت طلقتين في الهواء.

فماؤوا في دلال..

(ألف مواء مدلل في ذات الوقت..)

fb/mashro3pdf

ارتجفت يدي..

(ألف مواء مدلل في ذات الوقت..)

سقطت مني البندقية. نظرت لهم بأسى.. همست مرعوبًا "البندقية.."

(ألف وجه قططي لطيف رائع ينظر إليّ بدلال وبراءة..)

هذيت "لا لا لا لا لا لا لا لا لا لا "

(ألف مواء مدلل..)

"لاااااااااا" صرخت.

وألقيت نفسي عليهم..

"صابر.. صابر.. صابر.. تعال هنا يا ولد.. انزل انزل.. "صاحت أمي" ضربتني، احتضنتني، بكت"أتريد ان تسقط من الشرفة لتدق عنقك وتموت وتتركني" ثم ضربتني واحتضنتني وبكت. في المساء قلت لها: "أمي.. لقد جربت السقوط من قبل، ولم أمت"صرخت بخوف: "كيف؟"، قلت: "حلمت أني أسقط في ضوء نهار خافت مشقوق بين الأشجار، كنت أسقط بخفوت، وإن سبقني قلبي بخفقان شديد، لكن السقوط كان كحلم، كأني أرتقي لأسفل ببطء نحو الأرض الملأى بورق الخريف الذابل.

ببط.. ببطء..

لكن أبي كان هناك.. كان هناك، وتلقفني بوجهه القلق الحاني، احتضنني بعينيه الثعلبيتين قبل أن تحتضنني يده.." فضمتني، وبكت لكنها لم تضربني..

وكعادة السقوط من أعلى..

بطيء..

fb/mashro3pdf

بطيء..

أشعر كأني ورقة خريفية. تسقط براحة المحارب..

على ألف وجه قططي ينظر ببراءة..

يسقط ببطء على ألف وجه.. خمسمائة.. يقلون... ثلاثمائة.. مائة.. خمسون.. ثلاثون.. عشرة.. ستة.. خمسة.. أربعة.. ثلاثة.. قطة..

قطة بيضاء جدا. عيناها ثابتتان جدا. تحدق بي في ثبات غريب لم تفعله سوى قطة واحدة، تجلس خلف الزجاج الخلفي لسيارة فيرنا نبيذي أمام جامع النور أمام شارع...

"لا..." بكيت بلا صوت

بحثت عن البندقية وأنا أواصل السقوط.. لم أجدها..

"أبي.." همست..

"أبي.." صرخت..

"ستظهر الآن؟ ستلقفني بالطبع كالعادة؟؟"

لكن لم يكن هناك سوى وجه قططي واحد ينظر إليّ في ثبات مميت..

أغلقت عيني.. سأصطدم بالموت.. أخيرا..

لكن..توقفت..

توقفت عالقا أفقيا، عائم عند رأس القطة، رأسي في رأسها، ظلت تحدجني بذات العينين الجامدتين، كأنها تبتني على وضعي هذا دون أن يحيد نظري عن ناظريها، كنت خائفا، دمعي يتساقط عليها دون أن يذيب من ملامحها شيء.

ندت عنها تنهيدة لم تخرج مع ملامحها.. ظلت جامدة.. جامدة.. خرج منها صوت بارد: "تخاف؟"

fb/mashro3pdf

أومأت ولا أعرف من أين تأت كل هذه الدموع..

" كيف والموت هو مهنتك؟" ضحك الصوت والوجه.. جامد.. جامد لا يرمش حتى من دموعي التي أغرقته..

انتحبت، حاولت الكلام.. لكن لم أستطع..

"لا تحارب الحياة إذًا!" وتلاشت..

سقطت برفق على وجهي، أرتجف في عرقي.. وغرقت في نوبة طويلة من البكاء.

التفتُ للسماء: "لماذا يا آدم، لماذا فعلت فينا هذا؟ ألم يكن لك صبر، آه آه يا آدم..أنا أتمزق، أتعذب، كما تمزق أبناؤك كلهم وتعذبوا، وقتلوا بعضهم البعض، وماتوا، حتى لما فنوا وبقيت وحدي، لم ترحمني ذكراهم.. لم ترحمني ذكراهم.." وضربت فخذيّ..

"لكنه خطأي أن وحدي.. خطأي أنا..أنا لم أتم ما كان علي أن أتمه.."

وقفت.. نظرت للبيت.. بيت جدي..

"سأمحو ذكراهم جميعا.."

وانطلقت أصعد البيت بجنون!

fb/mashro3pdf

فتحت الباب بعنف. نظرت في الحيطان بغل، في الستائر، الغبار فوق الأثاث، مصابيح الإضاءة الضعيفة، السجاد المترب. جلت في الشقة. أرى في كل موضع قدم، وأثر إصبع ذكرى تطل برأسها بوجل. يتهامسون سويا. الذكرى والأخرى، يختلطون في ضوضاء خافتة رهيبة!

(12 يناير **19: "كان يسير على أطراف أصابعه كي لا تراه أمه، لكنها باغتته وهي تضحك، وضمته"... 14 فبراير1989: "هناك شخصا دخل المنزل وقد شعر بكراهية نحوه؛ فقد.."... 5 يوليو 2007: "صرخت أمه: "يكفي هذا أنت رجل الآن ولازلت تكتب على الحيطان".."... 8 أغسطس **: "كان يفكر في ابنة عمه مي شوقي، هذا الحب يا صغيري!"..9 يونيو 2007: "أمسك بندقية جده وبكى)**

همست محذرا: اصمتوا!

(9 نوفمبر 1997: "كتب يومها: "بطل الفيلم نسى ذاكرته عندما صدم رأسه في..."...

5 فبراير **20: كل عام وأنت بخير يا صابر.."... 1 نوفمبر: "أحتفل بالهلع أخيرا، لكنه فجر..."...)

صرخت:" اصمتوا"، وأطلقت نيف الخمسة عشرة طلقة. هدءوا. ولو أني شعرت بموجات حركاتهم تصير إلى..المكتبة..

وقفت كعملاق خشبي عتيد.. عتيق. كأنها تنفست بحكمة ما فيها، وصدرت عنها هرهرة غضبى.

وجهت بندقيتي نحوها،: "أعرف أنك تختبئ هنا!"

لم يرد.. فقط صدرت أنفاس ثقيلة مُسنة منها..

"أخرج أيها الوغد من مكتبتي، أخرج" صرخت..

أنفاس ثقيلة مُسنة..

fb/mashro3pdf

أطلقت ثلاث طلقات، فاهتزت أربعة كتب وسقطت بألم.. وخرج من المكتبة زئير خافت مكتوم..

"أخرج.." وأطلقت أربع طلقات، فسقط كتابان...

أرتفع الزئير قليلًا..

"أخرج.." صرخت بجنون، وأفرغت الخزنة فيها، فتناثرت الكتب إلى وريقات ترف ببطء وألم حولي..

انخفض الزئير..انتظرت لحظات.. فوجدته ألقى من المكتبة شيئا أحمر.. شيئا أحمر مألوفا.

اقتربت...

"تبا، أحد دفاتري الحمراء.."

ضحكت المكتبة. اهتز الدفتر، فتح دفتيه. وخرجت منه الذكريات على أظهر أشباح صغيرة.

"إنها تحب الزمرد، كما تحب الحبر الأحمر، تدهن شفتيها بالكرز، وأنا أحب هذا كله. قد تستمع إليّ إذا ذكرت لها هذا..آه يا مي"

"هلا حلمت يوما أن تسير في ضوضاء الليل النارية، أنت وطفلك الذي يشبهك تماما، ليكسر وحدتك أخيرا؟"

"لا لا.." هذيت

"هلا حلمت بيدك ترافق يد محبوبتك البضة، وتسير في رفق ترقبون كل جمال حولكم. تستند على كتفها، وتبتسم عيناها الفهديتان، وتكسر وحدتك.."

"وتملكه ذلك الأسى المكتوم اللامبالي المألوف منذ زمن بعيد. وأخذت جميع الوجوه تبدو وضيعة، بائسة، هزلية تقريبا. وترددت الأنغام المنتظمة في رأسه ضربات صماء مستمرة مسببة له ألما

fb/mashro3pdf

مضنيا... -ألكسندر كوبرين -مولك- "

"كفى.. كفى.." انتحبت.. فخرجت باقي الذكريات وعادت لمواقعها على الحيطان والسجاد والسقف وكل شيء واختلطت بضوضاء أشباح الدفتر الأحمر..

"الجرح الملتهب درع مشروخ، لا يداويه كي، فالنار فيه أصل وتبريده يعني التشقق، أي الهلاك..."

(8 يونيو 1999: " كان ينزل من البيت ويشعر أنه شيئا أخيرا؛ لقد أصبح..."...

16 سبتمبر 2005: "كان يعرف أنه ألقى نفسه للتيه، لكنه أجل هذه الحقيقة للحظة أخرى ليوم ما أصبح يوم ......8 نوفمبر 20: " قال لنفسه: هناك بالطبع يوما ستصبح فيه سعيدا بعد هذه الأيام.." "**

أطلقت النار في كل اتجاه... كل اتجاه، أصرخ، أبدل خزانة الرصاص، أضرب النار، أصرخ.، الكتب تتساقط، تتناثر وريقات ترف وتتساقط حولي، يئن منها ذكرى ما..أو يهسهس منها شبح محتضر.. أضرب النار، وما تبقى منهم لا يتوقف عن الكلام.. لا يتوقف عن تذكيري..

"إن كنت شبحا مرعبا بحق فأخرج لي ولا تبعث لي أشباحك الصغيرة" صرخت وقد توقفت عن إطلاق النار.

ضحك.. ضحك وكأن لم يصبه شيء، لكنه أخرج شبحا أبيضا جدا شاب، قال: **" الذكريات يا لويس كشبح عملاق، كبير بقدر كل شيء جميل تفتقده، وبقدر كل نازلة قسمت ظهرك وجعت قلبك، ينمو ويترعرع على ذلك، وكي يعيش، يعيش على تأوهاتك، تأوهاتك أنفاسه، يأتي إليك، يتكلم في أذنك، يذكرك، وأنت صامت، صامت. تتأوه فقط، فيتنفس، ويترعرع، وأنت تغرق في أثيره، ينمو، وأنت تغرق في الألم..تتأوه. بصمت. حتى يمر العمر، وهو يترعرع، وأنت**

fb/mashro3pdf

أسيره. حتى تموت"

صرخت، وألقيت البندقية على الأرض، وصرخت فيه، صرخت من كل حنجرتي.. من كل قلبي، وهو يضحك..أصرخ ويضحك..أصرخ ويضحك، وتخرج الأشباح مرة أخرى.. مرة أخرى.. مرة أخرى..

خرجت من بينهم سحابة خفيفة وردية تحمل وهج كعين قطة، همهمت: ". لماذا غرزت قدمك في الخوف؟ كل الذكريات تكمش وتُبرى كرؤوس السهام يا صابر، ثم تبدأ في نغز قلبي. وتدميه! لماذا لم تدع لي براحا كي أتذكر غدا هذه الأيام واضحك. أخشى أن أذكرها أندم! الخوف يقتل كل شيء!"

" لا... لا يا مي لا!" بكيت.. وقع نظري على الدفتر الأحمر.. مزقته.. فتراجعوا قليلا، لكن عادوا..

نظرت لهم بسكون.. وأذني تصفر من الصداع.. نظرت لهم كأني سأخطب فيهم.. وقفت حاملا البندقية.. قلدت همسهم وأنا أقول: "لكنه خطأي أن وحدي.. خطأي أنا..أنا لم أتم ما كان علي أن اتمه.."..

سكنوا فجأة.. من خرجوا من المكتبة، وأشباح الحيطان والسجاد والسقف.. وتابعوني وأنا أدخل المطبخ..

فتحت أعين البوتاجاز الخمس.. ارتفع الغاز..

أشعلت عود الثقاب...

وركضت أخرج قبل أن تلتهم النار.. بيت جدي!

fb/mashro3pdf

المقابر.. دخلت البوابة الحديدية أجر جوال الديناميت، جسدي مهدود، "المقابر..آخر أنفاس البشر تقطن هنا..آخر ذكريات البشر هنا.."

ظهرت الجلابيب الثلاثة حولي.:"ستفعلها؟" سألني الأوسط..

"............"

"نعم سيفعلها، رائحة البارود تزكم الأنوف.." قال الأيسر

"............"

طأطأوا الرؤوس وذهب كل واحد إلى قبره..

بدأت أضع أمام كل شاهد ما يكفي من الديناميت.. سأنتهي منها ثم أذهب للمقابر القديمة في العيسوي.. لم يهمس أحدا منهم.. لم يكن هناك صوت غير حركتي. وصلت الأسلاك بالمفجر خارج البوابة.

نظرت مرة أخيرة لهذا المعبد الفاسد: "لن تزعجوني بشواهدكم التي تصعد وتهبط مرة أخرى!"

ضغطة واحدة بعنف...

ارتفعت النار من كل قبر تتفجر وتحطمه، تتداخل مع نيران القبر المجاور، فاحت العظام المحترقة، ارتفع دخان يحمل الكثير من الجلابيب المحترقة..ألف جلباب..آلاف الجلابيب.. يصعدون في غيمة سوداء كثيبة..

النار تأكل المقابر..

ابتسمت:"أخيرا تفجر الديناميت..أخيرا.. لكن.. ويحي.." تصنمت من الذهول..."لم أذهب لأفجر الجسر اليوم!"

fb/mashro3pdf

-20-

"يا رجل! أين كنت هذا الصباح؟" بادرني شاب طويل.. طويل.. عريض المنكبين، له لحية خفيفة وشعر طويل مسترسل يظهر تحت قبعة سوداء. يرتدي قميصا سماويا على ما يبدو.." 250

"من.. من أنت؟"

ابتسم ابتسامة واسعة، ورفع البندقية في وجهي، "ألق سلاحك!" حاولت شد الأجزاء، لكنه صاح: "ألق السلاح.."

ألقيت البندقية! "البندقية!"

"من؟" لم أتم السؤال.. لقد استدركت الموقف خلفه..

لقد تحطم السد..

حطموا سد جسر المدينة الأخرى!

ارتجفت.. "حطمتم السد؟"

ضحك: "نعم.. حطمت السد.. كلفني تعب كي أفجره وحيدا.. لكني حطمته.. وأنظر... فجرت هذا أيضًا" أشار ناحية الجسر الأخر..

لم يكن هناك الجسر الأخر..

"أين ذهب جسر القطار؟.." همست "وكيف لم أسمع كل هذا؟" وذكرت ما حدث هذا الصباح

ضحك:" فجرته.. لم يعد هناك مهرب لأي أحد منكم، أنت أسيري.. وكل مدينتكم أسرى عندي!"

"من؟؟"سألت ببلاهة

"أنتم.. سكان هذه المدينة.." وجال بنظره في المدينة " قالوا إن نساءكم حلوات.." وضحك بمجون.

fb/mashro3pdf

"سكان هذه المدينة؟أي مدينة.." سألت ببلاهة

"هذه المدينة يا أحمق.. مالك تنظر إليّ ببلاهة.. لكن تعرف لم أتخيلك بهذه الوسامة.." وأكمل ضحكه..

"لا أحد هنا."

عبس غير فاهم

"لا..أحد.. هنا..أنا هنا وحدي.." قلتها وأنا أشعر بالنصر!

واجهني بأذنه اليمنى: "ماذا تقول؟"

"قلت لا أحد هنا... أنا الناس.."

نظر حوله في المدينة، وطالعته ببهائها وسكونها وصمتها.. همس وهو ينظر إليها: "كاذب!"

"أذهب أبحث عن أحدهم، ولو وجدت أحدا تعالى واقتلني، لو ووجدت قبرا حتى، تعالى وأحرقني حيا" ثم ضحكت بهذيان

"كاذب!"

"لا..أنا لا أكذب.. "

"أين الناس؟" سأل في غضب..

"ذهبوا!"

"كيف؟؟" صرخ "كيف وليس هناك مخرج سوى الجسران.."

همست مبتسما.. "المقابر.."

"............"

"ولم يعد هناك مقابر"

"ماذا؟" همس

fb/mashro3pdf

أومأت..

"ماتوا أيضًا؟"

"أيضًا؟" سألت ببلاهة

"أنا أعيش وحدي كل هذه السنوات، وأتطلع إليكم من خلف هذا السد الكريه، ثم.. ثم.. ثم عندما ينهار.. لا أجد سواك يا الأحمق!"

ضحكت..: "إذًا فعُد إلى مدينتك ودعني وشأني.. ها أنت تفاجئني أيضًا أنك وحيد.. اذهب وابني السد كما بناه قومك السمجون من قبل.."

"نحن لم نبن السد!"

"إذًا من؟"

"أنتم!"

عبست "بل أنتم!"

صاح:"بل أنتم سكان المدينة الأخرى؛ أنتم من بنيتموه!"

"أنتم سكان المدينة الأخرى!" قلت بثقة

"بل أنتم " همس بقرف

"بل أنتم " همست أقلده..

"مدينتكم تُدعى "الأخرى" يا أحمق" صاح

"بل أنتم!"صحت

"مدينتنا تُدعى "المخلوطة" يا غبي.."

"ومدينتنا تُدعى "المنصورة" يا غبي"

"المنصورة! المنصورة على من؟ نحن ندعى " المخلوطة " وأنتم المدينة "الأخرى".."

fb/mashro3pdf

نخرت.."لا تحاول.. لا شيء في اللغة يعني " المخلوطة ". هذه المنصورة، وأنتم "الأخرى".."

"سأقتلك.." همس

ازدردتُ لعابي..

"أنت قتلتهم؟"

"............"

"خائن!"

"لا" نشجت

"لا؟ من يقتل شعبه.. خائن!"

"لا..أنت لا تعرف كيف تفقد كل من تحب، وتُجبر أن تعيش وسط من تكره.."

ازدرد لعابه. نظر حوله في المغرب الهابط علينا محمرا. علقت عينه على مديرية الأمن. ثم نظر إليّ بكراهية. "بل شعرت الآن. فأنا فقدت الناس التي وددت أن أعيش معهم طوال هذه السنين، ثم أجدني أمكث معك أنت..أيها الأحمق.."

شد الأجزاء مرتين..

أطلق ثلاث طلقات..

ظلام..

fb/mashro3pdf

-21-

في منتصف "المشاية". في النقطة الموازية لمحكمة المدينة الابتدائية الراسخة بشارع البحر. وضع كرسي بحر آتى به خصيصا لهذا اليوم من سوق مدينة البحر. 254

جلس أخيرا في تأوه. خلع "الباريه" الأسود. وضعه على حجره. كان يرتدي قميصا سماويا تحته فانلة بيضاء "توب"، وبنطال رملي، وحذاء بلون الكراميل.

ابتسم بإرهاق. وضع بندقيته مستندة بالطول على الكرسي.

ضحك بهدوء. بهدوء.

نظر حوله.

لا شيء.

لا صوت إلا صوت الهواء.

أنهى ضحكته بتنهيدة.. قال:

"أخيرا؛ هذه المدينة لي.." ثم تنهد "وحدي!"

fb/mashro3pdf

القسم الرابع

fb/mashro3pdf

VI

أنشودة الحفل الأخير

"وكلٌ يدعو وصلا بليلى"

fb/mashro3pdf

سارت تصفر بين أعمدة الإنارة زوابع باردة صغيرة. تحمل معها ما علق من رائحة المطر. صفر صرصور بملل. واهتزت ورقة ملصقة على أحد العمدان، تقاوم الطيران. ارتجف نور العمود المجاور. قال: "زميل! احترس، ستطير الفتاة الحلوة!"

تنهد العمود صاحب الورقة: "وما شأني، فلتطير، لا أفهم لماذا تهتم؟"

"يا زميل، كل عمدان الشارع ملصق عليها هذه الإعلانات، فكيف يكون شكلك دون هذا الإعلان؟"

"عمود نور!"

"ماذا؟"

"سيكون شكلي عمود نور، إنارة، مصباح.. هاا ماذا دهاك؟" صاح بغضب

"لا شيء! أعرف أنك عمود نور، وأنا أيضًا، وكل الزملاء الساهرون!"

سرت تنهيدة عميقة وسط الشارع.

قال العمود صاحب الورقة: "أنا لا أفهم ما شأنك وشأن أشياء البشر!"

نخر الآخر: "يا زميل، إننا من أشياء البشر!"

"كلا!" صاح منزعجا "نحن من أشياء حكومة البشر!

ارتجف نور الآخر أكثر: "وما الفرق! لا أفهم ما الفرق؟"

رفت الورقة أشد. بدت صورة لفتاة بضة قليلًا. "الفرق! أن من يطفئ مصابيحنا وينيرها، هو رجل الحكومة، وليس الرجل المزعج الذي لوثنا بهذه الأوراق الدبقة!"

"أنا لا أفهم الفرق، لكن على كل حال، هذه الإعلانات شيءٌ مختلف ويكسر الملل!"

"الملل؟" فح العمود صاحب الورقة في ذهول، بينما ضحك العديد

fb/mashro3pdf

من العمدان الأخرى "وما شأنك وشأن الملل وهذه الأشياء البشرية؟"

" الملل هو عملنا يا زميل! ومرة أخرى أقول لك إننا أشياء البشر!"

"عملنا حسبما أفهم هو الإضاءة ليلا والنوم نهارا، أما الملل فلا أفهمه، قلت لك إننا أشياء حكومة البشر!"

"غريب أن تعرف حكومة البشر، ولا تفهم مشاعرهم مثل الملل مثلا!"

"أنت الغريب! أكاد اشعر أنك بشرى تتقمص شخصية عمود إنارة، أرجوك اصمت، دعنا ننير الطريق!"

"كيف ستنير الطريق للبشر، وأنت لا تعرفهم أصلا!"

"............"

" لماذا لا تحاول مثلا أن تعرف ماذا ألصقوا عليك؟"

"..........." يعلو صوت الصرصور

"لا ترد! سأحاول أن أتصاحب على إحدى القطط أو الكلاب الضالة خيرا من رفقتنا اللطيفة هذه!" ثم أغلق مصباحه

همس أحد العمدان للعمود صاحب الورقة:" أسمعت ما قال هذا التالف؟"

"نعم!"

"لقد قال كلاما سيئا، أليس كذلك؟"

"نعم!"

"لكن المشكلة أنه أطفأ المصباح دون إذن من رجل الحكومة!"

"لا مشكلة؛ سيأتي رجل الحكومة يوما ما ويغير مصباحه، ساعتها فقط سيعود إلى طبيعته العمودية!"

"نعم!"

وسرت ضحكة خافتة وسط الشارع.

fb/mashro3pdf

" النوم لم يعد يمحو. النوم بات يرمم القلق من الغفوات. النوم هو الكوابيس. القهوة باتت سامرتي الوحيدة، وأنفاس ما بعد المطر هي ملجأ تهيداتي الوحيد." همس محمد قاسم لنفسه. كان واقفا يتابع السيارات المركونة أمام البيوت على عجل. أصحابها تعجلوا دفن يومهم في هذا البرد الرائع. "هل هناك أروع من القهوة ومراقبة الشوارع بعد المطر من النافذة أو الشرفة؟" تخيل صدى ترانيم ودندنات بعيدة.

هبت نسمة باردة. أغلق عينه. استنشقها كلها. علت الترانيم البعيدة. (كمان ينساب مع الهواء. بعيد. غريب أن يظهر في المدى. كمان مؤلم. حزين. يستحيل أن يعزفه إلا محترف. كمان يشتكي. ألم.) تمايلت رأسه بنعومة. على وجهه ارتسم شجنه. "غريب أن يعوم في هواء هذه المدينة موسيقى كهذه!" فكر، واستمع. هبت نسمة باردة أخرى. (الكمان يعلو. يعبر كل هذه المسافات البعيدة. دمدمت خلفه طبول. ثم. كهرب نغم عنيف. عالي. صارخ.) "إلكتريك!" (عنعا عنعا عنعنعاااا).

تن.

تن.

تن.

" الساعة الآن الثالثة يا محمد.. نام. نام. نام. نام. السهر يدمر خلايا المخ. والنوم القصير يرهق العقل. ويضيق النفس. نام نام نام." قالت ساعة البندول.

ضغط على ضروسه. ازدرد لعابه. ذاب اللحن وسط الهواء. "لن أنام!" همس

"نعم نعم نعم نعم نعم. ستقول إنك لن تنام إلا إذا أردت. ليكن في اعتبارك أن دكتور سعيد يعرف أنك لا تأخذ المنومات!" قالت ساعة

fb/mashro3pdf

"أنا حر!" قال من بين ضروسه. ثم نظر مرة أخرى من النافذة لما التقطت أذنه طرف من اللحن. (أحد آلات النفخ تصدح بفخر. بثقة. بفخامة.) "ساكس!" ابتسم

"من؟" قالت الساعة

"تك تك تك تك.." همس

"تك تك تك تك تك.. نعم هذا أحلى صوت. صوتي.." قالت الساعة

"إذن فأنا أحفظ صوتك!" ابتسم

"نعم. أعرف أنك تحبني!"

"صحيح! لكن اسمحي لي - يا محبوبتي - أن أستمع إلى هذا الصديق!"

"أنا لا أسمع شيئا!"

"أعرف!" قال من بين ضروسه "أنت فقط تك تك تك تك تك تك تك.."

"هخ.. نعم.تك تك تك تك.. وأيضا اسمع:

تن

"ما هذا؟ ألم تدق منذ دقائق فقط؟" عبس وهو يغمض عينيه. يتابع اللحن (تسلم الكمان من ذيل نغم الساكس. أختلط معه نقرات بيانو.)

"نعم. من عشر خطوات لعقرب أوسط. أنا فقط أجرب صوتي الثاني أحبه.." **تن تن تن تن**

"ساعة خربة!" ارتكن بكوعيه يسند دماغه بين كفيه. عابس. تلاشى العزف.

"اليوم هو؟"

fb/mashro3pdf

"لست أعرف. لست نتيجة!"

تنهد. نظر آخر مرة للنافذة. أغلقها. منع آخر خيط برد من النفاذ للحجرة. أغلق النور. سمع تنهيدة ارتياح من الساعة. سحب الغطاء حتى صدره فقط.

تك تك تك تك تك تك تك تك

"هذه الساعة الخربة لا تنام قط وتهذي ليل نهار كي أنام. هل عليّ أن أنام حقا؟ وبعد؟ كوابيس! سيموت ألف رجل وامرأة ممن أعرفهم. سيطاردني كل خوفي في متاهات لا تنتهي. سأسقط من أعلى ألف مرة. سأفشل ألف مرة. آه. لا أريد أن أنام. أنام كي يجلس فايد أمامي يشتكي من عقدته كي أعالجها له. ونصل لحل في النهاية. أجده متدليا في حجرتي بحبل غسيل أصفر. لا لا أخضر. أستيقظ مفزوعا. نعم أتذكر حينها أن فايد عاد لقريته. وترك هذه المدينة العفنة. ها. العاصمة." انقلب على جنبه الأيمن. تابع تكتكات الساعة. شعر بإرهاق. لكنه لم يستطع النوم. شرب ماء. حاول النوم. شرب ماء. حاول مرة أخرى. **تن تن تن تن.** "الرابعة!" قال في نفسه "ساعة!" شرب ماء. قام تبول وعاد. تك تك تك تك. تنهد.

قام. فتح نور المكتب.

"لا لالالالا. ارجع ارجع.." قالت الساعة المتفاجئة.

" ششششششش!" جلس. أخرج دفتر أسود ضخم. وضع سماعات الهاتف في أذنيه. كتب.

fb/mashro3pdf

حالة من الأزرق.. عطش. لا نوم قط إلا ساعة بالكاد مليئة بالكوابيس. تهيوآت. "تهيوآت؟ هل الساعة تهيوآت حقا؟ لا! لا! الساعة تتكلم " نظر لها (عينه مظللة بهالات سوداء عميقة. كهوة سحيقة تلمع منها بالكاد العين بذعر. بل بحدة. بذعر وحِدة!) **تك تك تك تك.** أشارت إلى الرابعة والربع. تابع بعينه البندول. يمين يسار يمين يسار

يمين يسار. تنويم مغناطيسي. لم يؤمن أن يعالج أي مريض من مرضاه بالتنويم قط. لم يؤمن أثناء دراسته للطب النفسي. يمين يسار يمين يسار يمين يسار. هذه الساعة الخربة. نفض رأسه. أكمل كتابة ارتباك أيضًا. **أخشى أن تكون حالة فوبيا. فوبيا من النوم! هيبنوفوبيا!**

هيبنو فوبيا! هيبنو فـــ

نقر بسن القلم على الورقة بقلق.

"قلت لك ألف مرة ألا تفني نفسك لأجل المريض. أعرف أنك تحب عملك جدا، لكن ليس بهذه الطريقة! المريض له همه وداؤه. وليس في مقدورك إلا أن ترشده للدواء. لا أن تشاركه الهم والداء. لا ليس هذا شيئا رائعا يا قاسم. ستجد نفسك يوما ما في إحدى هذه العنابر"

"العنابر. العنابر." تمتم. حدق في حرف الفاء الذي كتبه هيبنوفـ فـــ فـــ "فايد!" همس. نخر "ستودي بي إلى العنبر. العنبر. يا فايد. يا فـــ فـــ فـــ" فكر في نفسه. هز رأسه. وضع القلم على الورقة. فتح الدرج. أخرج علبة الدواء. **(أولانزابين)** "لا لا لا.. أنا لا أعالج مرضاي بهذه اللعنات! لا. سأتحول لمدمن. كلا. الكيمياء خراء" ألقى بالعلبة في الدرج "لن أكون مدمن مدمـــ."

" علي رجائي مسعد. 18 سنة. أفيون! هل هناك أحد في العالم يتعاطى الأفيون حتى الآن يا علي ؟ لا يا دكتور محمد. إذًا لماذا تسف هذا السم. الغُلب. الهم الهم يا دكتور. ها ها ها الهم. وماذا تعرف عن الهم يا بُني. أنت فقط 18 سنة. 18. ليس بالسن يا دكتور. ليس بالـــ إذًا بالـــ؟ بأن تأتي لتعيش بدلًا مني يا دكتور لتعرف لماذا؟ وبصق يومها على الأرض."

"ن.. مدمن.." أخرج من جيبه منديل ورقي. بصق فيه. نظر بقرف لبصقته. أعاد المنديل لجيبه. "إذن كيف أنام؟" نظر حوله فجأة في

fb/mashro3pdf

حيرة. نظر للقلم. "الينسون؟ لا لا الشاي يروق لي في هذا البرد. شاي؟ هخ. وكيف تنام؟ ليس شرطا. الشاي في الحقيقة نشارة خشب وليس شاي!" همس لنفسه.

تن.

تن.

تن.

تن.

تن.

" الساعة الآن الخامسة فجرا يا محمد.. أنت لم تنم بعد! اذهب. نم." قالت الساعة.

"ألا تنامين كالبني آدميين؟"

"أنا ساعة!"

ضيق عينيه. "ساعة؟"

تك تك تك يمينا يسارا يمينا يسارا. يمينا ويسارا هز رأسه يستفيق.

وذهب يحضر الشاي!

fb/mashro3pdf

-3-

حمل حطاب أغراضه فوق كتفه، سار والهواء يميد بالشجر المحروق، يكاد يُحرك أطلال البيوت. نظر بحزن لسُحب المغرب. داعب وجهه المرهق القليل من الهواء. كان صدره كصخرة مكبوسة، يفلجها شق أليم. 264

ظهره محني، رجلاه يأكلهما الحذاء والألم. عمدان الإنارة مثنية ساجدة. صوت الرصاص من بعيد يدوي في سماء المدينة الأخرى.

نظر خلفه. تمتم: "ها قد حانت النهاية، المدينة تحترب. تموت. ولن يبقى أحد. لم يعد لي فائدة. الكل يقتل. الكل يدفن، أو لا يدفن. ما يهم؟ فالموتى أحياء، والأحياء موتى!" تنهد. فكر أن يجلس قليلًا، لولا أن السحاب أنذره بالظلام لما تكاثف فوق بعضه البعض. نظر بقلق لأعلى، ولم يعرف أين يذهب: "العاصمة؟ ومن لي في العاصمة؟ كل الناس ماتوا، الأصدقاء، الأقارب! ماتوا في المدينة هنا، فهل يكون لي أحد هناك في العاصمة؟ لكن ماذا أفعل هنا؟ لم يعد هناك مكان سوى العاصمة كي ألجأ إليه! سقطت المدن والناس يأكلون بعضهم البعض!" صرخ في خوف للسماء " يا رب ما كنت أعرف لمهنة الموت مثل هذا الخراب! يا رب لم أفرح لموت أحدهم قط إلا لأني سأدفنه في سلام، أما ما يحدث الآن فأنت وحدك تعرف مدى غيه!"

طنت طوافة في السماء. فاختبأ في بوابة عمارة عملاقة. ظل يتلفت لأعلى لا يعرف أذهبت أم لا تزال تطوف. فطنينها يبعد ويقترب، ولم يعرف أكانت من الشرطة أم مسروقة؟

قرر أن يجلس على الدرج، وكله ضيق من تأخره عن الهروب. لكن ما إن جلس في جوار الظل حتى استطيب برودة الدرج، وأسند ظهره في تأوه، ليدع الألم يخرج منه بهدوء، وما لبث أن تثاقل دمعه: "هلا كتبت لي عمرا قصيرا؟" نظر للسماء، ثم ترك لدمعه العنان، حتى أفرغ

fb/mashro3pdf

هما كثيرا. مرت نصف ساعة ولم يعد يسمع الطنين، لكن الليل حل، ولم يعد هناك أي خيار سوى المبيت في مكانه. نظر لأعلى، الدرج يدور أمامه وسط ظلمة الليل "هل يقطن أحد هنا؟" تساءل وهو يحك لحيته. قاوم كسله، وخوفه من أن تُقصف هذه البناية، فلم يعد أمامه إلا أن يجد إحدى شقق البناية ليبيت ليلته بها. قام. لكنه تراجع فجأة لما رأى أحدهم يدخل البناية هرعا. يسد البوابة بجسده. لم يستبين ملامحه. أسند الدخيل رأسه على الحائط. ثم جلس بقامته الطويلة. ونظر لشيء صغير بين يديه - بدا وكأنه طفل - بدا الرجل محطما. يشهق في ألم. أشفق عليه حطاب. لكنه خشي أن يتقدم فيقتله الرجل. "خيرا تعمل، شرا تلقى!".

نشج الرجل فجأة بصوت مخيف، فاقشعر جلد حطاب. وما بدا أنه طفلٌ، ظهر أنه بالفعل طفلٌ، وبدأ يبكي لبكاء الرجل. تحرك حطاب من خلف ساتره. اقترب منهما. "ما بال مدخل هذه البناية، كأنه مبكى!؟" حرك الرجل وجهه، وظهر جزءٌ من وجهه لحطاب. احتبس الدم في عروقه.

صابرا

عاد لساتره بهدوء. "صابر الناجي! هل هي النهاية إذا؟ تبا تبا! يا ليتني ما دخلت هنا!"

تنبه لخطوات صابر وهو يصعد، تحفز "هذه الفرصة الوحيدة، كي أهرب منه!" ثم استدرك "لكن الطفل؟ من هذا الطفل؟ أأتركه مع مجرم عتي مثله؟ هل أسلم طفل كهذا للموت ذاته؟ تبا تبا ما جاء بي إلى هنا؟" ضرب جبهته. سمع باب شقة يُفتح، ثم يُغلق.

قبع خلف الساتر لا يتحرك. يستمع لصوت صرصور متهالك. لم يعرف لماذا بقى، ولم يهرب، هل بالفعل يأبه لهذا الطفل؟ أم أنه فضل أن يرتاح قليلًا حتى الصباح؟ حاول أن يقنع نفسه أن تحت أنف

fb/mashro3pdf

صابر الناجي أكثر أمانا من الليل. ولو أن نوبة هلع أمسكت به كلما تذكر وجهه!

مرت ساعة قلقلة، قبل أن ينتفض. سمع الباب يُفتح في الأعلى، ثم يغلق. سمع خطوات صابر ثقيلة كأن كل خطوة تعرف مكانه. تعرف أنه مختبئ خلف الدرج كالفأر. لكن صابر خرج مباشرة، وأغلق البوابة خلفه.

"أأكل الولد؟" سأل بخوف. تحرك بهدوء، وعينه لم تتحرك من على البوابة. "أصبحت تخاف يا حطاب؟" وعندما شعر أن صابر رحل فعلا، انطلق يبحث عن أي الشقق حبس أو أكل فيها الطفل! أخذ يضع أذنه على كل باب. يحاول التقاط أي إشارة على وجود الولد. لكن لا شيء، دارت رأسه من الصعود والنزول. لم يجد أي شقة مفتوحة حتى ليستلقي فيها، صعود نزول صعود نزول، اصطدم به شيء ما، صرخ. مواء حاد. أُغشي عليه.

لم يستفيق إلا بعد حين. اشتد عليه البرد، وشعر بمثانته منتفخة. صراخ في أذنه. حاول أن يعود لغفوته. زاد الصراخ. قام مفزوعا: "الولد.." تتبع الصوت. وعظامه تلتهب في ألم. صعد ببطء. وصل للشقة. كانت مفتوحة. "كيف؟ لم تكن مفتوحة، سمعته وهو يغلقها" وجد أمامه قطة بيضاء. تنظر له بثبات. تجاهلها. وأغلق الباب برفق. كانت الشقة مكسوة بضوء الفجر. شعر بأنه لم ينم. وأنه لا يزال يسير في البارحة قبل أن تطن الطوافة اللعينة. دخل الحجرة، كانت يدا الطفل تصارعان شيئا ما. لا يتوقف عن البكاء. "الكلب! كيف يدع الطفل هكذا؟ أكان يقتله من الجوع!" دُهش من حلاوة الطفل. حمله. هدهده. وجد أنه مبتلا. ضحك، وانبسطت تقاسيمه. "لقد سبقتني إذًا للحمام يا نونو، أصبر جدو العجوز يقضي حاجته ثم يعود لك." هرع للحمام. تبول. ارتجفت يداه وهو ينظف نفسه "الكلب، كيف يدع هذا ال..." ملأ طست بالماء الساخن. ثم وضع عليه ماء بارد كي يفتر. حمله، ووضع الصابون في جيبه.

fb/mashro3pdf

"لا تبكي يا نونو، لا تبكي. اهدأ اهدأ، صحيح أني أتعامل لأول مرة مع طفل، لكن أظن لا فرق بين غُسلك، وغسل الموتى، أليس كذلك؟ هأ هأ هأ لا تبكي. ها نحن ننته...آه.. أنتِ فتاة!" نظرت له الفتاة بثبات. وهو ينظر بين رجليها. "فتاة! ماذا يريد الوغد إذًا أن يفعل فيك! آه الجزار الكافر!" نظفها سريعا، وهي ترتجف بين يديه. انتهى، وعطرها. حفاضة جديدة. ملابس نظيفة. ثم ابتسم لها لما ثقل جفناها. وهي تمص إبهامها، حملها وداعب خدها الخوخي، فبدت غمازتها جميلة.

لم يكن له خبرة كافية بالأطفال، فعبأ لها "الببرونة" لبنا مبسترا من الثلاجة. سقاها، حتى نامت. وضعها في المهد. أخذ الطست وملابسها المبتلة للحمام. وما إن عاد لها حتى سمع تكة باب الشقة. "تبا" وانزلق تحت سرير جوار مهدها.

دخل صابر متلهفا: "ليلى، ليلو، لولا. وووو.. أنا هنا! بابا هنا! ليلى ليلو! أهلا أهلا أهلا.."

"بابا!" تمتم حطاب "بنت مي؟ تبا!"

"تأخرت عليك، آسف يا أميرتي، فتاة جيدة. لم تستيقظي. أو حتى تعمليها على نفسك." ضحك بحنان، وهدهدها.

حاول حطاب السيطرة على أنفاسه. تابع خطواته في الحجرة.

"ليلى يا ليلى، تعرفين أنك تشبهين ماما كثيرا. تعرفين، عندما نكبر ونصبح عرائس جميلة، سنملك هذه المدينة. ستعرفين أني أحبك وأحب أمك كثيرا. صحيح لم أكن الرجل المثالي لها. لكني أحببتها. كانت أجمل امرأة في العالم."

"رحمك الله يا مروان!"

"لا أعرف يا ليلى كيف أنسى كل ما حدث؟ التذكر أليم يا ليلى، ولا يستشري إلا مع الوحدة، ولم يعد أحد يا ليلى!"

fb/mashro3pdf

أسند حطاب رأسه على الأرض.

"لم يعد أحد! جدك الجبان هرب للعاصمة. عاد للعاصمة وترك ابنته الحامل عند أمي! أرأيت رجلا أوسخ من هذا؟ شوقي البغل! طول عمره يكرهها!" تنهد، ونظر لها. كانت تنظر إليه كأنها تستمع له وتفهم. ابتسم: "والله كأنك مي! أنت مي، أنت فقط كالعنقاء! لا تموت أبدا، فقط تموت وتولد من جديد. تنبعث من الرماد، ولم يحترق أحد في حياتك يا حبيبتي مثلما احترقتِ! " ثم جلس القرفصاء يبكي.

التصق حطاب بالأرض في خوف.

"أنا أحبك، رغم أن مي الأولى ذهبت وهي تلدك، لكن أحبك لأنك مي الثانية، "ميتي" الجديدة" وهدهدها باكيا.

"ماتت وهي تلد؟"

جلس صابر يداعبها ساعة. أرضعها رضعة تناسب الأطفال. قال لها: "سأذهب الآن يا حلوتي، لن أتأخر!" وضعها في المهد. قبلها. وخرج.

جر حطاب جسده المحطم من تحت السرير. فرد جسده وتأوه. نظر لليلى بإشفاق. كانت نائمة في سلام: "ابنة الوحش! يا لحظك البائس يا فتاة، لم يكن مروان ليتحمل إن كان أبوك! لكن اعذريني، هنا غير مناسب لك، قد تموتين، إنه رجل مهمل!" حملها. ورحل بها للعاصمة.

fb/mashro3pdf

وصل محمد قاسم لعيادة الأمراض النفسية. جلس الممرضات يتحدثن. العيادة فارغة. ضيق عينيه. تنهد. "سعيد!" همس. نظر للساعة. الحادية عشر قبل الظهر. "أين المرضى؟" همس بنباح مكسور. نظرت له الممرضة السمينة بطرف عينيها. ذات النظرة التي ينظرن بها للحالات التي تحتاج بشدة لجلسة كهرباء. **فايد** كهرباء! آه. هذه الطريقة العنيفة التي تتلف المخ. سحقا لهذه المهنة. "لم يأت أحد يا دكتور محمد!" ازدرد لعابه بغضب. نظر للساعة الحادية عشر ودقيقتين. تابعت الممرضة السمينة الحديث مع زميلتيها. تردد نظر إحداهن قلقا على محمد قاسم الذي حدق في ثلاثتهن يضيق عينيه. "بالطبع دكتور سعيد وراء هذا كله!" قال في نفسه. نظر لباب عيادة زميله د/ أحمد مسلم. "شحنوا المرضى هناك!" همس. تحرك ناحية العيادة الأخرى. خفت حديثهن ونظرن إليه. نظر للساعة من فوق كتفه الأيسر "11:09". "الدكتور سعيد رجل طويل الأنف دائما يتدخل فيما لا يعنيه. منار تقدم لها عريس جديد لكنه غير مناسب لها فهي طبيبة. أحمد مسلم لديه مشاكل مع زوجته. محمد قاسم مريض نفسيا ويجب أن نعالجه. سحقا لهذا الثرثار. لن يتوقف أبدًاعن هذا ال.. آخر مريض كان فايد. فايد.. **فايد رقيب في الأمن الخاص. كهرباء.. ماكينات الآيكس. كهرباء. يا دكتور. هؤلاء الصبية لا يتحملونها قط. يصرخون كأبناء عرس ويقبلون أقدامنا كي يقولون كل شيء.** فايد كان من شهرين. ثلاثة! أنا لن أعب من الأولانزابين ولا من أي هذه الأدوية التي تجعلني أسقط في نوم مصطنع. كلا. كلا."

فتح باب عيادة د/ أحمد مسلم. كان يعرف أنها ملآنة. نظر في وجوه المرضى المتبلدة الحزينة. أغلق الباب مرة أخرى. بهدوء. دار على عقبيه. نظر بشراسة لثلاثتهن. انكمشن. أمسكت السمينة بيده اليسرى. يدها باردة. ثلج. ازدرد لعابه في غضب. تك تك تك. لم يكن

fb/mashro3pdf

هناك صوت غير ساعة الحائط. "11:12". سخونة في الرأس. انساب على جبهته قطرة عرق ثقيلة. مشى بخطوات ثابتة ناحية باب عيادته. طق طق طق. كعب حذائه. وقف كعسكري شامخ على يساره حدقن فيه الممرضات الثلاثة. تنزلق أوراقه في عرقه. فجأة ألقى بعنف أوراقه في وجوههن. صرخن. سقطت السمينة على ظهرها. لمح سمانة ساقها ترتفع. وسروال طويل أحمر. ضغط على أسنانه. "أحمر ذوقها خراء!" همس. صفق الباب خلفه بعنف.

طرق مكتبه بعنف. رأسه تهتز من الغضب. طنت ذبابة عند الشباك المغلق. جلس خلف مكتبه. زفر طويلا. "هذا العجوز الخرف، ماذا يريد مني؟ ما شأنه وخصوصياتي؟ أنا حر أنام لا أنام، ما لهذا وعملي؟ كيف يمنع عني المرضى؟" ثم طرق المكتب مرة أخرى بغضب. أسند رأسه على المكتب.

تك تك تك

رفع رأسه. نظر لساعة الحائط. "لماذا هذه الساعة صامتة؟"شعر بثقل في معدته، وحرارة غير مبررة في هذا الجو البارد. قام يقف خلف النافذة. مكتبه يطل على الشارع عكس زميله الذي يطل مكتبه على حديقة المرضى. نظر لسيارته يطمئن عليها. "هل كنت لأذاكر وأتعب، وأدرس وأدرس وأدرس، حتى ضاع شبابي وصحتي، كي يأتي طبيب بدرجة موظف، لأنه أقدم مني فقط، فيمنع عني المرضى بحجة أني مريض وأحتاج لراحة! أنا لا أفهم كيف هو مقتنع بنفسه؟ يريد أن يفرض علي تصور أني مريض وعلي أن أرتاح! دكتور حمار!"

"دكتور" همس أحد بقلق

التفت بغضب. "كيف تجرؤ..." لكنه لم يكمل. كان فايد يجلس على مكتبه يتدلى من رقبته حبل طويل أخضر.

"فايد؟"

fb/mashro3pdf

لعب في الحبل الأخضر، وسأله"نعم كيف حالك يا دكتور؟"

"أنا جيد! لكن ماذا تفعل هنا؟ ألم تذهب؟ ألم تعد لقريتك؟ وما هذا الحبل؟ أرد المرض كرته عليك؟ "

"دكتور! لدي مشكلة مع أبنائي، كلما أقترب منهم يرتجفون، كأني أكهربهم، وهذا الحبل يزعجهم أيضًا!"

"أنا لا أفهم لماذا تصر على ارتدائه؟ وبالنسبة للأولاد، قد يكون الجو باردًا عندكم في القرية!"

"أنا أرتديه، لأني أريد أن أرتديه! أنا لا أعرف كيف أخلعه أصلا؟"

" قد يتعلق في شيء وأنت تمشي، فتختنق. وتموت!"

ضحك: "لا لا لن يقتلني. هل يقتلني وأنا الذي أعلق الصبية فيه، لا إنه صديقي، إنه مني!"

"إذن لماذا تشتكي منه!" ثم تحرك مرة أخرى ناحية الشباك لما عوت سارينة شرطة أو إسعاف.

"الأولاد يشتكون!"

"قل لي ألم تكن تعمل في الشرطة؟"

"نعم!"

فتح ضلفة الشباك وراقب: "إذن لما تنتشر سيارات الشرطة والإسعاف هذه الأيام؟"

"محمد؟" سأل صوت مندهش

"لماذا تغيرت نبرة صوتك..." نظر له عابسا، لكنه وجد الدكتور سعيد يقف أمامه. "د/ سعيد؟"

"محمد أكنت تُكلم نفسك؟"

بحث محمد قاسم عابسا بنظره في الحجرة: "أين ذهب؟"

fb/mashro3pdf

تابع دكتور سعيد نظراته "من؟"

"فايد!"

"فايد من ؟"

"د/ سعيد! أين ذهب مريضي؟" سأله بغضب

نظر له بتحدي:"محمد! لم يدخل إليك مرضى! أنا منعتهم عنك!"

" نعم لاحظت ذلك! لكن أحدهم دخل لي هنا بالرغم من ذلك!"

"لم يدخل أحد! أنت وحدك هنا، وقد دخلت عليك، كنت تكلم نفسك! أم تراك كنت تتوهم مرضاك كعادتك؟"

"أنا لا أفعل" صاح "لقد كان يجلس هنا، فايد! ألا تعرف فايد!"

"فايد من يا بني؟ فايد انتحر من شهور، أفق يا محمد يا قاسم!"

حدق فيه محمد قاسم للحظات

"محمد أنت تقاوم العلاج! هذا خطأ أرجوك أنت لا.."

"د/سعيد، أريد أن أجلس وحدي من فضلك!"

اصفر وجه دكتور سعيد. وانصرف مغاضبا.

جلس على كرسيه، رأسه للخلف، حاول أن ينام. طنت ذبابة خلف زجاج الشباك. تكت الساعة بهدوء. نبضت طبلتي أذنه. صداع متنامي. سمع ضحكة ماكرة هادئة. رنا بعين شبه نائمة. علي رجائي. يسحب الهروين هذه المرة ويضحك ساخرا. فتح محمد قاسم فمه ليقول شيئا لكنه صمت. أغلق عينه. طنت الذبابة. تكت الساعة. استنشق علي رجائي. نبضت طبلتي الأذن. صفرت في الخارج الزوابع الصغيرة الباردة. سمع تقليب صفحات جرائد "الحاج عوض، أهلا وسهلا! كيف حال الزهايمر" صرير سرير وأنين مكتوم "الآنسة س يعبث بها قريبها القذر!" صوت عجلة وجنزير "أهلا مدحت أيضًا!"

fb/mashro3pdf

"دكتورا" همس فايد

ضغط عينيه بيديه.

"دكتورا.." همسٌ اقترب جدا من أذنه.

تك تك تك تك تك "12:03"

"دكتور.. دكتور محمد.."

"باااااااااااااس!" صاح. صفع سطح مكتبه. وقفت الممرضة أمامه مفزوعة.

"آسفة يا دكتور. أزعجتك. تفضل. القهوة!" ثم خرجت في خوف.

نظر حوله لم يجد أحدا.

طنت الذبابة.

وضع رأسه بين يديه. "أريد أن أنام!" قال لفنجان القهوة.

"همممم. إذًا لا تشربني!" رد فنجان القهوة بصوت عميق.

fb/mashro3pdf

"يا زميل، يا زميل، أليست هذه هي الفتاة؟" همس عمود الإنارة المجاور للعمود ذي الورقة، الذي نخر وقال:" عدت تتكلم؟"

"يا أخي أنظر! أليست هي؟ إنها هي، صورها على كل العمدان؟" 274

"والحيطان أيضًا!"

"نعم، سمعت الحائط خلفي يشتكي مثلك! أشياء حمقاء لا تقدر كل هذا الجمال! "

"جمال؟ هذه الملصقات تشوهنا! هل سيفرح البشر لو وضعنا عليهم ملصقات لصورنا؟"

"ملصقاتنا؟ نحن مجرد أشياء كتلك الملصقات، ورغم ذلك لو ركزت في ملابس البشر ستجدهم يضعون صورًا لنا مطبوعة عليها!"

"عدا ملابس الحكومة!"

"الحكومة مرة أخرى! لا فائدة، أنظر أنظر، هي هي." خفض صوته لما مرت جوارهم

"لماذا تخفض صوتك؟ ستسمعك؟" وقفت جوارهم

"ششششششش"

اشتدت إضاءة العمودين لما نظرت لهما. ابتسمت، ثم أكملت مسيرها.

سأل العمود ذو الورقة: "هل تظن أنها سمعتنا؟"

"هل؟ لا أعرف، لكن لا أظن!"

"إذن لماذا ابتسمت وهي تنظر إلينا!"

"لأننا نحمل صورها!"

"وإذن لماذا أمرتني أن أخفض صوتي؟ لماذا أخفضت أنت صوتك؟"

fb/mashro3pdf

"حتى أدقق في جمالها!"

"جمال! أنت لن تتغير!"

"نعم، أنظر لها. أنظر أنظر.!"

سارت ليلى في الشارع تطمئن على ملصقات دعاية الحفل. غطت صورها معظم عمدان الإنارة، والحوائط. لفت الكوفية حول رأسها. أغلقت السترة السوداء لأخرها. ولم يزل البرد يتسرب إليها. اهتز الشجر في الميدان. ضغطت على القلم في جيبها عندما عوت سارينة من بعيد. دارت دورة في الميدان. وعادت إلى شارع "الكبير". ومرت من أمام المسرح الذي سيعقد فيه الحفل. تطلعت إليه بابتسامة، وعيناها مغمضتان تقريبا من البرد. وبعد المسرح بقليل. دلفت إلى حارة صغيرة أدخلتها على حارة أخرى شبه مظلمة. طرقت إحدى الأبواب.

همس أحدهم: "من؟"

"السيدة فراشة!" قالت بصوت قوي

"سيدتي!" قال الصوت بلهفة، وفتح الباب بسرعة. "تفضلي" عبست تستوضح ملامحه، ثم قالت: "آه فيثار أهلا بك!"

"سيدتي، تفضلي!"

"أرجو ألا أكون تأخرت، كنت أدور في الميدان والشوارع أتابع الملصقات، عمل رائع يا ولدي! كم من الوقت استغرق هذا العمل؟" خلعت السترة. كانت ترتدي بلوفر رمادي واسع طويل الرقبة.

"ليلة أمس وصباح اليوم، كما اتفقنا أمس، لحظة واحدة!" أنار الردهة، كان رجلا طويلا، شعره بني، تسحب المشيب في فوديه. بدت أمامه فتاة في الثانوية أو الجامعة.

قالت: "كيف حال الرجال، لماذا تغلقون الأنوار؟" فتح نور الردهة الثانية وهما يدخلانها.

fb/mashro3pdf

"الرجال بخير، نوفر بعض الطاقة لأجل البلد!"

"أي توفير يا قيثار؟ " وضحكت. ضحك بأدب وهو يسير جوارها، سألت: " ألم يأت أحد بعد؟"

"قيس وقابس بالداخل، والقليل من الشباب!"

"رائع! ما هذا، من يدخن بالداخل!"

ضحك: "أنت تعرفين!"

قالت بضيق: "قابس؟ أنا لا أفهم كيف لهذا الطبيب أن يدخن؟"

"كل الأطباء يدخنون الآن!"

"حماقة! ولماذا تدع الحكومة الناس تدخن؟ يحذرون الناس من التدخين، ويدعوهم!"

"أظن أن الكبير يدخن وكل رجاله!"

"نعم، ويشاركون الشعب التدخين فقط! أما أي شيء آخر فمحرم! شيء رائع"

"كل أشيائهم رائعة سيدتي، لذلك نجتمع هنا!"

ابتسمت: "نعم!.." دخلوا الحجرة " وأنت يا سيد قابس ألا تقلع عن هذه العادة الحقيرة!؟"

ارتبك كل من في الحجرة، وقفوا مرة واحدة. قال قابس (رجل ممتلئ، محني قليلًا للأمام بسبب ألم في فقراته العجزية، يبدو في أواخر الثلاثينيات أو أوائل الأربعينيات. خفيف الشعر) بثقة والسيجارة تتدلى من فمه: "سيدة الناس، وبنت سيد الرجال والذكور، هذه ليست عادة ذميمة، هذه سيجارة." كيف". مزاج. ولولا مقامك وعظمتك لأتيت بنارجيلة!"

ابتسمت: "يا رجل؟ نارجيلة. قلبك ميت. ارحم نفسك وارحمنا. أنا لا أفهم كيف لطبيب مثلك بل ومعلم رقص، وراقص باليه، ومسرحي

fb/mashro3pdf

قديم. أن يصل به الحال من اللامبالاة وعدم الاكتراث بنفسه!؟"

بدا عليه الضيق قليلًا:"يا ستنا السن يمر. ولم يعد لنا مكان بينكم معشر الشباب!" وأشار لها ولقيس (شاب أشعث الشعر، ذو لحية وشارب مركزان حول فمه، يرتدي نظارة، ويبدو كئيبًا)

"قيس؟ قيس ليس شابا كما تظن، إنه رجل عجوز محبوس خلف هذا الشاب الوسيم! كيف حالك قيس؟"

"سيدتي!" ضم رجليه كجندي وحياها برأسه. نظر له قابس شزرا.

"شباب، كيف حالكم؟" لوحت لشباب الفريق الذين تحركوا ناحيتها مبتسمين.

"ها! كيف الأحوال الآن؟ " جلست على الطاولة. وعبثت في بعض أوراق اللعب. تابع قيس أصابعها.

رد قيثار: "كل شيء حتى الآن كما اتفقنا عليه، الدعاية كما رأيت. أكدنا على المحافظ. وأكد لنا أنه سيأتي. وإن لم يستطع، فسيبعث بالسكرتير. بالطبع الجنرال والعقيد، وكل رجالات الدولة،.." صمت قليلًا والشباب يحيطونهم بأصوات الكراسي ".. وزير الثقافة بالطبع ورجاله الأشاوس. رجال الأعمال، دعونا الفاسدين بالخصوص، الممثلين، شعراء ومثقفي الحكومة، وكل من يهلل ويطبل ويزمر.. ستكون وليمة بإذن الله!"

ضحكوا. أومأت: "لكن هل يستوعبهم المسرح؟"

"نعم، قيس رآه اليوم!"

"كيف كان؟" سألت قيس

برم طرف لحيته الصغير: "كانت مأساة، المسرح مغلق منذ عقود، رائحة المكان القديمة تقهر الأنفاس. تضيق الصدر. لكن عندما أضاءوه رأيت أروع مسرح على وجه الإطلاق. هذا مسرح ملكي!"

نظرت له في حيرة "إذن أين المأساة؟" وضحك قابس تندرا عليه

fb/mashro3pdf

حك رأسه في توتر: "احم !! أقصد أن المأساة أن مسرح ملكي عملاق مثل هذا مغلق لعقود. حتى احتله العنكب والشنكب!"

"العنكب والشنكب؟" استنكر قابس وتعرجت وجوه الآخرين

"يعني العناكب والعثة!" رد قيس ببرود

"العثة؟" حدق قابس فيه بغضب وضرب الطاولة. أمسكه قيثار من يده، وسأل بهدوء: "وهل سينظفونه من العنكب والشنكب يا حلاوة؟"

ضحك قيس لمنظر قيثار الوقور وهو يردد كلماته: "نعم، تعهد المدير بذلك"

"المدير؟ ولماذا له مدير وهو مهجور؟" سألت ليلى

ابتسم قيثار: "المسرح عندهم مؤسسة موجودة، مادة موجودة، لا بُد لها من راعي، حتى لو كانت ميتة!"

"حرس للجثث!" تمتم قيس

"أهذا الولد أبله؟" صاح قابس. ضحكوا.

نظر له قيس ببرود "ما شأنك يا عم؟"

"ما هذا الكلام العجيب؟ كل كلامك ألغاز وبله! عنكب شنكب. حرس جثث!"

"وما مشكلة حرس الجثث؟"

"صحيح ما مشكلة حرس الجثث؟ "سألت ليلى "أراه تشبيه جيدا!"

"يعني هل يعجبك تنطعه بالكلام؟"

"لا يضر يا قابس، قيس شاعر وكاتب عظيم!"

ابتسم قيس رغما عنه. حدجه قابس بشدة: "ابتسم ابتسم، حقك يا ابن المحظوظة!"

fb/mashro3pdf

رفع قيس كفه يحيه"مساء الفل يا عم قابس!"

"مساء الخراء يا أخي!"

"قابس!" شجبته ليلى، فنظر لقيس بغضب. ثم صمت.

"ومتى ينتهون من نظافة المسرح؟ "سألت قيس

"قبل الحفل بأسبوع"

"إذن بعد أسبوع من الآن! رائع. عمل رائع، أشكركم كثيرا يا رفاق"

ابتسموا، قال قيثار: "بل نشكرك أنت لولاك ما تجمع كل هؤلاء الرجال والنساء"

"نعم، لكن بدونكم لم يكن شيئا ليحدث، يكفي أن يأتي الجنرال والعقيد!"

ضحك قيثار، وتبادل النظرات مع قابس: "في الحقيقة لم يأت هذان الرجلان خصوصا إلا لأنك من ستحيي الحفل! لولا ذلك ما حدث أي شيء!"

عبست: "ماذا تقصد؟"

قاطع قابس كفه الأيمن بالأيسر، قال يضحك: "دعوة خاصة عليها صورة السيدة ليلى، لم يتمالك الرجل نفسه، إلا ووقع الأوراق في دقائق!"

احمر وجهها: "ماذا تقصد؟"

"نعم، هؤلاء الرجال لا يفهمون إلا بهذا!"

نظرت لقيثار بتقزز: "كم يكون الرجال قبيحون عندما يفكرون!"

ضحكوا. قال قيثار: "ونحن نريدهم قبيحون! فلو كان فيهم ذرة جمال، ما حاربناهم!"

ابتسم قيس. ورنا لقابس بمكر. قال ضاغطا على حروفه: "ستكون

fb/mashro3pdf

مذبحة أوريستية!"

نظر قابس له باستخفاف: "أعرف هذه يا حبيب أمك! أوريستس وأجمانون!"

ضحك ضحكته العالية: "يااااه يا حلاوتك يا عم قابس!"

احمر وجهه: "نعم، كتبها سي خولوس أليس كذلك يا نطع؟"

ضحك قيس بهستيريا: "سي خولوس. هاه هاه اهاهاها سي خولوس آه. أسخوليوس أسخوليوس يا فنان!" ضحكوا.

"ماشي يا مثقف!" وقام للحمام. طُرق الباب. فذهب ڤيثار يفتح. استغل قيس تشاغل الشباب بالضحك والكلام، اقترب من ليلى. نظرت له بحذر. همس: "زعموا أني أراك غدا، وأظن أن الموت دون غدي*"!"

حدجته بطرف عينها.: "ماذا تريد؟"

"ماذا أريد؟ وأدنيتني حتى إذا ما فتنتني، بقول يحل العُصْم سهل الأباطِحِ، تجافيت عني حتى لا لي حيلة، وغادرت ما غادرت بين الجوانح!"

نظرت بتوتر للشباب، همست دون أن تنظر إليه: "مجنون!"

اقترب أكثر من أذنها: "مجنون مجنون. على مثل ليلى يقتل المرء نفسه. وإن كنت من ليلى.. على اليأس طاويا!"

ابتسمت: "ماذا تريد الآن!"

"أيا هجر ليلى قد بلغت بي المدى، وزدت علي ما لم يكن بلغ الهجر!"

"قيس!"

قال بوله: "ليلى!"

نظرت حولها مرة أخرى: "اعقل يا مجنون!"

"أخلفت موعدك مرة أخرى يا سيدة الفراشات!"

* الأبيات القادمة لقيس بن الملوح

fb/mashro3pdf

"أتراني بلا عمل مثلك! ألست جالسا معنا نجهز للحفل!"

"نعم، لكن كان هناك بيننا موعدا"

"كنت مشغولة" ونظرت بعيدا عنه

"إذن متى؟"

"سأكلمك يوما ما أخبرك٦"

ضحك: " تجافيت عني حتى لا لي حيلة... بعد الحفل إذًا!"

أومأت بنفاد صبر. ابتسم. ثم تطلع لقيثار ووراءه باقي المجموعة. قالت بلوم ودلال: "تأخرتم!"

عبس قيثار: "ليس فقط تأخروا، بل أتوا مجموعة، وليس فرادى كما اتفقنا!"

"صحيح!"

عاد قابس، قال بغيظ:"أولاد كلب، ألم أكرر عليكم يا أبناء المرأة المومس أن..."

"قابس!" صرخت ليلى "كف لسانك عنهم!". فعبس وجلس مغاضبا، ضرب قيس في ركبته الذي اهتز في ضحك.

قال قيثار يقاوم ضحكه:"أرجوكم لا تكرروها، أنتم تعرفون أنه ممنوع سير المجموعات في الطرقاتّ! سيكشفونا! وإذا قبضوا علينا من يقاومهم!؟"

أومأوا وجلسوا.

قالت:"إذن غدا نستأنف التدريب.؟"

"بالتأكيد"

"رائع هل من شيء آخر!"

fb/mashro3pdf

قال قيس: "نعم، هذا الميعاد متأخر وخطر عليك..."

قاطعته في حسم: "ليس من شأنك، أأنت ولي أمري؟"

امتقع وجهه. قال ڤيثار: "لكنه على حق، الساعة واحدة بعد منتصف الليل متأخر، ونحن ننتهي أيضًا الثانية والنصف أو بعدها!"

"أرجوكم أنا ليس لدي أي مشكلة في ذلك! ليس لدينا وقتا أفضل من هذا! وبالنسبة للبيت، فجدي لا يأبه تمامًا بكوني فيه أو لا، لا يلاحظ في الغالب. غير أن ما نفعله هنا للوطن أليس كذلك؟"

أومأوا. بدا على قيس الضيق. قالت له بشبح ابتسامة: "كف فقط عن توهماتك المريضة يا معقد، ونظف رأسك من معتقداتك الرجعية!" فابتسم يهز رأسه.

"إذن إلى اللقاء!" وخرجت، أوصلها ڤيثار. تبعثرت المجموعة في الحجرة. أمسك قابس كتف قيس بقسوة، صاح: "شنكب واركب يا ولد!". ضحك قيس: "يا عم إليك عني!"

"سأدعك الآن، حسابي مع أولاد الطاهرة هؤلاء!" ثم نظر لفرقة الرقص المتأخرة: "تعال إليّ يا ابن الطاهرة أنت وهو!" اندفع إليهم وهم يضحكون.

fb/mashro3pdf

جلس الجنرال يهتز بكرسيه يمينا ويسارا، خلف مكتبه في حجرته البيضاء. كان يعبث بجهاز الراديو الذي تعطل فجأة! انزلقت قبعته الكبيرة فوق حاجبيه الكثيفين المصبوغين بلون بني كشاربه. أنفاسه ثقيلة تخرج بالكاد من وزنه الثقيل، وعمره المديد. بدا منهمكا لفترة حتى وضع الراديو بعنف على المكتب. وصاح بعنف: "يا حارس!" لحظات ودخل شاب طويل: "أمرك!" قال بقوة

"ماذا أصاب هذا المخروب؟"

"لا أعرف سيادتكم، هذا الراديو لكم! لم ألمسه قطا"

"نعم، لكن ماذا دهاه!؟" ثم ضرب أعلى الراديو مرتين!" تفضل خذه ليصلحه أحد ما!"

"أوامرك!"

خرج الجندي، وقابله العقيد عشماوي. قد أصابه الصلع تمامًا. انحنت قامته. بقي وجهه مشدودا، وعيناه مشتعلتين. وقف الجندي يحييه. رد التحية على الجندي. ودخل.

"ها! عشماوي! كيف حالك!" قال الجنرال

"جيد! ما بال مزاجكم معكرا؟"

"لا أبدا، هذا الراديو الجيد تلف! بئس صناعة هذا البلد! الشعب لم يعد لديه ضمير!"

"هذه الأجهزة لا تصنع هنا! نستوردها غالبا من الصين!"

"بئس صناعة الصين، شعبهم لم يعد لديه ضمير، احمر!"

" نعم نعم، لا عليك، لكني لا أفهم، لماذا تصر على الراديو يا فندم؟ لو رغبت آتينا بمحطات الإرسال كلها هنا!"

fb/mashro3pdf

"كلا كلا هذه الأجهزة. تذكرني بأيام الحرب! المجد! كنا في الخنادق نحارب ونستمع إليها"

عبس العقيد: "هل حاربت؟"

"بالطبع! وأسقطت من العدو الكثير!"

"هل كان رجال الوزارة رقم 2 يحاربون على الجبهة؟ إذًا ماذا كان يفعل رجال الوزارة رقم ١؟"

"الجبهة؟ من قال أن هناك جبهة؟"

"ألم تقل خنادق؟"

"يا رجل خنادق الأمان! (ضحك) حيث يتجمع البشر تحت البيوت كالفراخ، ونحن كنا نؤمنهم!"

"نعم نعم فهمت.. تقصد الملاجيء"

"بالضبط.. كيف حال العاصمة؟"

"تمام تمام. الأمور مستتبة لدرجة أننا سنحيي حفلا خاصا!" لوح بذراعه في استمتاع

"نعم، وصلتني الدعوة! الفتاة جميلة!"

ضحك العقيد: "فاتنة، تؤكل أكل!"

ضحك: "يا لك من عزيز يا عشماوي، كل هذا لراحتي، أشكرك!"

أخفى العقيد امتعاضه: "نعم. نعم. راحتك سعادة لنا!"

ضحك الجنرال، مسد شواربه "وأحوال المدن الأخرى؟"

"أنت تعرف، صابر لا يتوقف عن العبث. العصابات كل يوم تزداد. وهذا الصبي الجديد الذي يدعي كيموس الأعور!"

"من؟" سأل بتقزز

fb/mashro3pdf

"كيموس، اسمه الحقيقي كريم عبد اللطيف. فتى صغير يدمر، ويحرق، ويقتل، يبشر بجيل جديد من القرف والتطرف!"

"ومن أين هو؟"

"المدينة الأخرى!"

صاح الجنرال: "بئس القرف والعفن والمولد والنشأة، لا تأتي بخير أبدا هذه المخروبة!"

"نعم نعم."

"لكن من بقى هناك من الناس كي يقتل أو يدمر، ألم يأتي عليها الناجي من القواعد!"

"لم تعد المدينة الأخرى سيادتك إلا ملهى أو نادي يرتاحون فيه، أما عملياتهم فتنتشر في المدن المحيطة، كالمخلوطة، والزغباء. وخلافه!"

"ينتشرون؟ وماذا يفعل رجالنا حيال ذلك؟"

تنهد العقيد "نطارد ونقمع ونقتل! فقط راعى أنت رجالك وسيخضع الوطن للأمن تمامًا!"

"أنت تعرف أنا لا أمنع شيئا ينفع الأمن والأمان!"

"نعم نعم"

ظهر من خلف الباب صوت المذياع يقترب. تهلل وجه الجنرال:"الراديو!". دخل الجندي. سلمه الراديو بأدب. سأله: "ماذا كان فيه؟"

"لا شيء. المشكلة كانت بالإرسال!"

"الإرسال؟" سأله ممتعضا

"نعم! أسقط بعض المشاغبين أحد أبراج الإرسال!"

هب العقيد غاضبا!: "ماذا تقول؟"

fb/mashro3pdf

ارتبك.: "بعض المشاغبين أسقطوا برج الإرسال، لكن مدير الإذاعة أمر بمعالجة الموضوع فورا، وها هو يعمل!"

وش وششششش أعز..أعزششش أعزائي المستمعين، وتستمر المناقشة في موضوع الليلة عن تدريبات فريق الكرة..."

نظر الجنرال باهتمام للراديو. وبدأ يقلب في محطاته "اممم إنه يعمل! لكن أنظر ماذا نفعل مع هؤلاء الصبية يا عشماوي!"

"أوامرك يا فندم!"

"أريد هذا الولد الأعور بالأخص!"

"أوامرك!"

"تفصل.." ثم استدرك " أرجوك ابعث لي بصورة كبيرة للفنانة غدا!"

fb/mashro3pdf

خرجت ليلى. قابلها هواء بارد عنيف. تلفتت في حذر؛ عوت سيارات الشرطة من بعيد. نظرت في ساعتها "3:00" فجرا. أحكمت الكوفية حول رقبتها بشدة. خرجت من الحارة للميدان مرة أخرى. الشارع يتنفس باطمئنان رغم الخواء التام، الذي لمّح لليلى بخوف من مصابيح الإنارة الخافتة، من الأرض اللامعة المهتزة بالمطر. لكنها ركنت إلى أنفاس الشارع الهادئة، رغم الخواء والبرد. واشتهت نفسها المشي في الميدان في هذه الساعة.

"لماذا أخاف وقد كان يسير في المدينة، ينام، يهذي، يتكلم، وحده ووحده فقط ليل نهار؟" قالت وعيناها تتابع صور أبيها الملصقة تحت صورها على كل حوائط الميدان والشوارع المتفرعة.

ابتسمت في نفسها "لا زالوا يبحثون عنك، لا زال الرعب يأكل قلوبهم منك، قاتلك قضى وأنت لا زلت حي تروعهم، حتى وأنت ميت!". لم يكن أحدٌ في الشارع، لكنها لم تنظر لصورته كثيرا، "ففي الليل لا تُرى العيون". لكنها شعرت برضا تام من عمل رجالها الذين قصدوا وضع صورتها فوق صورة أبيها، كأنهم يقولون: "عائدون!".

fb/mashro3pdf

قرقع الرعد بهدوء. تحركت السحب تحت النجوم بقوة. ابتسمت ليلى. رجعت برأسها للخلف. رفعت أذنها لأعلى قليلًا تستدعي لحنًا حزينًا جميلًا، كانت تعلمته من قيثار. لحن يدعى " في إزهار كامل" " **نغم وحيد. متوحد. يتنامى كساق زهرة غضة تخرج من الأرض. يتقافز البيانو بانسجام. ثم. بقلق كقطرات مطر. غير متابعة. تسقط على وتر. تسقط على أوتار. وتر ثم أوتار. تشبهني الآن وأنا أقفز بين برك المطر على الطريق. والفلوت في الخلفية يؤجج الوحدة بثبات."** طرطشت المياه بخفوت. ابتسمت. هزت رأسها. النغم يتصاعد في رأسها. "تستطيعين أن تستدعينه سيدتي" قال لها قيثار. تحب قيثار جدا. قلبه كالأوتار. رقيق. أرادت تعلم البيانو. قابلته هناك حيث كانت الدروس. كانت يده مجنونة. تحفظ كل السيمفونيات والألحان. كان يندمج مع اللحن فلا يشعر بأحد حوله. مرت نسمة شديدة البرودة. وقفت. ضغطت الكوفية جيدا حول رقبتها. أنفها أحمر وخديها من البرد. نظرت حولها. لا أحد. الساعة الثالثة والنصف بعد منتصف الليل.

"نصف ساعة!" نظرت خلفها، كان فم الشارع الذي تتفرع منه الحارة ويقع فيها وكرهم، قد اختفى تقريبا. "لا فائدة إننا نهوى نحو الهلاك، صدق خالي، الزمن يأكله النمل! كل شيء يمر. يسير. يختفي. لكن من يأكل النمل؟ كيف يفنى وهو يأكل الزمن؟ سأسأل خالي غدا. جدي المسكين قال إنه سيذهب ليزور قبر أمي! ماذا سيقول لي عندما يعرف أني كشفت كذبه؟ سيكابر! كل الكبار يكابرون! سينكر أنه يكذب، ويدخل في نوبة البكاء المسرحي، ويقول أن ولديه ذهبا وتركاه بلا ظهر! وماذا غذيتهم حتى يصمدا لأجلك؟ رجل طاغية!" زفرت. "لم تكتب أمي يوما في دفاترها كلمة لطيفة عنه، لا أحسب أن جدي سيكون سعيدا عندما يرى متعلقات أبنائه، سيظهر على حقيقته عندما يرى ما كتبوه، أظن أنه سيقتلني لو عرف أني أملك هذه الأسرار!"

كانت تجلس في حجرة أمها. كان جدها يشرب القهوة في الصالة ويسمع الراديو. أغلقت الحجرة على نفسها. قررت أن تنظفها. بدأت

fb/mashro3pdf

بالأدراج المكتظة بمتعلقاتها الصغيرة التي تشابكت مع بعضها البعض. جلست قرفصاء على الأرض أمام الدرج، مرت ساعة أو ما يزيد، تكومت جوارها كومات صغيرة، واحدة قررت أن تلقيها في القمامة، وأخرى للمصوغات المزيفة والإكسسوارات والباقي متعلقات أخرى. حاولت أن تجر الدرج للخارج قليلًا، فانكسر في يدها وسقط. ندت عنها صرخة ألم خافتة عندما وقع على قدمها. كبتت الصرخة. وضربت الأرض حتى هدأ الألم، حاولت تركيب الدرج. لم تستطع. شيء ما قاومها. حاولت مرة أخرى، لكنها لم تستطع. اجتاحها غضب. فوضعت الدرج على الأرض جوار الكومات. تحسست مدخل الدرج. وجدت شيء ناتئ في باطنه. تحسسته. بدا وكأنه درج أخرا سحبت. تحرك. خرج درج كامل!

في ذهول تام، واجهتها صورة مبتسمة لأمها. مي. صورة جانبية. ترنو مي للمصور بغمازة وعين. أنفها جميل. قليل من الشعر البني يظهر من تحت حجابها. احتضنت ليلى الصورة. لم تعرف هل كانت تبكي من الصدمة، أم من الوحشة. قلبت في الدرج ببطء. وجدت دفاتر، خطابات، صور كثيرة. إكسسوارات، منبه وردي اللون. ثم صندوق مستطيل مغلف بورق لامع. مرقش بنقط بيضاء.

وضعت الصندوق على حجرها. فتحته. وجدت صورة لشاب نحيف قليلًا، مرهق، عابس. قلبت الصورة، طبع عليها تاريخ الصورة فقط، قلبت في الصندوق، وجدت تقارير طبية، قرأت الاسم في ذهول: "أشرف شوقي منصور"

نقرت جبهتها قطرة مطر ثقيلة. نظرت لأعلى، وصدرها مرهق من الذكريات. تابع المطر بهدوء. انسحب الرعد قليلًا للمطر الذي يشتد. "أربعون يوم وليلة – لحن كسفينة تخرج من الطوفان إلى السكون فوق الموج، وتأمل ما بعد الخراب، وتأمل ما هو قادم!" اشتد المطر، انساب شعرها. صوت كمان بعيد، كلمات قيس إذ يغازلها:

fb/mashro3pdf

اسمها في كتب السماء منير
هي كل الكلم
أولها هو الأول
أخرها هو الأخير
وكل نساء العالم إليها تصير

تمايلت بفرح، وكأن زهرة تنمو من قلبها. يشتد المطر. "في إزهار كامل- نغم وحيد. متوحد. يتنامى كساق زهرة غضة تخرج من الأرض. يتقافز البيانو بانسجام. ثم. يقلق كقطرات مطر. غير متابعة. تسقط على وتر. تسقط على أوتار. وتر ثم أوتار. تشبهني الآن وأنا أقفز بين برك المطر على الطريق. والفلوت في الخلفية يؤجج الوحدة بثبات."

"4:00". لمحت واجهة زجاجية مليئة بالدفاتر. اقتربت بحزن. يشتد المطر خلفها. تعوي من بعيد سيارة شرطة. تبخرت أنفاسها على واجهة المحل الزجاجية. "أبي!" همست. مسحت البخار. كان هناك دفترا أحمر، يشبه واحدا وجدته في درج أمها. حفظت فيه أمها صورة لها ولأبيها. كانا يبتسمان. والفرح في عينيهما. كتب في أول صفحة بخطه لأمها:

"تقريبا من دون كل الألوان أفضل الأحمر. كل دفاتري حمراء. ودفاتري جزءٌ من روحي. فهذا لك. كتبت في صفحة وتركت أخرى لك. فيكون نصفه لي ونصفه لك. لتفرح به ذريتنا! أحبك "ميّتي" "

مسحت وجهها من المطر، من الدمع. نظرت لصورة أبيها الملصقة جوار باب محل الدفاتر. تحسست لحيته بحنان. عوت سيارة شرطة بعيدة. اهتزت دمعة على طرف رموشها غضبا. قالت: "إنهم كما هم يا أبي، لم يتغيروا، وكل كفاحك. وكل وحدتك ذهبت هباء. حياتك ذهبت هباء. قتلوك، ثم يبحثون عنك، فلازلت تقتل قتلاهم، وتدمر مساكنهم. لكن اطمئن، سننتقم يا أبي. سننتقم!"

fb/mashro3pdf

عادت تتأمل الدفتر الأحمر. بحنان. بحزن. شعرت بحركةٍ ما جوارها. نظرت يمينها بهدوء. تراجعت في خوف. كان هناك متشردا يتأملها، ويحمل عصا غليظة في يده!

fb/mashro3pdf

انقطعت أنفاس قطيع بنات عرس. لم يكن هناك سبيل غير الاستسلام أو الموت. صوت ضربات خافتة لقطرات ماء على شيء ما. الضوء أبيض خافت جدا. رائحة قمامة. تحلق أربع كلاب حول القطيع، الذي بدأ يبكي مزقزقا. جلس الأربعة على مقاعدهم وبدؤوا مداعبة مذاكيرهم. تكوم القطيع في ركن يصيح بلا جدوى.

برقت خمس أزواج من العيون المهيبة خلف الكلاب. شمشم أحد الكلاب بقلق وامتعاض وكفه سكن عند مخاصيه. نظر خلفه ببرود. تشنجت حدقة عينه. واستقام على أربع ينبح بشراسة. التفت أصدقاؤه مرة واحدة، وشاركوه النباح الشرس لما رؤوا خمسة ذئاب يتقدمون نحوهم. اكتسح الشارع رائحة شعر غريبة، كأن الرمال عالقة بها. ارتعدت كومة العرس، لكنهم تفرقوا في كل ناحية، استغلوا انشغال الكلاب.

اقترب الخمسة بهدوء. ولا تزال الكلاب تنبح. توقف ما بدا أنه كبير الذئاب لوهلة. رفع رأسه بهدوء. اهتز فرو ظهره المرتفع مع الهواء. أطلق عواءً قويا. عوت صحبته.

رد من بعيد عواء.

نبحت الكلاب.

زمجر الخمسة. وانقضوا بضراوة على الأربعة فمزقوهم!

مدت عرسة رأسها بفضول. رأت ذيول الذئاب تهتز في شموخ خلفها. رأت الدماء تسيل من الكلاب النافقة. زقزقت في لهفة. نظرت حولها "أين القطيع؟" ثم جرت تتبع الذئاب!

fb/mashro3pdf

-9-

"لولا أني ورثتك عن أبي، والله العظيم كنت ألقيتك في صندوق القمامة!" صاح محمد قاسم في الساعة ذات البندول.

"أنا؟ أنا يا محمد؟ أنا الذي أرعاك وأضبط حياتك على تروسي؟"

"ترعيني؟ ماذا تقولين؟ أنت ملكي؟ كيف ترعيني! أنا أعرف أني أهذي وأتخيلك تتكلمين! لكن صبرا سأنام يوما ما ولن أسمعك تصخبين!"

"يا حبيبي!" قالت بشفقة "أنا أشجعك على النوم، وأنت لا تتهيأ، أنا أتكلم، وكل شيء في هذا الكون يتكلم، أنتم فقط لا تفهمون يا بشر بغروركم كلامنا!"

أومأ بعدم تصديق: "رغم كل هذا لن أتجرع أدوية دكتور سعيد. انتهى، أنا إن كنت مريضا فهناك علاجات أخرى غير الكيمياء!"

"مثل ماذا أيها البشري! أنا عندما أتلف أين اذهب؟"

"للساعاتي"

"وهل لي أن أرفض أن يغير لي ترسا، أو حجرا، أو أي شيء!"

"أنا لا أعترض إن كان هناك عضوا تالفا عندي أن أجري فيه جراحة، لكن.. ما شأني أنا بتروسك وأشيائك، أنت ساعة، أنت جماد. كفى عن الهراء. أرجوك. المفترض ألا تتحدثين معي!"

"يا مغرورا ليس لك علي أي سلطان. أنا ساعة وأنت إنسي."

"آآآه. أنت حمقاء. أنا صاحبك وأفعل ما أشاء، ولنفترض أن ليس لي عليك سلطان، فكذا أنت ليس لك علي سلطان. اصمتي ولا تعظيني أبدًا بعد الآن!"

"بل لي سلطان! أنا ساعة، ووقتك يمر بين تروسي!" همست

حدق فيها للحظة. ثم هز رأسه يستفيق. تك تك تك تك تك. "2:20"

fb/mashro3pdf

قام نحو النافذة. الليل يتنفس هواء رائع رغم برده. "هذا النسيم النظيف" همس. رجف قلبه لما سمع لحن ليلة أمس. (كمان ينساب مع الهواء. بعيد. غريب أن يظهر في المدى. كمان مؤلم. حزين. يستحيل أن يعزفه إلا محترف. كمان يشتكي. ألم.) تمايلت رأسه بنعومة. على وجهه ارتسم شجنه. "غريب أن يعوم في هواء هذه المدينة موسيقى كهذه!" فكر. واستمع. هبت نسمة باردة أخرى. (الكمان يعلو. يعبر كل هذه المسافات البعيدة. دمدمت خلفه طبول. ثم. كهرب نغم عنيف. عالي. صارخ.) "إلكتريك!" (عنعا عنعا عنعنعا!!!).

سار في قلبه دفقة حماس. هرش رأسه. "هذه الليلة جميلة بالخارج" نظر للساعة خلفه "2:33" "لن يضر إذا تمشيت قليلًا، سأحتفظ معي بالمطواة من باب الاحتياط" اندفع نحو الدولاب كي يبدل ملابسه.

"ماذا تفعل؟" صاحت الساعة

"ليس من شأنك!" رد باقتضاب وهو يغلق أزرار القميص

"ألا تعرف كيف هي مواقع عقاربي؟"

"ماذا؟" استنكر

"أتعرف كم هو الوقت الآن؟"

نظر إليها ببرود "الثانية والنصف بعد منتصف الليل!"

"إذن؟" سألته بتعجب، ترقب.

"إذن اصمتي، حتى لا أحطمك، أو ألقيك من الشباك!"

"تك تك تك تك تك!"

"تكتكي كما تشائين، فلينقضي عمري لهواء الرحمة!" قذفها بكلماته، سحب مفاتيحه من أمامه، أطفأ الأنوار، أغلق سترته الجلدية، فتح الباب

"ستخرج حتى دون أن تصفف شعرك؟"

fb/mashro3pdf

"اخرسي!" وصفق الباب خلفه

دقت الساعة خلفه، تأفف "ساعة خربة! تدق الثالثة إلا الثلث! لا بُد أن آخذها للساعاتي وأنا ذاهبٌ للعمل غدا، المهم أن أتذكر هذا، لكن كيف سأذهب غدا للعمل" نظر لساعة يده "2:41"، أردف "ربما أعود ستكون الرابعة، الخامسة! لكن ماذا يفيد هل سأنام؟ حتى لو نمت ولم أذهب للعمل! هل هناك فارق، محروق أم العمل للأبد!" فتح بوابة العمارة. ربضت سيارته كوحش معدني يغرق العرق جسده. نظر في الجو. المطر غسل كل شيء. مر جوار سيارته بهدوء: "لا، سأتمشى" تنهدت السيارة، لكنه لم يلتفت لها. أقنع نفسه أنه لم يسمع شيئا. ركز في صوت الرمل المتبلور الذي يئز بين حذائه والإسفلت المبتل. تطاير شعره مع الزوابع الباردة الصغيرة. خفق قلبه. سمع لحنا. لكنه لحنا جديدا. (عود. عود دءوب، يتدلل. يعلو بهدوء وينخفض بذات الهدوء والسرعة، يتلاعب على الطبقات الصوتية بانسجام واحد. ثم. يتردد مع نسيجه ساكس. غير ساكس أمس. هذا ساكس واثق، يصدح خارج فخامته المعتادة، فيتوازى مع دلال العود الذي صمت قليلًا يستمع إليه. ومن حين لأخر يتداخلا في غزل. حالة من الجنون المتزن) نظر حوله. الشارع خال تمامًا. سيارات نائمة. ومصابيح الإنارة. سأل نفسه: "من أين يأتي إذًا هذا اللحن؟ هذا ليس طبيعيًا!"

نخر أحدٌ ما: "أنت نفسك غير طبيعي يا دكتور!"

نظر خلفه مصدومًا: "فايد! ما الذي أتى بك الآن! روّح!" صاح

"لا، إنها نوبة حراسة!" قال في قلق ولعب في الحبل حول رقبته

"حراسة! حراسة من! يا عم اذهب الآن! أنا أتمشى كالمجانين في هذا الجو حتى أنساكم، ثم تأتي كي... اذهب!" صاح، فتلاشى فايد. حدق محمد قاسم حيث اختفى فايد. حاول أن يستوعب. لكنه توقف وأصر على التناسي. سار ويداه في جيب بنطاله. ارتجف قليلًا من البرد ولا زال

fb/mashro3pdf

تلاشي فايد يهزه. بدأ المطر ينزل بهدوء. شعر براحة قليلة. حاول أن يعاود التقاط اللحن بأذنه. بدا بعيدا جدا، فلم يعرف أكان هو اللحن بالفعل، أم أنه يتذكره فقط! ترك قدميه تسيران به، والمطر يشتد. كاد أن يستمر في المشي، لكن الرعد، جعله يتراجع. فتحرك ناحية رصيف المحلات. اقترب من أحد المحال التي لها مظلة كبيرة تغطي واجهتها. وقف هناك يتابع المطر. مسح نظارته من المطر. سمع ضوضاء خافتة من تكتكات لعدة ساعات. زفر. "ليس وقته قط! لم أكن لأسير في هذا ال..." التفت وراءه حيث مصدر الصوت. وجد واجهة محال ساعات. أنواع ساعات من كل نوع وشكل. "هل صاحب هذا المحل رجل عاقل؟ أم هو متعمد إزعاجي؟ وما بال هذه الساعات فرحة. تبدو فرحة لرؤيتي. تبا. أنا لا أفهم كيف لصاحب محل ساعات أن يترك واجهة محله مكشوفة هكذا؟ لماذا لم يغلق محله جيدا؟" ثم اقترب ينظر لحلق الواجهة من أعلى، فلم يجد أي مجرى لباب صاج أو شيئا من هذا القبيل.

"هذا ليس من شأنك. ها ها ها ها!" قالت مجموعة الساعات وهي تكتك في عشوائية

"لم افهم!" تمتم وهو يفحص الحلق.

"ليس من شأنك أن يغلق علينا صاحب المحل بابا أو يتركنا هكذا!"

استقام للخلف. نظر لهم بعدم فهم.: "طيب!" وتجاهلهم. لفت انتباهه ملصق دعائي فوق صورة صابر الناجي. "ليلى!" قرأ اسم الفنانة " إذًا فهذا الإعلان الذي يغرق المدينة هو لإقامة حفل. لكن لم أسمع يوما أنهم أقاموا حفلا! امم. لكنها جميلة. " كانت ترتدي في هذا الملصق فستانا نبيذي. وعقد عريض فضي مرصع بأحجار بلون الفستان. يدها المدورة. بأصابعها الصغيرة. أمسكت بميكروفون. كان فوق رأسها رسم لفراشة.

fb/mashro3pdf

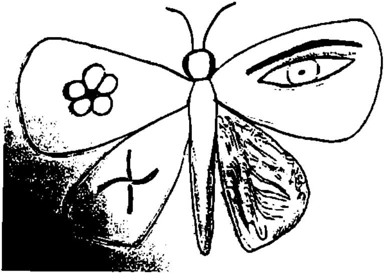

تأمل عينيها. كأنها تنظر إليه مباشرة. شعر بأنها طفلة فهد. تقاسيم وجهها الدقيقة فتنته. عاد اللحن. العود. الساكس. اختفى صوت المطر وتكتكات الساعات. تحركت أجنحة الفراشة على الملصق. وقفت على أنف ليلى. بدت تناسب أنفها الصغير. الجميل. مد يده نحو الفراشة. سمع ضحك خلفه. ثم صوت المطر. وتكات الساعة. نظر خلفه.

فغر فاه. كانت هناك فتاة أو طفل. صبي. جني! يضحك ويقفز تحت المطر. يمسك رأسه وهو يقفز ويهزها يمينا ويسارا. نظر محمد قاسم حوله في حذر. لا شيء لا أحد. المطر يشتد. والفتاة أو الصبي يتقافز في نشوى وفرح. ويصرخ في جنون. تمايلت في فرح كأنها /كأنه زهرة. بدت فتاة أكثر منها صبي لما اقتربت ناحية الرصيف. كان المطر شديدا لدرجة أنه لم يميز إلا عندما وقفت عند الرصيف أمام أحد واجهات المحال التي تبعد عن محل الساعات الذي يقف أمامه بحوالي سبع محال تقريبا.

فتاة ممتلئة قليلًا. رفعت شعرها الملتصق على وجهها للخلف، وقفت تتأمل الواجهة بحنان. أقترب منها بحذر. وقبل ثلاث محال،

fb/mashro3pdf

راقب جمالها الهادىء. اختفى في الظلام وصوت المطر لما تلفتت في قلق. عادت للملصق، فنظر بدوره للملصق جواره.. قال في نفسه: "هل طبيعي أن يلصقوا كل هذه الدعاية، أم لأنه أول حفل يقام لها؟". ساورته ريبة لما شعر أن الفتاة تمسد الصورة بحنان. عوت سيارة شرطة من بعيد. نظر في أفقه. ثم عاد يتطلع إليها. عادت تتأمل الواجهة. اقترب. لم تشعر به. وجدها تتابع دفاتر، وكشاكيل. تعجب: "ما شأن هذه الفتاة، تسير في المطر، وتنظر لصورة فتاة أخرى بحب، وتتابع الدفاتر في حنان! ثم لماذا ترك صاحب محل الدفاتر هو الآخر الواجهة مكشوفة، أخلت المدينة من اللصوص؟" تملكه الفضول ناحية الفتاة. فقرر أن يتعرف عليها. عاد دون أن تشعر به قط. بحث عن صندوق قمامة. عبث حوله بقرف حتى وجد غصن شجرة سميك. سحبه. همّ عائدا. عوت سيارة شرطة من بعيد. نظر في أفقه. ثم تطلع إليها. كانت واقفة في جمود تنظر إليه في خوف.

"أهلا!" ابتسم بارتباك

"حلوة جدا!" همس فايد في أذنه.

شده من طرف الحبل: "شششش اذهب" همس له بغضب

"ستخنقني يا دكتور!"

حدقت فيه برعب.

"أهلا، آسف، لا عليك. أنا. يعني. رأيتك تتأملين هذه الدفاتر بحنان، قلت أنك. يعني. تحتاجين..ايه!"

هزت رأسها يمينا ويسارا لا تفهم. فرفع العصا بشدة، وهوى على الواجهة الزجاجية. صرخت.

انحنى لها، ورفع لها ذراعه اليمنى ناحية الدفاتر: "تفضلي اختاري ما تشائين!"

نظرت له مشدوهة.

fb/mashro3pdf

"أنا لا أفهم لماذا فعلت هذا، كما لا أعرف لماذا نزلت في هذه الساعة؟ كما لا أعرف لماذا أقابل امرأة جميلة في مثل هذه الساعة ومثل هذه الجو؟"

"من أنت؟"

"محمد قاسم!"

"أنا ليلى!"

عبس. رفع رأسه إليها. دقق فيها. نظر للملصق:"هل أنت.. أنت هي؟"

أومأت. وقهرته بغمازاتها.

"حلوة حلوة حلوة حلوة!" همس فايد

"إليك عني" همس محمد قاسم.

ضحكت، وضربت كفا بكف. رفع ذراعيه يستفهم. قالت، "لا أبدا، شعرك، وهذه العصا، وأشباحك، كل هذا يجعلك مضحكا!"

ضحك ببطء، ضحك متقطع.:"أشباح؟" واهتز في ضحك مكتوم.

ابتسمت. ثم نظرت للدفاتر. سحبت الدفتر الأحمر. "شكرا!" قالت بفرح، ضامة كتفيها المدورين للداخل. لأعلى في امتنان. "لكن ألا تعتبر هذه سرقة؟" عبست

"وهل هو رجل عاقل أن يدع الواجهة الزجاجية هكذا دون باب صاج؟"

نظرت للواجهة المحطمة، ثم لمحمد قاسم. نخرت. "نعم، نعم."

"قلتِ من قليل شيئا عن أشباح؟" هرش رأسه.

"أنا؟"

أومأ

fb/mashro3pdf

"لم ألاحظ هذا، قلتَ لي ماذا تعمل؟"

"لم أقل بعد؟"

ابتسمت: "إذن؟"

"إذن ماذا؟" سأل بتوتر

"ماذا تعمل؟"

"طبيب. طبيب نفسي!"

"آه. رائع أحب هذا! ماذا كان اسمك معذرة، لقد صدمتني بتحطيم الزجاج" وضحكت

ضحك بحرج "محمد قاسم.."

"رائع، أحب حرف القاف!"

"ماذا؟" عبس

"أحب حرف القاف!"

ركز قليلا: "آه، نعم، أنا كذلك!" وأومأ ببلاهة " طيب، والأشيا..."

قاطعته: "لكني لم أسمع عنك من قبل؟ أين تعمل؟ هل عندك عيادة؟"

"هل تعانين من مشكلة نفسية لا سمح الله؟"

"لا مطلقا، لكني أحب مهنتك حقيقة!" ابتسمت

"أنا أيضا"

"رائع أن تحب مهنتك التي تعمل بها!"

"لا.." أغمض عينه اليسرى في حرج."لم أقصد، أقصد أني أحب مهنتك أيضا"

fb/mashro3pdf

رفعت الدفتر بكلتي يديها: "آه. تحب الشعر إذا!"

"أنتِ شاعرة؟"

"نعم" ابتسمت وهي تحني رأسها لليسار

"وتغنين؟"

"وأرقص أيضًا!" رفعتِ يدها لأعلى

"هخ، راقصة" نخر أحد أعمدة الإنارة ساخرا

نظر محمد بطرف عينه لأعلى ناحيته في قلق. (سمع صليل معدني في رأسه)

كتمت ضحكها. "على ما تنظر؟"

"إحم، أبدا، أظن أن مصباح هذا العمود تالف؟"

هزت رأسها نفيا

"ماذا؟"

"لا ليس تالفا!" قالت بثقة دون أن ترفع رأسها للعمود

"إذن، لا عليك، أظن أني..احم.. متوهم فقط"

"لا أبدا، لقد سخر مني فقط، قال إني راقصة!"

حدق فيها. سكنت همهمات العمدان. كأن الشارع فرغ. حتى من الهواء. طنين صمت صفر في أذن محمد قاسم.

قال بعد لحظات: "أسمعتيه؟"

"أنت سمعته؟"

أومأ.

"لا تقلق، لم أقصد بالرقص أني راقصة شعبية، لا، قصدت أني

fb/mashro3pdf

تعلمت الرقص أيضًا كنوع من الفنون، لكني لا أرقص أمام الناس، ولا حتى بالية، أظن أن الرقص أمر شخصي!"

"شخصي!" تمتم.."لكنك سمعت ال...؟"

أومأت..

اقترب فايد منه، وداعب شعره بطرف الحبل: "قلت لك إنها حلوة!"

فتح فمه ليقول شيئا، لم يستطع، ورفع يده في غير فهم.

ضحكت.

fb/mashro3pdf

كسر صمت الليل مكابح سيارة سوداء، وقفت أمام العمود ذي الورقة وأصحابه، تعالى بعض السباب البذيء، وضحك ماجن. ثم صفعة، وتأوه أنثوي. فُتح باب السيارة، وخرجت منه امرأة في فستان قصير جدا، ساقاها ممتلئتان، وتكوير إليتيها يظهر من أسفل الفستان الضيق المنحسر. امتدت يد خشنة وصفعتها على مؤخرتها، فصرخت المرأة، وجرت السيارة تضحك ويضحك من فيها. ترنحت المرأة، أمسكت رأسها في ألم. بالكاد جذبت فستانها الفاضح لأسفل تخفي تكويرها. عدلت من كتف الفستان تحت سترتها الجلدية، وهندمت من ثدييها الفجّين. لمت شعرها المصبوغ بلون ذهبي رخيص. لكنها لم تتمه. اقتربت من أحد العمدان. استندت عليه. انحنت. وانكشف مرة أخرى ما أخفته بالكاد. تقيأت.

راقبتها مصابيح العمدان ببرود. ظلت منحنية لدقائق كثيرة. تتقيأ كل ما شربته وابتلعته. ارتجف ساقاها. وزاد صداعها. ارتمت على مقعدتها ككومة لحم. فظهر كامل ردفيها. هدأ أعلى معدتها، وحنجرتها تستعر حموضة، بينما زاد الألم أسفل بطنها. بردت أطرافها. وطغت رائحة قيء ممزوجة بمني. انزلق على جبهتها عرق بارد. عوت سيارة شرطة من بعيد. أمعاؤها تتقطع. صرخت صرخة مكتومة. لم تتحمل. دارت خلف العمود بسرعة. ارتكزت على قدميها. لم تحتاج رفع الفستان، أنزلت قطعة الملابس التحتية الوردية الرفيعة.

ضراط قصير. ثم كان الصوت الوحيد في الميدان هو التبرز وخرير تبول.

انتهت، أخرجت مناديل من حقيبتها، ونظفت من جسدها ما استطاعت أن تنظفه. سارت قليلًا. ثم استندت على عمود آخر. لم تتمالك نفسها. جلست، القرفصاء. والهواء البارد يصفع عانتها.

fb/mashro3pdf

أغلقت عينيها، وخدر في رأسها يشدها للنوم. حملت لها الزوابع الصغيرة، رائحة فضلات ليلتها. امتعضت. تحاملت، وكادت تقوم. لكنها رأت طفلا شاحب، وجهه متحلل. يراقب فضلاتها بفضول. وقفت. نادته بحدة. اقترب منها، يحدق في ثدييها.

"خذ!" أعطته عملة ورقية كبيرة.

أخذها، ثم مد يده مرة أخرى لها بالعملة الورقية الكبيرة. سألته بأنفة "ماذا؟"

"انحني أمامي!" ابتسم الطفل، فظهر فكه الأعلى من تحت شفته المتحللة السوداء.

فتحت فمها على آخره.

"لا ليس فمك، أريد الآخر! قلت لك انحني!" ويده ممدودة بالعملة الورقية الكبيرة.

عدلت من خصلة شعر سقطت على وجهها. ثم دارت، وجلست على أربع. أنزل الطفل قطعة ملابسها التحتية الوردية الرفيعة. داعبها بيده المتحللة. أغلقت عينيها في نشوى.

ضحك العمود ذو الورقة: "هؤلاء البشر إذًا! هؤلاء إذًا الذين سيحضرون الحفل!"

ارتعش ضوء العمود المجاور

"مالك لا ترد! ألا ترى ماذا تفعل المومس!"

"ايه...!"

"يا زميل نحن أنظف وأرقى منهم، مع أننا أشياؤهم!"

"الطفل!" همس العمود المجاور

"طفل؟ آه!"

fb/mashro3pdf

انطفأ نور مصباح العمود المجاور. ضحك العمدان بهدوء.

سارت الزوابع الصغيرة الباردة وسط الميدان، تراقب بسكون من في الأرض. همهمت في غضب لما التصق فيها من رائحة فضلات المرأة. كانت رائحة بلون عكر. عفنة ونفاذة. دارت الزوابع الصغيرة على غير هدى، سرت من بين ضلفتي شباك مكتب الجنرال بوزارة رقم 2.

"يا بأف!"

دخل الحارس: "أفندم!"

"كل يوم ينقطع الإرسال! أكل يوم يسقط هذا البرج!"

"نعم سيدي!"

"نعم؟ وتقولها هكذا بلا أي شعور بالذنب؟ لكنه ليس ذنبك، إجرِ؛ استدع العقيد عشماوي حالا!"

جرى الجندي قلقا. العقيد في السنوات الأخيرة ازداد عصبية. ليس هناك أحد من الجنود لديه القدرة على الوقوف أمامه. وصل لمكتبه، أخبر الحارس الآخر بأمر الجنرال. أخبر الحارس الآخر ضابطه بالأمر. فطرق الضابط بهدوء الباب. صاح العقيد من الداخل. كان العقيد يشتعل غضبا في الهاتف: "كيف يحدث هذا؟ أرى أنكم جميعا فقدتم السيطرة! إذا لم نعد لدينا القدرة على تأمين الكلاب، فمن سنؤمن؟ الكلاب التي تخدمنا كل هذه السنوات الطويلة تحدث لها ذلك، وهنا؟ هنا في العاصمة يا محروس، وأبراج اللاسلكي، والهاتف، والراديو، كل هذا ولا أحد يعطي تفسيرات، صابر؟ صابر هذا يفعل كل شيء؟ ألا يموت؟ ألديه قدرة على الفتك بكل هذا وحده؟ عليّ الطلاق أنتم حفنة من النسوان، اذهب!" وأغلق الخط بعنف "ماذا؟" سأل الضابط بعنف.

"الجنرال يا فندم" قال الضابط بأدب

"أم الجن.."تمتم بغضب. قام بقامة طويلة انحنت مع الزمن.

fb/mashro3pdf

تهدل كرشه أمامه. ارتدى قبعته وذهب. "الأمور تفلت، هؤلاء الصبية لا يتوقفون عن الفساد، أنا لا أفهم من أي مني هؤلاء الشياطين، صابر الناجي ذاته، رغم كل فجره، لم يفعل ما يفعلون؟ الله يرحمك يا زيات! أين أنت الآن؟ هو الجنرال البليد، هو سبب كل ما نحن فيه، كسله وفقر رأسه هما ما جرنا إلى هذا الهذيان، لا يهتم قط غير بقضيبه الواهن، ووجهه المكرمش، أنا لا أفهم ما كل هذا الأبد الذي يعيش فيه" ضرب فخذه بيده، تنهد "سبحان الله، أنا أيضًا أعيش كل هذا العمر أيضًا معه، ولم أموت مثله، لا أفهم، لماذا لا ننفصل في الخدمة، ولا أفهم لماذا لا يكون مثلي في القوة والشكيمة؟"

وصل عند الباب، سمع صوت الراديو: **"ششششش أعزاؤنا المستمعون، نقدم لكم النبأ التالي: تمكنت قوات الحرس، من القبض على العديد من الشباب المخربين الذين دمروا برج الإرسال الإذاعي منذ أيام، وقد صرح مصدر مسئول أن كل هؤلاء الصبية سيتم التعامل معهم بكل حزم وشدة في إطار القانون!"**

زمجر العقيد بفم مغلق. قال في نفسه: "هذا صوت نجوى، نعم، أنا قلت لها ألا تقول نشرة الأخبار بهذا الصوت الناعم مرارا، سأؤلمها المرة القادمة" هرش عانته **"ومن فقرة الأخبار الغريبة، عثرت شرطة الحيوانات الضالة عن حيوان عملاق، يشبه الكلب إلى حد ما، إلا أنه أطول وأغزر فروا، وناشد المتحدث الرسمي المواطنين، بالحذر، فلا يُعرف بعد ما مدى خطورة هذه الكائنات"**

"صادوا ذئبا؟" تمتم. لاحظ شيئا جواره بطرف عينه. حرك رأسه ببرود. "لماذا تقف هكذا؟" سأل الحارس بقرف.

غمغم الحارس. فأشار إليه بطرف إصبعه "اصمت!" **"يعقد مجلس الوزارات اليوم الجلسة ال.."** فتح العقيد الباب ودخل.

"عشماوي! كيف حالك، ما هذا الوحش؟"

fb/mashro3pdf

"أي وحش؟"

"الذي اصطاده رجالك!"

"ذئب!"

"ماذا؟"

"ذئب!"

ازدرد الجنرال لعابه " ومن أين أتى هذا الشيطان!"

"الجبال في الغالب!"

"هل افترس أحد ما!"

"بعضهم هاجم الكلاب!"

"بعضهم؟ أتمزح يا عشماوي؟ بعضهم؟"

"لا تقلق، شرطة مكافحة الضواري تدور في العاصمة!"

"لم ينقصنا سوى هذه الوحوش؟ وكيف حال الشبان؟ كم ولدا اعتقلتم؟"

"ثلاثة وستون!"

"رائع، هذا هو العمل، رائع!"

تنهد العقيد غاضبا، لكن قبل أن يتكلم هبت الزوابع الصغيرة الباردة مرة أخرى داخل الحجرة، سعل، سأل بقرف:" ما هذه الرائحة المقرفة!" سعل.

شمشم الجنرال: "أنا لا أشم شيئا؟"

"كيف يا فندم، كح كح كح، إنها تشبه تشبه رائحة خراء نعم كح كح كح!"

"عشماوي؟ ماذا تقول؟ كيف تأتي مثل هذه الروائح إلى هنا؟"

fb/mashro3pdf

"كح كح لا أعرف! آه كح كح" استند على طرف المكتب وأصابه غثيان.

"يا حارس!"

دخل الحارس: "أفندم"

"ماء للعقيد بسرعة، وانظر ما هذه الرائحة؟"

"أي رائحة؟"

نظر له العقيد بغضب من خلف دموع السعال، بينما صاح الجنرال: "ماء للعقيد أولا يا ولدا"

"حاضر، أمرك!"

تهدلت وجنتا الجنرال وهو ينظر للعقيد بقلق، فكر: " كبرت يا عشماوي، أصبحت لا تقوى على رائحة الخراء، لكن احمد الله أنك تشم غيرك الآن يرى بالكاد" شعر بخجل في وجنتيه قليلا، فتشاغل بالتقليب في الراديو.

دخل الحارس. شرب العقيد ببطء. صرف الجندي بيده اليسرى. وضع الكوب على المكتب ممسكا بها بيده اليمنى. حدق في الماء.

"ألا نزال هناك رائحة؟"

"نعم، خراء. لا يجب أن تتساهل سيادة الجنرال مع موضوع الكلاب هذا؟"

"أي كلاب؟"

قال بنفاد صبر: "التي مزقتها الذئاب، الكلاب كانت تخدم معنا طوال عقود طويلة، أرجو ألا نتخلى عنهم"

"لا، مطلقا، وأنا أعطيك الأمر حالا بقتل أي ذئب، أقول لك، نقيم في كل مدرسة مسابقة اصطياد ذئاب، والمدرسة التي تصطاد أكثر، تفوز!"

"حل رائع، فلا ينشغل الرجال عن إصتياد الصبية!"

fb/mashro3pdf

"بالضبط!" أشرق وجه الجنرال. "حالا أتصل بوزير التعليم!"

رفع السماعة، وما إن بدأ بالحديث مع الوزير. إلا وقد انقطع إرسال الراديو. ضرب العقيد الراديو براحته. بينما احمر الجنرال وأخذ يلوح صامتا مغتاظا يوجه بالأوامر.

أومأ العقيد بعصبية. وخرج ينفث غضبا. وإن علقت الرائحة لفترة في صدره. خرجت الزوابع الباردة الصغيرة مرة أخرى للشارع، لفت مفعمة بمشاعر الساهرين الغُضَب وأنفاس النائمين. سرت بين العمدان، وسرت في قفا امرأة ذات ثوب قصير تتحدث في الهاتف.

"طب والله سألته، من أين لك بكل هذا، والله كان كأنه رجل (عنتيل).. آه.. في الشارع (ضحكت برقاعة) عوضني عن الليلة المقرفة مع حفنة المراهقين الذين سبقوه..آه.. قال لي، ألم تلاحظي وجهي، ووجهه يا عيني كان شيء صعب. متآكل، متحلل، بلون بني، وأسنانه وعظام وجه.. يييي.. مقزز مخيف. آه نعم. أومأت له، فقال هذا الوجه عرف أكثر من أي أحد حتى أكله النمل! لم أفهم ما معنى النمل، لكن واضح أنه مخبول، ولد كهذا بالتأكيد هناك من أفسده، آه.. حرام ماذا، مشفقة عليه؟ حمقاء، سأصطحبه لك المرة القادمة كي تجربين، آه نعم، وعدني بلقاء آخر.

زامت الزوابع الصغيرة الباردة، وظلت تصعد لأعلى لأعلى لأعلى، حتى احتكت بالسحب، وتنفست، فأمطرت!

fb/mashro3pdf

قال قيس "نبت التوت في قلبي لما رأيتك تأكله"

"يا سيدي يا سيدي! القطة أشعلت رأسك جنونا يا صاحبي!" قال طاهر الصديق

"آه يا صاحبي آه"

"و ما حكاية التوت؟"

"كان هناك احتفال صغير في الوكر، التقطت "كاب كيك" بالتوت، كانت الوحيدة، جرت نحوي كطفلة، وقالت بدلال تشكو:أريدها أريدها"

"أريدها أريدها؟" قال طاهر فاتحا فمه الكبير، ثم ضحك ضحكة ذكورية

"نعم، أنت لا تتخيل كم الدلال، لكني رفضت، إلا التوت!"

"يا حمش!"

"فثنت شفتها السفلى، وعبست، آه، آآه، لكني لا، لم أعطها!"

"يا عيني!"

"لكنها قادرة، لم تتنازل، مدت سبابتها اليمنى المدورة، ذات الخاتم الرفيع، وجرفت من كريمة ال"كاب كيك" "

"أوع، مقرفة!"

"مقرف؟ يا غبي، يا غبي يا فاشل، كاتب أنت؟ أنت لم تذوق الشهد قط، أليس كذلك؟ فما بالك بالتوت والشهد سويا، آه، تعرف، والله عندما غرزت سبابتها الكريمة في كريمة التوت، خفق قلبي في ولع!"

"الله أكبر!" صاح طاهر، وضحك ضحكته

"أي والله! تعرف شعرت أن شجرة توت نبتت، وكبرت، عيناها

fb/mashro3pdf

وهي تمص سبابتها، وقعت على قلبي تغذي التوت النابت!"

"يا عيني عليك يا صاحبي! ذهب عقلك!"

"آه!"وشرد مبتسما

"يا حاج! يا سيد! يا عم عمرو، استيقظ، أين ذهبت!"

لم يرد.

"يا عمرو!"

لم يرد

"أنت يا زفت!"

"ماذا؟"

"أناديك لا ترد!" صاح يخالج غضبه ضحكه

"لم أسمعك، ناديتني؟"

"ثلاثا، باسمك!"

"كاذب لم أسمعك!"

"كاذب؟" حدق فيه "يا عم أناديك عمرو عمرو عمرو ولا ترد!"

"عمرو؟" سأل قيس باستنكار

"نعم عمرو، هل غير السيد اسمه؟"

"أنا اسمي قيس، لم يعد لي اسما غيره؟"

فتح طاهر الصديق فمه لا يفهم

"لا تفتح فمك، تبدو كالقردة العليا، نعم، هي أسمتني قيس، انس أي اسم تعرفه لي إذن"

لم يغلق طاهر فمه، وظل يحدق في عدم تصديق.

fb/mashro3pdf

"قلت لك لتغلق فمك، كأنك تنسى أن لك اسما حقيقيا، قلت لي من سمتك طاهر الصديق؟ اسمها ماذا؟ صفية تقريبا؟" سأل بمكر وضحك

"أترى المجنون يضحك مع نفسه مرة أخرى؟" قال قابس أشار بعينه لقيس

ابتسم ڤيثار: "دائما الكتاب لهم عالمهم الخاص هكذا، دعه يستمتع، لا يزال شابا صغير. وأحلامه وقودٌ لحياته"

"الأحلام تقتل يا صديق!" قال قابس ونفث من سيجارته

"لا، كيف تقول ذلك، أنت معلم رقص، وتصمم رقصات، كيف تقول هذا، عجيب! أشعر أحيانا أنك يائس يا قابس، كلامك، سلوكك، حتى جسدك يائس، كيف لجسد راقص أن يكون بهذه السمنة"

تطلع إليه قابس عن جنب، ثم نظر في أوراق اللعب بين يده، نفث نفسا: "تقريبا يا صديقي، بالفعل، أنا يائس، تعرف هذا القزم (أشار لقيس برأسه، أومأ ڤيثار مبتسما) كثيرا ما أحترمه، رغم أني أشاكسه، نعم، رغم أنه متفوق في الكيمياء التي درسها إلا أنه يصر على الكتابة، ولا يسمي نفسه إلا كاتبا، نجح فيما أحب، تمرد على الكيمياء، أما أنا، هخ، ظللت أدرس الطب، والتشريح حتى أصبحت من أكبر الأطباء في هذا التخصص، لكن من داخلي، أتعذب كلما أرى هؤلاء الشباب (أشار برأسه بضعف لفرقته) يرقصون كالعصافير"

أومأ ڤيثار بابتسامة عليم. تأمله قابس بهدوء: "تعرف يا ڤيثار أنا أحترمك أيضًا، شكلك قيّم، متعلم ونظيف، وفوداك الأشيبان يعطيانك مظهر الناس القيمة (يضحك ڤيثار) كيف أصبحت موسيقارا ملهما للعديد من الموسيقيين!"

ابتسم ڤيثار وطأطأ رأسه، تحسست أصابعه أوراق اللعب: "أنا ألعب الموسيقي منذ طفولتي البعيدة، ففي بيت أرستقراطي، ذو بيانو، وهذه المدارس الأجنبية، التي تعلمك الإحساس قبل العلم، وهكذا، ومع التدريب والسماع الكثير لكل الأنواع وكل العظماء، موهبة

fb/mashro3pdf

وتدريب، موهبة وتدريب (حرك يمناه يمينا ويسارا) موهبة وتدريب، حتى أصبح الحس والتذوق، ثم الإبداع والابتكار، لكن" توقف لحظات محركا سبابته كأنه محذر "ما نمّى كل هذا غير الحب، وهذا الولد (أشار لقيس برأسه) سيعرف ما أقول، لا يُنمي الإبداع أكثر من امرأة تعذبك!"

حرك قابس رأسه يمينا ويسارا في شجن: "الله الله، محترم، محترم وقيّم والله!"

ضحك فيثار: "ما من معزوفة ترق لمستوى العالمية، إلا وقد عذبتني امرأة قبلها، مثلا (غدا يصلبوني) كنت فقدت سارة، و(**العريس**) كانت فاتن، (**ألف عام**) كانت **عبير**. وهكذا!"

"وخمر التوت؟" سأل قابس بمكر، ناظرا لورق اللعب، يهز رجله اليمنى باستمتاع. تحركت عينا قيس من شروده لدى سماعه اسم المعزوفة. فوقعت في عين قابس، الذي ضحك بفجاجة. فرفع قيس عينه مرة أخرى لشروده، وبقت أذنه معهما

ابتسم فيثار: "خمر التوت يدفعني في تلحينها الغضب!"

استمر قابس في ضحكه الفج:"يا رجل يا نصاب؟ ألم تقل من قليل يا حساس أنه لا ينمي الإبداع أكثر من امرأة تعذبك؟"

اهتز فيثار من الضحك، ووجهه أحمر: "نعم نعم، لكن الآن السن يحكم يا صديقي العجوز، شخنا، ولم يعد هناك وقت للحب!"

"كاذب!" همس قابس بمكر، نظر لقيس الشارد. ثم سأل فيثار بصوت منخفض: "والسيدة؟"

عبس فيثار في خجل: "من؟"

"السيدة" حرك يده بهيام "السيدة ليلي؟"

"يا رجل يا أحمق! أحب فتاة في عمر بناتي!"

"هو أحلى الأعمار!"

fb/mashro3pdf

"ألا تستحي؟ أنت تعرف أنها فتاة عاقلة؟"

"أي أن كل الفتيات اللاتي أحببتهم كانوا مجنونات أو حمقاوات؟"

"لا، لكن قلت لكن الزمن يختلف؟" زادت حمرة وجهه، انتقل بنظره بين صاحبيه. لا يزال قيس شاردا.

"قيثار يا عزيزي أنا في مثل سنك، وأعرف مشاعرك وتصرفاتك أكثر من أي أحد في هذا التنظيم!"

قابس، كف عن هذا!" قال بحسم "السيدة ليلى محبوبة من الكل، لأنها القائدة، وصاحبة الفضل في جمعنا جميعا، وإن لنا رسالة لنحققها!"

"طيب طيب طيب! لا تتحمس هكذا!" ثم نظر في ورقه، كاتما ضحكه

نظر قيثار في ورقه وشرد **كان يوم الاثنين الـ30 من أبريل، كانت المتدربة الأخيرة من فرقتها، جلست معه ساعة بعد التدريب، أصرت على أن تتعلم كيف تستدعي وتفهم اللحن، اختار لها لحن ألف عام:**

fb/mashro3pdf

أغمضت عينيها، وكما علمها بدأت تصف اللحن، (رحلة في شمس لطيفة. تسير بين نقرات البيانو. وعذاب التشيلو.آه. اسمعي. أمواج تعلو وتنخفض. ومركب تسير بينها في سعادة. أمل. أمل. يسلم لإصرار. ألف عام. لا بُد من إصرار وعزم. أمل. لا تفكير قط في موت. شمس. ابتسمت وعيناها مغلقتان تعوم مع العزف.) قالت: هذا العازف كان مكتئبا، عندما كتب اللحن، لكن عندما لامست يده البيانو، اختلف عما كتب، وخرج كشعور رحلة طويلة، جمال الرحلة، وألم المسير. قال: رائع، أنت ذكية! ابتسمت، ثم قالت له بدلال طفلة:شكرا شكرا، أنت رائع أ. شريف (ابتسم، "كانت تقول لي أ. شريف") هل تعلم أن ما تعلمته اليوم أفضل هدية لعيد ميلادي! هل اليوم ؟ سأل رافعا حاجبيه، قالت بغمازة دافئة: غدا، كل عام وأنتِ بخير ابتسم وعاد بظهره. تنهد ونظر للورق. صاح برفق:"قيس، أفق يا ولدي دورك!"

هز قيس رأسه في خدر، نظر للورق، ثم أنزل في كسل ثلاث ورقات: أربعة قلب أسود، أربعة قلب أحمر، أربعة ورد.

نظر كلا من قابس وقيثار في ورقه.

fb/mashro3pdf

-12-

"لماذا تعوي سيارات الشرطة كثيرا هذه الأيام؟" سألت ليلى بعبوس

جال محمد قاسم ينظر بترقب "لاحظت هذا أيضًا! حتى أني سألت ف.." توقف عن الكلام وهو يشير بإبهامه للخلف. 316

"سألت من؟"

"أيه..إحم، لا أحدهم!"

ابتسمت: "أنت مرتبك قليلا؟"

"لا مطلقا، بالعكس، المشي في هذا الوقت، ومع شخص لطيف مثلك بالذات (ضمت رأسها بميل لكتفها الأيمن امتنانا، ابتسم) يقلل من حدة التوتر الذي يكتسحني هذه الأيام!" وضع يده علي عينيه.

"مالك؟" سألت بقلق

هز رأسه "لا شيء. إرهاق من العمل، تقريبا د/سعيد عنده حق، لا بُد من إجازة!"

"من دكتور سعيد؟"

"مديري!"

"ولماذا يريدك أن تأخذ إجازة؟"

"يظن أني أخرف.. هه، يقول أني جننت تهيوآت وخلافه" ثم وقف واجما، ضحكت (ضحكة من القلب، تدفع الضحكة الأخرى بثقل، وفمها الجميل فُتح عن أخره، حتى بدا لحم صدغيها من الداخل!)، قالت: "له حق، أنت تسمع عمدان الإضاءة، وتهشم واجهات المحال فجرا"

"أنت أيضًا سمعت العمودا" ابتسم

"أنا يا حبيبي أسمع وأرى مالا تتوقعه"

fb/mashro3pdf

"لا أظن مثلي! قبل أن أنزل، كنت أتشاجر مع ساعة الحائط ذات البندول، تقول إنها مستقلة، وليس لي عليها سلطان"

"لا، الساعات موضوع آخر، الساعات تفعل ما تشاء؟"

"عجيب! لقد قالت شيئا مثل هذا!"

"ماذا قالت؟"

"شيئا مثل أن عمري يجري بين تروسها، تخاريف!"

"مطلقا" قالت في جد "الساعات كائنات عظيمة!"

"كائنات؟"

"نعم، انظر، هل لاحظت مرة من المرات أن هذا الكائن البديع يسير بهدوء، ولا يزعجنا قط، فقط يتكتك بهدوووء كي ينبهنا برفق، لكننا في الغالب لا نلاحظ، فقط عندما نريد أن نستيقظ، نجعلهم يصرخون، وقد نحطمهم ونفقدهم حيواتهم، لأجل فقط أنهم يوقظونا كي نعيش، نعم فالنوم موت، وهم يوقظونا من الموت، ويوقظونا بأمر منا، نحن من نضبطهم، هم لا يحبون أن يزعجوا أحدا قط، فقط تكتكة خافتة تك تك تك تك."

"لكن عندي ساعة مزعجة جدا، لا تتوقف عن الوعظ والثرثرة!"

"ساعة أبيك؟"

ارتبك "نعم ساعة أبي! لكن كيف عرفت، كيف تعرفين كل هذا؟ ما هو عمرك؟ من أنت؟"

ضحكت ولم ترد، تأملت السماء بهدوء، وقد خفت زرقتها. والسحب تستريح بعد المطر.

"كيف تعرفين كل هذا وأنت في هذه السن الصغيرة؟ من أنت؟" قال بجد

fb/mashro3pdf

"سأقول لك شيئا قبل أي شيء، أنت شخص أثق فيه (أومأ) أنت ترى ما لا يراه الناس، وتسمع مالا يسمعون، هذا مؤشر مهم جدا، أرجوك أن تستمع إليّ بوضوح، لا أعرف لماذا أشعر أنك ستكون مفيدا لنا!"

"لكم!؟"

"لا تقاطعني. انظر. إن كنت تعلمت شيئا في هذه الدنيا، فهو بفضل خالي الوحيد، أشرف!"

"وماذا يعمل خالك. أ.أشرف!؟" سأل بأدب. امتلأ نشوى لما شعر أنه دخل المنطقة الدافئة إذ بدأت تتحدث عن أهلها. تحرك شعره مع الهواء.

ابتسمت "خالي؟ خالي في الحقيقة لا يعمل! (أومأ بأدب، وظل يومئ) خالي ليس بشريا مائة بالمائة!" توقف للحظات. نظر لها بارتياب "خالك وحش؟ مذؤوب مثلا؟"

عادت تضحك من قلبها، ضحك "لا ليس كذلك" وجمت" إحم، خالي ظل، ظل إنسان، ظل في مرآة!"

"لا أفهم!" عبس

"حادث بسيط في صباه، جعله محبوس في المرآة!"

"محبوس؟ هذا ضرب من الخيال!"

تظاهرت بالغضب "العمدان تتكلم، وأنت تسمعها، الساعة تتكلم وتتشاجر معها، ثم تقول أن ظل خالي ضرب من الخيال؟"

"لكني لا زلت مقتنع أني أتهيأ، أنا تقريبا مصاب بفوبيا النوم!"

ظهر من خلفه فايد، همس "هيبنوفوبيا.. فـ فـ فـ "

"ششششش" همس بغضب

ابتسمت ليلى بسخرية: "هذا الشبح أيضًا تهيوآت؟"

fb/mashro3pdf

"إذن فأنت ترينه، كنت أعرف من البداية!"

"نعم، وأرجوك ألا تخيب ظني بترددك، لماذا لا تؤمن بأن كل شيء حي من حولك" بسطت ذراعيها أفقيا. صاح غراب على إحدى الأشجار.

"لأنها أشياء جامدة، هذا منطقي؟"

"من وضع هذا المنطق؟" سألت بغضب

"الله!" قال بهدوء

"كل عرف صلاته وتسبيحه، ألم يقل الله هذا الكلام، كل شيء حي يسبح ويصلي، والنمل تكلم وسمعه سليمان، الهدهد تكلم! فلماذا تدّعي أن اعتقادك هو قانون الله؟"

"هذه خصوصيات! استثناءات!"

"كلا!" صاحت " نحن فقط مغرورون بالدرجة التي تعمينا عن معاشرة هذه الأشياء، ألا تذكر قط عندما كنت صغيرًا أنك كنت تحتضن دميةً أو دبًا قطنيًا، وتضعه تحت البطانية معك، حتى لا يبرد في الشتاء!"

ابتسم "نعم، لكن هذه أوهام الطفولة!"

"بل الفطرة! أنت تجادل يا دكتور قاسم، أنت تسمع الأشياء تتكلم وتجبر نفسك على الخضوع لوهم المرض. أنت من تخترع الوهم لنفسك وسط هذه الحقائق الصارخة!"

"ألم أقل لك إنها حلوة" همس فايد، نظر له محمد قاسم، ثم لهاء بدت متحمسة، قال: "كأنها قضية وتحاربين لأجلها؟"

"بالضبط، ألم اقل لك إنك ذكي وستنفعنا؟"

"من أنتم الذين سأنفعكم؟"

"نحن أناس مثلك، كلنا تشابهنا فيما يراه البشر خبلا وجنونا، كلنا مثلك نرى ونسمع مالا يُرى ومالا يُسمع، كلنا نوسم بالجنون! وقد

fb/mashro3pdf

سئمنا العالم وقيوده الخرقاء!"

"لكن..."

"لكن هذه ألقها في القمامة، أنت فقط تخاف أن تكسر قانون البشر المزعوم، انظر، كل ما يضعه البشر من قواعد وقوانين، ما هي إلا ليستعبدوا بعضهم البعض، يغطون الحقائق عن بعضهم البعض، ويستأثرون بالمعرفة، فيصبح هناك الحمقى، وهناك الأذكياء، فيستعبد هؤلاء أولئك. دكتور محمد قاسم، ألا تظن أن من يكسر قاعدة المعرفة الطبيعية هذه يدعونه مجنونا، الأنبياء، الكُتّاب، الثوار، كل من رأى جور القيد المعرفي الزائف، واستئثار النخب الذكية بحق المعرفة، وحاول كسره، ينعتونه بالمجنون، الجنون، وهذا ما تظنه أنت عندما تعالج مرضاك، إن سميناهم مرضى، وهذا ما تظنه، عندما سمعت العمود يسخر مني، وشككت في عقلك، يا الله، يا لك من بائس مسكين!"

ضيق محمد قاسم عينيه، أعجبه أنفها المتحمس، وهو ينفرج فتزداد حلاوتها، همس"من أين لك كل هذا الكلام؟"

"قلت لك أنه ظل خالي في المرآة! وأنت لازلت تعاند وتقول هذيان!"

"وكيف دخل المرآة!"

"كان شخصا مترددا، لا يقوى أن يحسم مواقفه، لم يكن بالقوة التي تجعله قادرا على نفسه، فهزمته، نفسه هزمته بكل بساطة، خرجت من المرآة، ودخل هو!"

جاراها في الكلام، وعقله يبحث عن مُسمى في قاموس الأمراض النفسية عما يناسب كلامها
، قال:"وأين هي الآن نفسه!"

"لا يعرف!"

"وكيف ترينه، أقصد كيف ظهر لك!"

fb/mashro3pdf

ضمت سترتها، نزلت برأسها تواجه الهواء البارد. كانت في التاسعة، استيقظت مبكرا بلا سبب، ذهب جدها يشتري الجرائد، ذهبت لتشرب، عادت تجلس في الصالة، تنظر لساعة الحائط، الشمس على ساقيها، ترفع ساقيها وتنزلها تلاعب الشمس. شمت رائحة الفانيليا، طنط أميرة جارتنا ستأتي بطبق ملىء بالكعك، تحمست للفكرة، تقافزت في الشقة. لمحت مقبض باب الحجرة التي منعها جدها من دخولها. لماذا يمنعني جدو؟ لماذا هي مغلقة؟ دخلت الحجرة، مظلمة، الضوء ينفذ من خلف الشباك المغلق والستائر بالكاد. تشبه حجرتها التي ورثتها من أمها. لها رائحة مكبوتة. كتب في كل مكان. وقفت أمام المرآة. داعبت ضفيرتها البندقية. ارتعش النور خلف الشباك،(طير حط خلف الشباك) خافت. تذكرت جدها. سيضربني! كادت تخرج. لمحت شيئا في المرآة. اقتربت. صُعقت. عادت تركض. اختفت تحت أغطية السرير. ترتعش ترتعش ترتعش "من هذا الرجل الذي في المرآة؟" زامت الزوابع الباردة الصغيرة.

"الهواء يشتد، أتحبين أن أوصلك للمنزل؟"

"لو وددت الذهاب، أنا لم أمل بعد منك؟" ابتسمت

ابتسم: "رائع، أنا أيضًا، ها كيف عرفتِ أن خالك في المرآة؟"

ابتسمت: "فضول الطفولة، والبحث في منزل جدي، وجدت أشياء كثيرة، حتى وصلت لخالي!"

أومأ محمد قاسم: "ألاحظ أنك تعيشين مع جدك!"

أومأت

أومأ، أراد أن يسألها أين والديها، لكنها سبقت بالإجابة: "أنا يتيمة!"

تألم "آسف!" ثم فكر في حقيقة أليس هناك جمال يكتمل، لا بُد أن يكتسي بالحزن لأي سبب!

fb/mashro3pdf

"لا أبدا، لا عليك!"

"إذن من هؤلاء الذي سأفيدهم إن انضممت إليهم؟"

ابتسمت: "أخوية!"

"أخوية؟" استنكر، اقترب فايد منه: "احذر احذر احذر، كهرباء، صواعق، احذر"

"نعم، تنظيم!"

ولول فايد:"سنذهب وراء الشمس يا دكتور، روّح!"

"ليلى، أي تنظيم؟" سأل بقلق

"محمد قاسم، تنظيم ضد الحكومة!"

"ليلى، أنتِ لست جادة!"

"محمد قاسم، تخاف؟"

"كلا، لكن أنا أصدق كل شيء عن خالك، وكل العمدان المتكلمة والساعات اللعينة، وكل شيء، أما تنظيم، هع، هذا هذيان الهذيان!"

ردت بهدوء"لا تلعن الساعات، أما التنظيم فحقيقة، نحن كما قلت مثلك نرى ونسمع مالا يُرى أو يُسمع، وعلينا جميعا أن نحطُم كل قبح في هذا البلد!"

"أنت تهذين، ما شأن فنانة مثلك بكل هذا؟" صاح

"المقاومة لا تطلب مهنة معينة، غير أننا أكثر الناس أهلا لحمل أمانة المقاومة!"

أمسك رأسه، هزها بشدة، شعر أنه في كابوس طويل، خاض الحمى قبل ذلك كثير، لكنها لم تصل لهذه الدرجة معه: "ليلى؟ أنت حقيقية؟"

عبست "لا، تهيوآت، شبح! محمد قاسم، أنت لازلت تخضع لقيود

fb/mashro3pdf

العقل البشري التقليدي، محمد يا قاسم، هذا العالم زائف، أنت وأنا الحقيقة!"

"وما شأن الحكومة بذلك!"

"أنت لا تربط الأشياء ببعضها البعض، قلت لك منذ قليل أن النخبة الذكية، تقبض المعرفة لتسخير باقي البشر! والحكومة هي النخبة الذكية التي تصفعنا على قفانا كل يوم!"

"صح!" قال العمود المتمرد، والذي ظل منيرا رغم سطوع الشمس

"لقد درنا في الميدان لساعات، ولا زلنا نعود لهذا العمود!" قال محمد قاسم بغضب. هدأ قليلًا. جلس على رصيف، تأوه جسده. ضغط عينيه في كفيه. وقفت ليلى تراقبه.

"صدقني كل ما تحمله من تعب، ليس من الأشياء التي تتكلم، إنه منك أنت، أنت الذي تقاوم نفسك كي تظل من زمرة الحمقى القابعين تحت ستار الجهل"

"كيف تقاومون أولاد الكلب؟" قال في ألم

صاحت بفرح: "وتعرف الكلاب أيضا؟"

"الكلاب؟"

"لا عليك، سأحكي لك فيما بعد، نحن نقاوم الحكومة بهذا!" ثم أشارت للملصق خلفه

نظر لخلفه بتعب: "الحفل؟"

"نعم!" أومأت مرة واحدة

"كيف؟"

ابتسمت: "هذا ستعرفه عندما نلتقي بالأخوية!"

نظر إليها ببطء. تأملها. آه. الشامة الصغيرة على قصبة أنفها

fb/mashro3pdf

الصغير. الغمازة، آه. آه. همس:"من أنت؟"

"ليلى الناجي!" حركت كتفيها لأعلى بدلال

"نعم" نظر ليساره. ثم استدرك. "ليلى من؟"

نظرت خلفه بثبات. مدت كامل ذراعها الأيمن أمامها. أشارت بسبابتها 324
المدورة "ليلى - صابر- الناجي!"

حدق فيها لثلاث دقائق تك تك تك تك "7:00 ص" "من؟" همس وقشعريرة سرت في خديه

"نعم! ابنته، صابر الناجي!"

fb/mashro3pdf

صخب الرعد خلف السحب، ولم تمطر بعد. صفرت الريح فوق البيوت الكبريتية الصغيرة، التي تكومت بين دفتي الجبل. هدر محرك سيارة جيب مكشوفة، وأنت أركانها من الطريق الوعر. هاج التراب خلفها حتى توقفت أمام برجٍ حديدي عملاق. أعلاه مصباح أحمر ينطفئ ويضيء ينطفئ ويضيء.

ترجل ستة رجال، أسرع أربعة منهم نحو البرج. بينما راقبهم السائق، ونظر الآخر لأعلى يتابع النور الأحمر المتردد.

"سيُجَنّوا!" قال السائق بمرح

حشرج صوت الرجل الآخر: "كلا، نريدهم عاقلين، نريدهم خائفين، لكن بعقولهم، حتى يدركوا معنى الخوف جيدا!"

عبس السائق ضاحكا: "كيموس! أنت سادي، سامحني!"

"لا يا صديقي، مطلقا، لست كذلك، أنا رجل طبيعي فقد عينه اليسرى بيد مجرم، لم يجد من يعاقبه على فعلته، قال نيوتن: لكل فعل رد فعل، مساو له في القوة، ومضاد له في الاتجاه، أنا رد فعل الطبيعة يا صديقي، أنا رد الفعل للخوف الذي يمارسونه ضدنا!"

"دائما تقول كلاما كبيرا يا رجل!"

"الكلام لم يفيد، هذا ما يفيد!" رفع قبضته لأعلى. نظر لركض الرجال الأربعة، قال أحدهم:"تمام، ثبتنا الديناميت في قاعدة البرج كيفما أتفق!"

"رائع، فليباركنا السيد الناجي!" حشرج صوت كيموس " هيا أض.."

قاطعه صوت صياح طفلة صغيرة. نظروا، فإذا بطفل آخر يسحبها من شعرها، وهي تستجديه أن يعتقها، وهو يسحبها في الظلام.

fb/mashro3pdf

"يا ولد!" صاح كيموس، لم يرد الولد، "يا ولد!" لم يرد "هاته، والفتاة!" أشار لأحد رفاقه. جرى الرجل، صفع الولد، وجره، وسارت خلفهما الفتاة تبكي.

" ماذا تريد منها؟" قال، ثم أكمل لما رأى وجه الطفل المتآكل "يا مسخ!"

"ليس من شأنك يا عم!" صاح بصوت بغيض

"قل يا بن اللبؤة ماذا أردت منها!"

"أنا ابن لبؤة يا أعور؟" صاح الفتى "طب والله لأقتلك!" وأخرج سكينا عريضا من ملابسه وهجم على كيموس. وقبل أن ينقض الرجال عليه أطلق كيموس عليه النار!

"كريم! ماذا فعلت؟" صاح السائق

"لا تأبه هذا مسخ صغير؟"

"ولو إنه طفل!"

"طفل؟ أرأيت وجهه المتحلل، هذا قاطع طريق في جسد طفل، يا بنت ماذا أراد منك الكلب؟"

بكت الفتاة وطأطأت رأسها، "أرأيت" صاح كيموس "إنه قاطع طريق بمذاكير، هذا بذرة الفساد، وثمرة يا أصحاب من ثمار الخوف، والقهر، والجفاف، وهذه الفتاة المسكينة، هل يعرف أحدكم، أهي مخطوفة أم لقيطة؟ هذا عالم مقرف! أتعرفون كان لدي أخوين! الأكبر كان متفوقا، لكنه لم يجد عملا حتى قتلته الحكومة، أعدمته، نهشته الكلاب، ثم بعثت لنا بشهادة أخبرونا فيها أنه مات ميتة طبيعية، حكومية، هراء، أخي الآخر، انتحر! لماذا؟ لأنه لم يستطع أن يأكل من الكعكة، ككل البشر على هذه الأرض. فالكعكة في أيدي الكبار فقط! أما نحن" ثم أشار بمسدسه ناحية الطفل "مثل هذا النافق، ومثل أخي مروان، لا

fb/mashro3pdf

نجد سوى أنفسنا لنأكلها"

هز الرجال رؤوسهم بشفقة. قال السائق: "من أين تأتي بهذا الكلام؟"

"من رأسي!"

نظر فيه الرجل دون أن يفهم. نظر كيموس للبرج أشار برأسه لأحدهم. "اضرب!" فضغط الزر.

انفجار. ثم صرير معدني عميق. سقوط مدو، أحدث صدى فوق البيوت الكبريتية.

fb/mashro3pdf

فتح محمد قاسم باب الشقة بهلع، جرى نحو الساعة ذات البندول "جنون، جنون!" تمتم. أمسك الساعة بعنف. قلبها على وجهها، صاحت: اتركني يا مجن..." لكنها توقفت عن الكلام عندما أخرج من 328 ظهرها بطاريتين أسطوانيتين. وضعهما على المكتب. مسح جبهته بكم السترة. قلّب في الساعة. لم تنطق الساعة. انقبض، وإن شعر بفرح شديد. "هذيان، لقد قالت هذيان، ابنة الناجي، ابنة ال!" ترك الساعة، وانهار على كرسي بذراعين: "مستحيل أن تكون ابنته، لم يقل أحدٌ إنه تزوج حتى ينجب! مستحيل، لكن لماذا تصر على أنها ابنته؟" **قالت له: مصدوم ؟ أعرف أن أحدا لا يصدق أني ابنته، حتى جدي، عندما رآني أول مرة، لم يصدق أني ابنة ابنته! لكني ابنة صابر الناجي. فما بالك بطبيب نفسي مرتبك، وموهوم ! أيصدق؟** "لست موهوما قط، من في هذه البلاد يخطر على باله أن صابر له ابنة؟ من مجنونة تتزوجه؟ من مجنون يزوج ابنته له؟ صابر ؟ **نشرة أخبار السادسة ششششششش: وقع حادث في مدينة الزغباء ليلة أمس حيث وقع تفجير كبير في محيط الششششششششش وقد قال رئيس الحرس في المنطقة أنهم يتهمون المجرم الكبير صابر الششششش اجي** قام ببطء. فتح درج المكتب. أخرج علبة صغيرة. الأولانزابين. **قرصين بعد كل وجبة يوميا** "ثم أنام، وأنام، ثم هذيان، ثم إدمان، لا!" صرخ وألقى بالعلبة في الدرج. سمع طنين كهربي "ززززززز" نظر للمكتب. وجد رؤوس البطاريتين تتعارك. اقترب بوجل. الرأس الصغير البارز لكل بطارية يضرب الآخر بشحنات صغيرة زرقاء. انحنى حتى كادت أنفه تلمس المكتب.

توقفت البطاريتان عن التعارك. ابتسم واستقام في ارتياح: "أعرف أنه هذيان، كله هذيان" لكنه لم يكد ينتهي حتى قالت إحدى البطاريتين: "ماذا يقول هذا الأحمق؟"

قالت الأخرى: "لا أعرف، أنفه كبير!"

fb/mashro3pdf

"وعيناه؟ ألم تلاحظي أنها واسعة وبلهاء!"

"تلاحظي؟ أنا ذكر، قولي ألا تلاحظ، لكنه أحمق بالفعل!"

"بل أنا الذكر، وأنت الأنثى أنا أنام جوارك من سنة ولا يقابل رأسي سوى فراغ سالب!"

"هراء! أنا من أرى فراغك المغري، لا أفهم لماذا تسترجلين منذ أن خرجنا من الحجرة! هذا شيء ليس جيدا لا بُد من أحدانا أن يكون رجلا والآخر امرأة!"

"أنا الرجل!"

"بل.."

أمسك محمد قاسم بكلتي البطاريتين في حدة. قربهما من عينه "لماذا تنظر إلينا هكذا أتركنا؟"

"أنتما مخنثان في الحقيقة" وقلب واحدة في مواجهة الأخرى!

"هاا!" صاحت واحدة في فرح "الأبله حل الموقف!"

"نعم" صاحت الأخرى

أعادهما إلى حجرتهما في ظهر الساعة.

تن تن تن تن " محمد قاسم الأحمق! ماذا فعلت بي! أبعد كل هذا العمر؟ كدت تقتلني!" صاحت الساعة

" أنت لا تموتي، أنت تتلفين!"

"كف عن أن تعاملني ككرسي، أنا حية!" صاحت

"تبا، ما شأنك بالكراسي يا حمقاء!" صاح كرسي

"اخرس!" وبخته الساعة، صفع محمد قاسم وجهه الأيمن. "الرحمة!" صرخ هرع للسرير، دفن وجهه في الوسادة. لم تتوقف أشياؤه عن

fb/mashro3pdf

الشجار. أطفأ النور ثم عاد للوسادة. "محمد يا قاسم، ألست طبيبا، لدي مشكلة في الاتزان، أهذا لأنك لم تتزوج بعد؟" همست له الوسادة. سكن دون حركة. "دكتور!" همس فايد "علي رجاني يضايقني، قل له أن يكف!" سمع صوت أنف علي رجاني تسحب مخدر. عوت سيارة 330
شرطة من بعيد. تك تك تك تك. أغمض عينيه. يجبر نفسه على النوم. "الساعة الثامنة صباحا. الفطور يا محمد. العمل!"

"لن أذهب!" قال

"ماذا؟" سألت الساعة

"لن يذهب!" كرر السرير

"أخيرا إجازة!" قال شيئا ما لم يتبينه

"إجازة، كف عن الحماقة، قم يا محمد الشغل!" صاحت ساعة البندول

قام محمد قاسم بضيق. التقط ساعة يده من على المكتب: "قولي لي رأيك في إجازة اليوم!"

"شيء رائع؟"

أوشك أن ينوح "حتى أنت تتكلمين!"

"أنت سألتني، لا بُد أن أجيبك، أنا لا أتكلم فقط لأني أحبك ولا أريد أبدًا إزعاجك!"

"سمعت هذا الكلام من أحدهم!"

"نعم، الفتاة الجميلة، سمعتها معك!"

ابتسم "أحببت غمازتها!"

"غمازتها؟ جميلة نعم، لكن غمازتها فقط، عجيب أنت يا رجل، حسبتك أحببتها لعقلها، كلامها!"

fb/mashro3pdf

"كلامها هو ما أخافني منها حقيقة!"

"أم لأنها ابنة السيد الناجي؟"

"السيد؟ تحترمينه إذا؟" سألها

"رجل أنجب فتاة بهذا الجمال لا بُد أن يكون رجلا محترما ورباها جيدا!"

"لقد نشأت يتيمة!"

"إذن فهي ترثه في صفاته، مؤكد أنه رجلٌ محترم! سأسأل أحد آبائي عنه!"

"آباؤك؟ أنت ساعة، لا تتزاوجون!"

ضحكت ساعة اليد بخفوت:"وما شأنك أنت بخصوصيات الساعات! غريب يا محمد جدا!"

"أنت حية بالفعل؟" سألها بيأس

"مثلك تمامًا!"

"إذا لماذا أنا أنا وأنت أنت؟"

"اسأل آدم أبوكم هو لديه الجواب؟"

"آدم؟ آدم من؟ أنت تعرفين أيضًا سيدنا آدم؟" ثم وضعها على المكتب. سار يترنح للمطبخ. هدأت الأشياء قليلًا. وضع فتلة الشاي في الكوب، ثلاثة ملاعق سكر. أنتظر جوار غلاية الماء.

قالت له: على العموم، سأنتظرك غدا في الواحدة بعد منتصف الليل، سيفرح الشباب عندما يرونك، لست في حاجة لاسم حركي، أنت قاسم، جاهز بحرف القاف. الواحدة لا تنسى سأنتظرك، وستأتي غدا أنا أعرف. أعطني رقم هاتفك!

"وكالأحمق، أعطيتها! غدا يقبضون عليها ويسجنوني، ولما يكتشفون

fb/mashro3pdf

أنها ابنته، سيعلقونني من..."

صرخت الغلاية "ارحمني، وصب الماء، ارحمني". نظر لها بلامبالاة. صب الماء الحار. قلب الكوب. رشف. "المصيبة أنها تقول إن لديها تنظيم، لكن معقول أنها تفجر وتدمر؟ مستحيل، إنها كجنية من نور!"

"الجان ليسوا من نور!" قال الشاي

"وكيف تعرف يا خفيف!"

"أنت تحبني خفيف، فأنا خفيف هذا باختيارك للعلم! أما كيف عرفت، أنا شاي ويشربني العديد من المفكرين، والمثقفين، أنت لا تعرف حدود ثقافتي!"

"اصمت أرجوك، وقرر هل أنت شاي حقا أم نشارة خشب؟"

"ها!"

عاد للحجرة. واجهته ساعة البندول. "لماذا أنت دائما في وسط الحجرة؟" سأل بغضب

"أنا حرة! هل حقا لن تذهب للعمل؟"

"أنا حر!"

"لست حرا، قلت لك أني أحسب عمرك! أنت تلقيه على الأرض!"

"هل كنت تعاملين أبي هكذا؟ بما أنك ساعته يعني!" سألها ورشف من الشاي

"كلا بالطبع، هل تقارن نفسك بالدكتور قاسم رحمه الله، لقد كان رجلا عصاميا مجتهد، لم يضيع موضع عقرب في حياته!"

"موضع عقرب آه! نعم نعم، رحمه الله كان لا يتوقف عن العمل!" قال

"أنت تسخر من أبيك؟"

fb/mashro3pdf

"بالطبع منك أنت! "

"لماذا؟"

"أن تعاملي صاحبك الأصلي بكل هذا الخضوع، ثم تعاملينني بكل هذا التسلط!"

"لأنك في مرتبة أولادي!"

"أنت ساعة! أرجوك انسِ أي كينونة لك غير أنك ساعة!"

"اعرف أني ساعة، وأني على قدر مسؤولية وظيفتي، على عكسك، أيها الطبيب الفاشل!"

"أنا لست طبيبا فاشلا!"

"إذن لماذا تسهر لما بعد الفجر بساعات؟ إذًا لماذا لا تذهب للعمل!"

زام في غضب "أمرك عجيب! تريدين أن أستمع للدكتور سعيد ثم تنتقدين عدم ذهابي للعمل!"

"الدكتور سعيد طلب منك أن تأخذ إجازة لترتاح، وليس لتسهر حتى الفجر! مع من كنت تسهر!"

"ليلى - صابر- التاجي" تعمد أن يقول الاسم ببطء

"من؟"

"ليلى الفنانة التي ستُحيي الحفل المرتقب."

"لقد ذكرت اسم أحد المجرمين!"

"لا ليس مجرما، ساعة يدي تقول إنه رجلٌ صالح!"

"ساعة يدك سويسرية لعينة، تريد هدم هذه البلاد!" صاحت الساعة

ضحك:"هدم هذه البلاد؟ هل هذه البلد تحتاج ساعة يد كي

fb/mashro3pdf

تهدمها.!"

"ماذا تقصد، هل أقنعتك هذه الفتاة الساقطة!"

"ساقطة؟ كم أنك ساعة حقيرة!" دفعها فسقطت على الأرض

صرخت: "تقتلني لأجل بنت الوحش الساقطة التي تدور الليل في الشوارع مع الشبان!"

"اخرسي! لا أريد أن أسمعك مرة أخرى!"

التقط ساعة يده مرة أخرى وهو عائد للطبخ كي يضع الكوب في الحوض. سألها وهو عائد:" لا تنس أن تخبريني ماذا قال آباؤك عن صابر الناجي!"

"بالطبع، لكن هل ستترك العجوز هكذا ملقاة على الأرض!"

"نعم، أريدها أن تتلف!"

"حرام!"

"لا ليس حراما، لكل شيء نهاية! سأشتري واحدة جديدة!"

"هل ستبيعها؟"

"لا سأتركها حتى تتلف!"

"أوف! " قالت ساعة اليد في قلق.

fb/mashro3pdf

طرق رتيب. سأل شوقي بقلق: "من؟"

"أنا" قال صوت عجوز

"من يعني؟"

"افتح الباب!" فتح بصرير خافت، نظر شوقي من خلف شق الباب. ظهر رجل رث. يظهر من عينه الموت. سأله بخوف: "من؟"

"حطاب!"

"من تريد؟"

"أريدك أنت!"

"أنا، ماذا تريد مني!"

"خذ!" أعطاه لفة كان يحملها. نظر فيها شوقي. "من هذا الطفل؟" سأل بقلق

"حفيدتك!"

"حفيدتي! بنت مي؟ وكيف لي أن أصدقك؟"

"أنا أعرف أنها حفيدتك! هذه بنت ابن أخيك!"

نظر للفتاة. "صابر؟ لا أنت تكذب، وأين هي مي لو كانت هذه البنت ابنتها؟"

"ماتت مي!"

"ماتت؟" همس بانسحاق "كيف؟ قتلها الكلب؟"

"لا، ماتت وهي تلد.. ليلى!"

"ليلى؟"

fb/mashro3pdf

"نعم، كالعنقاء، بُعثت ابنتك من الرماد!"

"رماد؟ !!! من أنت؟"

"حطاب!"

"ن ن نعم، عرفت، أقصد من أنت؟ ماذا تعمل؟"

"حفار قبور!"

نظر له برعب: "إذن أنت دفنتها؟"

"قلت لك أن ابنتك كالعنقاء، لماذا لا تفهم ؟"

"جدو، لماذا لا تأكل؟" سألت ليلى عندما شعرت أن جدها شارد في وجهها.

"أبدا!" قال ونظر في الخبز. قطع منه، وبدأ يأكل من الجبن والعسل "الجو شديد البرودة اليوم، استيقظت من ألم ركبتي. تتعب دائما في البرد. أمك الله يرحمها، كانت دائما تدلك لي ركبتي عندما تؤلمني، الله يرحمك يا مي!"

قلبت رغيف الخبز. فرشته بالعسل. لم ترد عليه.

"طبعا أنا أرفض من أي أحد أن يدلك لي ركبتيّ بعد أن ماتت. آه. هذه خصوصية لها، حتى جدتك لم أجعلها تفعل ذلك قط"

"الحمد لله، هل ستأكل البيض، أم أنه يضرك؟"

"أكملي إفطارك! لا، أتركي كل شيء! ستدخلين حجرتك! طيب!"

أخذت كوب القهوة. أغلقت باب الغرفة خلفها. أمسكت القصيدة التي ستغنيها في الحفل:

<u>خمر التوت</u>

يا خمر التوت

يا قطاف الغابات البعيدة

fb/mashro3pdf

يا خمر التوت

يا مرسى النفوس الشريدة

تألبت علي آلامي

رحلتي إليك جد شديدة

رشفت من القهوة. "يا خمر التوت ياااااا يا خمر التوت!" دندنت. أغمضت عينيها، وتقدمت بخطى ملكية، كأنها تسير على المسرح. **امتلأت القاعة عن أخرها. كلهم رجال في بزات سوداء، وأربطة عنق غامقة. وسيدات في فساتين براقة، تشف ما تحتها من لحم. جلس أمامها من أخبروها أنهم الجنرال وسكرتير المحافظ والعقيد. رفعت عينها لأعلى جلس في الشرفات أسر متغطرسة، يبتسمون ببرود. "إنها دقائق فقط وتصبح سعيدا بعد كل هذه الأيام!"قالت في نفسها** "يا خمر التوت شربت أنهر العالم ما روتني، طفت بالجبال أسألها العسل، ما شفتني، جفت قدماي على الطريق، فانتشلني!" دندنت، وكانت تتهدل كلماتها في حزن، إلى أن جلست برفق على السرير. بسطت يدها على الورق. رددت في بؤس: "انتشلني. انتشلني انتشلني"

سقطت في نوبة حزن شديدة، داهمها لحن "الرجل الأخير (بيانو هادئ، هادئ، تتقلب عليه أصابع العازف باكتئاب. يدخل الكمان، وخلفه كورال وتري، يخوضان في حزن أعمق، بهدوء. بثبات، بانسيابية. تارا را را تارا رارا، تارارا را را تارا را را. ناي، ألم، دمعت عيناها. تشيلو، آه، تأوهت، وطفرت تبكي) " ضغطت عينيها. واهتز كتفاها في صمت.

قامت. جلبت ألبوم صور. عادت تجلس في سريرها. قلبت في الصور. كان أبوها، وأمها في ليلة الزفاف. كان أبوها فارع الطول. حليق اللحية يومها. وسيم. ينظر بفرح ليمينه، أما مي، فكانت تنظر بثبات للكاميرا، تبتسم في حلاوة، وعينها تقول ألف كلمة! **لم أصدق يوما أن صابر سيتزوج مي، كان صابر دائما رفيقنا السمح في اللعب، لم**

fb/mashro3pdf

يمر يوما إلا ونكون تعاركنا. ضربني، أو ضربته مي. ثم يضربها أبي، يومها دخلت الحجرة وبدأت تبكي. خفق قلبي. اقتربت من السطح الأسود الشفاف. همست:"أمي!" لم تسمعني بالطبع. نقرت بهدوء. لا شيء. دخلت مي بهدوء. اقتربت من أمي. جلست جوارها على سريري. احتضنتها بذراع واحد. وألقت برأسها على كتفها. قالت أمي: "اذهبي لعريسك، ماذا تفعلي هنا!" ابتسمت مي بصُفرة. وكان وجهها بارد يوشك أن تبكي. "أنا أيضًا وددت لو كان أشرف معنا!" وبكيا. نقرت نقرتين، كنت حزين أني لم أبك حتى معهما. أنت لا تعرفين يا ليلى كيف هو كينونة الظل؟ اللاشيء! دقائق واندفع صابر للحجرة وخلفه أبي يصيح: اخرجوا من هذه الحجرة! مسحت عينيها. تذكرت خالها. وضعت الألبوم على السرير. فتحت باب الحجرة بهدوء. كان جدها ينظف حذاءه. يستعد للخروج الصباحي. كان يرتدي بنطالا بنيا، وقميصا أبيض مربعاته واسعة. بلوفر زيتي. وجاكت غامق طويل. انزلقت نظارة القراءة على أنفه الكبير. رأسه الأصلع الأشيب امتلأ من الخلف بنقط سوداء. وقفت تراقبه لربع ساعة بطيئة. أنهى الحذاء. دخل غسل يديه. نادى عليها مواجها باب الشقة. "ليلى، أتريدين شيئا يا ابنتي!"

"لا" ردت بجفاف، فأومأ وخرج. أغلق عليها الباب من الخارج. خرجت من حجرتها. اتجهت لحجرة خالها المغلقة. دخلت. فتحت النور.

"ها! ليلى! كيف الأحوال! أبي خرج؟" بادرها مبتسما، بدا شابا كما رأت صورته أول مرة.

"نعم، أفطر الفطور المتين وخرج!"

ضحك "وكيف حال البنت الحلوة! تبدو حزينة!"

أومأت

عبس: "مرة أخرى تتركين نفسك للفراغ، ثم الذكريات! أظن أنك مشغولة هذه الأيام من أجل الحفل!"

fb/mashro3pdf

"لا أستطيع، لم أتوقع قط أن يكون بكل هذا الألم، حتى الوحدة لم تكن بألم الفراغ يا خالو، حتى الوحدة! رغم ما أنا فيه من شغل وتجهيز للحفل، لكن أشعر بفراغ هنا!" أشارت لقلبها.

"أعرف!" أومأ. "توقفي فقط عن التفكير! أعرف أن هذا العالم قبيح. يفتت البشر. ويضع كل واحد في عالمه الخاص، فيصبح لا يستأنس إلا مع نفسه. لكنها لا تريحه! دائما تعذبه! عالم قبيح!"

"ولماذا إذًا نولد؟ لماذا يغامر آباؤنا بنا، ثم يتركونا ويرحلوا؟"

"لطفا يا ابنتي! سيأتي اليوم الذي تحبين فيه رجلا وتنتظرين اليوم الذي تتزوجينه، ثم أنك بنت وتعرفين غريزة الأمومة!"

"لكني لا أود أن أنجب أولادا لهذا العالم القبيح!"

"إذن من يغير العالم القبيح، مادام الجميلين لا يتوالدون؟"

نظرت له باكتئاب. صمتا للحظات قبل أن تسأله: "جاءتني خاطرة ليلة أمس (ثم تذكرت محمد قاسم، وابتسمت) ايه كانت!؟"

"نسيت مرة أخرى؟" ابتسم

"لا لا تذكرت شيئا آخر سأحكي لك عنه بعد ذلك، قل لي، من يأكل النمل؟"

عبس: "لا أفهم"

"النمل يأكل كل شيء، من يأكل النمل، إذا أكل النمل الزمن والساعات فمن يأكل النمل؟ كيف يؤكل النمل وقد أكل كل الساعات، وكل هذه السنين؟"

"ليلى! الموضوع أبسط من ذلك أظن، النمل يموت ككل الكائنات الأخرى، ويتحلل!"

"وبعد؟"

"لا شيء!" هز كتفيه

fb/mashro3pdf

"نعم، ماذا بعد أن يموت، ماذا عن الزمن من بعده؟"

"ليلى! النمل لا يأكل الزمن نفسه، الزمن نفسه شيء عظيم، فوق قدرات كل الخلائق! الزمن هو من يحرك كل شيء!"

"إذن كيف يأكله النمل؟" هزت رأسها تستفهم!

"النمل يأكل الساعات والأيام، أما الزمن شيء آخر! الزمن هو من يستطيل ويقصر كيف يشاء. الزمن يتحكم في النمل أيضًا، هو من وكّل النمل بأكل كل هذه الأشياء كي تستمر الحياة، بالفناء!"

"تستمر بالفناء!"

"نعم، الفناء. النهاية!"

"إذن، مادام لكل شيء نهاية، فلما نتوالد؟"

"ما خطبك اليوم يا ليلى؟ نحن نتوالد لأننا لا نفكر في الفناء حين نحب! حين نتزوج! نفكر دائما في الخلود، والولد بالنسبة لأبويه هو الخلد! أما الفناء، فليس من مسؤوليتنا قط!"

"إذن مسؤولية من؟"

"الزمن، الزمن يا ليلى! ها دعك من هذه الفلسفة، ما الشيء الآخر ؟"

تنهدت "آه، قابلت أمس وأنا عائدة من وكر الأخوية في الميدان، آه الميدان (ابتسمت) ملآن صور ابنة أختك، فوق كل صورة لأبي وضعوا صورة لي، غرقت الشوارع بي حتى اشتكت العمدان"

ضحك، "قابلت من؟"

"آه، طبيب نفسي! لكنه من فصيلتنا!"

عبس أشرف، شق القلق ملامحه الوسيمة "طبيب نفسي، لم أحبهم قط في حياتي! هم أكثر الناس شرا، يعرفون البشر جيدا، فيتحكمون بهم. هل تعلمي أن أغلب الأطباء النفسيين يعملون مع الوزارة رقم 2!"

fb/mashro3pdf

"لا هذا مختلف، أعدك أن تقابله!"

"أقابله؟" اندهش

"نعم، سيراك أنا متأكدة من ذلك، صحيح هو غير واثق في نفسه، ويظن أنه يتهيأ أشياء، لكني رأيت أشباح معه أمس، في الغالب مرضاه، وكلانا سمع عمدان الإنارة، أنا متأكدة أنك ستحبه؟"

"لكن هل هو مهم لدرجة أن أقابله؟" سأل بمكر

ضحكت بخفوت:"بل لأنه سيستطيع أن يراك فقط يا خالو!"

"سيراني؟ آه! طيب! سنرى! لكن كيف ستدخلينه الحجرة؟ هل نسيت جدك؟"

"آه! (وضعت سبابتها على فمها الوردي) مشكلة، لكن! هل لك أن تزوره؟" سألت في دلال

عبس: "أزوره؟ لا، أنا لا أخرج لمرآة أخرى قط!"

"يا خالو أريده معنا في الأخوية!"

"أخويتك تلك ستذهب بك للجحيم!"

"ليس مرة أخرى يا خالوا" عبست

"يا ابنتي، كفى ما حدث لنا، أنت آخر هذا النسل، لو حدث لك شيء، انتهى كل شيء!"

"نزوج جدو لأي امرأة عانس!" ابتسمت

"ليلى! أنا أتكلم بكل جدية! أرجوك دعك من هذه التخطيطات المريبة، أضف أنك تعملين وسط رجال وشباب، وهذا شيء مخيف!"

"لا تقلق يا خالو، كلهم مثل أبنائي!"

"أبنائك! أنت مجنونة كأبيك! أليس معظمهم شباب في سنك، بل أن

fb/mashro3pdf

هناك رجلان عجوزان!"

ابتسمت: "كلهم ها هنا صدقني!" حركت الخاتم في خنصرها الجميل

"أنت عجيبة، تتحدثين يوما على أنهم رجالك، ومرة كأنهم أطفال، ومرة أنهم كالخدم أو العبيد في إصبعك كالخواتم! "

ضحكت: "خالو، ليس هناك فرق، فكل الرجال أطفال، ومن اليسير أن أضعهم في أصابعي!"

عبس "ليلى كلامك يقلقني"

ابتسمت: " قلت لك مرارا ألا تقلق، فإن كان منهم أحدا لا يعاملني كسيدة له أو قائدة، فإنه يعاملني بحب، نعم أرى الحب يخرج من عيونهم كلما جلسنا، حب العاشقين أقصد. وهذا لا يضر، لم أقر لأحد منهم بأي شيء! سبحان الله هل لأنهم أحبوني، لزم علي أن أبتعد عنهم؟ أنا أتعامل معهم كقائدة، كابنة صابر الناجي، ملهم مجموعتنا، ثم من يريد أن يعترف بحبه لي، فليعترف"

"لم يعترف أحد بعد!" ابتسم نصف بسمة، وظهرت غمازته تشبه غمازتها.

هزت رأسها "لا" ثم طأطأتها. واحتضنت ساقيها. أمام المسجد انتظرته، لم تره من وقت طويل، لمحت رأسا كبيرة خلفها، فالتفتت إليه تبتسم. (حلق لحيته الصغيرة، وشاربه، ارتدى قميصا سماويا، وبنطالا كحليا، سترة بليزر بنية، لا زال شعره طويل، متى يحلق) كيف حالك، مد يده، لم يسلم، بل احتضن يدها، رفعها لفمه قبلها (صُدمت) ضحكت. أخرج يده اليسرى من خلف ظهره، تفضلي سيدتي. (شهقت شهقة لا تكاد تُسمع) هذا لي؟ أخذت منه باقة الورد. شكرا يا قيس إنها الأولى في الحقيقة. ابتسم" "جيد أنه لم يعترف!" قالت

"من ؟" سألها أشرف بإرهاق

fb/mashro3pdf

"لا، لاعليك، تذكرت أحدهم!"

"من؟"

"قيس! يوم الورد!"

"آه، الولد! لكن لماذا بالذات دعوته قيس؟"

"أنت تنسى يا رجل! أعرف أنه كان خطأ، لكن ما من شاعر أعرفه يبدأ اسمه بحرف القاف سوى قيس بن الملوح! ما ذنبي أنا؟"

"كنت أدعوه قاف!" قال ببساطة

ضيقت عينيها: "صحيح، فكرة، لكن خلاص، أصبح اسمه قيس!"

"ما كان اسمه!"

"عمرو! قلت لك مرارا؟"

ضحك: "عمرو ماذا، لم تأتني بأي من كتبه!"

"عمرو عبد الكريم! مع أنك لو قرأت شيئا مما يكتب لن تفهم شيء!"

"عيب يا ابنتي، لقد قرأت أكبر من رأس صاحبك هذا آلاف المرات!"

ابتسمت: "طيب، أظن أن معي له كتاب أو اثنان في الحجرة"

"هاتي إحداهم!"

ضحكت "وأنا التي سأقرأ لك، حاضر يا خالو!"

ضحك:"بالطبع، تعرفي يا ليلى، لم أتوقع قط بعد كل هذه السنوات أن أتكلم مع أحد ما، ويكون الشخص الذي ينجدني من الرعب الذي أسرت فيه هو ابنة مي! يا الله، أول مرة رأيتك، عندما هربت من الحجرة، ظننت شبح، أو روح، لكن في المرة الثانية، بعد سنين، عندما نضجت، ودخلت عامدة للمرآة، ظننتك في أول الأمر مي! لم أصدق، مي لم تكن تراني عندما كانت حية، انقبضت، قلت أخيرا ستزورني روحها لكي

fb/mashro3pdf

ذُهلت لما عرفت أنك أنت!"

ابتسمت: "خالو! ماذا سيفعل جدو لو عرف أنك في المرآة!"

"لن يراني اطمئني!" ضحك، ثم استدرك، "ماذا عن الطبيب النفسي صحيح! ما اسمه؟"

"محمد قاسم" ابتسمت "مجنون مجنون يعني، ظريف، لم أتوقف عن الضحك أمس، هي طرفة عين، ويصبح من رجالنا!"

نظر بقلق:"رجالنا! سنذهب لجحيم الحكومة، ارحمينا!"

"لا تقلق! أنا بنت الناجي!"

"هذه هي المصيبة!"

"خالو! أنت بالذات لا بُد أنت تشجعني، نعم، أنت أكثر من عانيت من الضغط، والتسلط، والقبح، والاستبعاد"

"أعرف! لكني في تعداد الموتى الآن، انتهيت، ذهبت كما كنت؛ بلا أهمية، أما أنت كلك حياة، بالإضافة أني أخشى عليك. أخشى أن أفقدك!"

""وهل ترى أن الحياة التي امتلأ بها تسعدني؟ هذه حياة بلا معنى! إن كنت رضخت أنت لهم، فأنا لن أفعل! ماذا يحدث؟ سأموت؟ فلأموت! فقد مات أبي وأمي أيضًا!"

"أنت ابنة صابر لا محالة!" وعبس

صاح جدها من الداخل بعنف:"ليلى!"

شهقت، قامت مفزوعة: "متى وصل هذا الرجل!" جرت أغلقت النور. نظرت من ثقب الباب. سمعته يتمتم:"أين ذهبت هذه اللعينة، بنت الكلب، من أين لها بال.." صاح"ليلى أنت يا بنت!"

"بنت الكلب! " ضغطت على ضروسها. انتظرت حتى دخل الصالة،

fb/mashro3pdf

فتحت الباب سريعا، خرجت، واغلقته سريعا. تمالكت غضبها بالكاد "أنا ابنة صابر أنا ابنة صابر أنا ابنة صابر!" تمتمت

قابلته في الردهة. كان وجهه بلا دم. شديد العجز من الغضب. حاجباه الأشيبان مرفوعان.

"ماذا؟" سألت ببرود

"من أين أتيت بهذا؟" رفع ألبوم الصور.

fb/mashro3pdf

تابع محمد قاسم بهدوء قطرات المطر تملأ برك صغيرة. التفت على إحداها ثلاث قطيطات تشرب. قال: "كل شيء من السماء جميل!"

ابتسمت ليلى (كانا جالسين أمام محل الساعات على الأرض. مددا أرجلهما أمامهما. تقيهما مظلة المحل من المطر): "السماء لا قبح فيها!" ونظرت لأعلى. تنهدت. 346

"امممم.." تابع القطط

"أبي كان يعتقد أني نزلت من السماء!"

"بالتأكيد رجل ينجب فتاة حلوة مثلك، لا بُد أن يقول ذلك!"

ضحكت: "لا، كان يعتقد فعلا أني نزلت من السماء. مثل هذا المطر!"

"رجل عجيب، لقد أخبرتني ساعة يدي أنه كان رجلا صالحا، لكنه عصبيا، لا يخشى شيئا في الحق."

ابتسمت: " تكلمت ساعة يدك أخيرا"

"نعم، يئست من ساعة أبي. حتى أني كدت أحطمها!"

"لا، حرام"

"أنت لا تتخيلين، إنها ثرثارة إلى درجة أن كل المنزل أصبح يتكلم. الشاي أصبح يحدثني من تحت الماء! لقد جرأتهم!"

"ولو، قلت لك إن الساعات أشياء مهمة لا بُد أن نوقرها"

"إلا هذه الساعة المزعجة!"

"إن أزعجتك مرة أخرى (عبثت في حقيبتها ال"هافان" الكبيرة، ثم أخرجت شيئا) ضع هذه داخلها أو جوارها!"

"ما هذا؟"

fb/mashro3pdf

ابتسمت: "عندما تزعجك ثانية، ضع فيها هذا! وستعرف حينها!"

نظر للعلبة الاسطوانية ثم وضعها في جيبه. قالت له: "قل لي ماذا قالت أيضًا عن أبي؟"

"قالت إنه قضى على الكثير من الأشياء الشريرة، وأن حياته كانت صعبة، وأنه أحب زوجته، لكن كل كلامها كان مقتضبا وغير واضح، كأنها وهي تتكلم، تقرأ من كتاب بلغة غامضة، لكن لماذا تسألين؟ أنت تتكلمين كثيرا عن أبيك وأمك، وتعرفين عنهم الكثير، فلماذا تنتظرين أن تسمعي من ساعة يد مسكينة عنهما؟"

ابتسمت ابتسامة حالمة، وطافت عيناها في الميدان: "أحب أن أسمع سيرتهم، من أي أحد، حتى من الراديو الذي يشتم أبي ليل نهار، ويزعم أنه حي، فقط أن أسمع اسمه يتردد في أذني، وأن سيرته تتناقل ولو بالشر. هذا شيء يعطيني إحساس أنه جواري، موجود وحي كما يزعمون!"

"لكن كيف أنت متأكدة من أنه ميت؟"

"أعرف!" قالت ببساطة. وابتسمت.

ابتسم بإرهاق. وصمتا قليلًا.

قالت: "أخبرت الأخوية عنك، وتحمسوا لوجودك وسطهم!"

اعتدل في جلسته. "صحيح، لم تكملي كلامك عنهم! من هم وماذا يريدون؟ لم أفهم الصورة كاملة المرة السابقة!"

"هذا الفريق كما أخبرتك يرى مالا يراه الناس ويسمع ما لا يسمعون. نحن في الغالب شباب. وكل منا يبرع في شيء ما. الشعر. النثر. الموسيقى. الرقص. كل شيء. غير أن فينا متخصصون في مجالات شتى. كلنا اجتمعنا مع الوقت لظروف متشابهة. في الأعم معظمنا مستبعدون من الناس. لا أحد يطيقنا، أو يطيق كلامنا. فالناجح منا أسقطه الفاشلون حتى لا يتخطاهم. والموهوب يحارب كيلا يتميز.

fb/mashro3pdf

كلنا يؤذينا الناس. والناس أقل منا في الحقيقة، فهم مساقون من الفئة الذكية التي تحكمنا كما أخبرتك. وإن كنت أعتقد أنهم تخلوا حتى عن ذكاءهم، وأبقوا على اللجام حول رقاب الناس."

"حول رقاب الناس! إذًا لماذا تجتمعون، وكيف تقاومون؟"

"بسيطة! نحن نجتمع لنتدرب على الحفل، والذي سيتضمن عزف مصاحب لأنشودة، لرقصات، ألفتها، وكتبتها وصممتها مع الفريق. وكل هذا مبني على مبدأ بسيط جدا. كما تعرف في قصص الأطفال: " The Beauty killed the Beast!

"الجميلة والوحش؟"

"نعم!"

"نعم، كأنك ترددين هذا القول: الفن غذاء الروح!"

عبست: "أحمق، أحمق يا محمد يا قاسم، هل لي أنا أن أردد كلام الراديو وصحفهم الصفراء، كلا، ليس كذلك. المبدأ مباشر جدا. فكل من سيحضر الحفل وفيه شر أو قبح، سيموت. سيقتله العزف، فإن لم فستقتله الكلمات، فإن لم فستقتله الرقصات! وإن لم، فسيقتله جمالي!"

رفع محمد قاسم حاجبه الأيمن. " أنا لا أفهم أي شيء!"

نخرت: "يا ربي! وهل لك أن تصدق؟ يا عم أقول لك ببساطة أننا سنقتلهم في الحفل بغنائنا!"

"وأنا عليّ أن أصدق هذا الهذيان!"

قوست فمها في نفاد صبر، عبثت في حقيبتها: "كيف تتكلم الأشياء يا محمد يا قاسم؟"

"اتفقنا أنها كائنات الله وتتكلم كما نتكلم!"

fb/mashro3pdf

أومأت وحاجبيها مرفوعين. تنظر لولاعة مرسوم عليها دب أخرجتها من الحقيبة:"شطورة، شطورة يا قاسم، كائنات تتكلم، بالمثل الأنشودة، نحن نعتبرها سلاح يقتل!"

تابع الولاعة: "سلاح؟ جيد! أفترض أن أي سلاح في العالم يحتاج أن يكون له جسد مادي كي يقتل! لماذا تحملين ولاعة؟"

"ليس شرط. السُم مثلا، الغازات السامة (قال الدب على الولاعة له:ليس من شأنك أن تحملني) هذه الأشياء تقتل دون جسد مادي!"

ارتبك بينها وبين الدب. بدأت تلعب بالولاعة. قال وعينه على النار: "لكن من قال إن الغازات السامة ليس لها جسد، بالرجوع إلى الفيزياء، فالمادة لها ثلاث حالات: جامدة، سائلة، وغا.."

قاطعته وهي تشعل غصن شجرة صغير: تبا لكل العلوم الطبيعية! إنها الحدود النظرية لعقول البشر، العلم أكبر من أن نقحمه في نظريات الفيزياء والكيمياء، (عبست) أرجوك، لا تتكلم عن هذه العلوم، أنا أكرهها من أيام الدراسة، مواد بنت عاهرة!"

صاح: "ليلى! كيف تتلفظين بهذه الأشياء، أنت فتاة (ضحكتْ) ليلى، حتى العلوم تشككي فيها؟"

ابتسمت: "يا محمد يا قاسم هل أي عالِم في هذا العالم موقن بنظريته مائة بالمائة؟ كلا. هل أحد منهم قادر على الجزم بأنه قوض العالم بمجرد وضع نظريات أو مارس تجارب؟ كلا. العالم كبير جدا. أكبر مما يصوروه لنا! نحن محبوسون في حدود ضيقة فرضوها علينا، رغم أن الله لم يفعل ذلك معنا، الله وضع قوانين لنا نسير عليها، وليس أسوار نسير داخلها كما يفعلون!"

"تبا، أنت لغز! ماذا درست حتى تقولي هذا الكلام؟"

"درست العلوم للأسف، وليس هناك علاقة بين ما أقول وما درست!"

fb/mashro3pdf

"نعم، الكتب فيها كل شيء، أعرف، وأيضا خالك هذا صاحب المرآة!"

ابتسمت: "صحيح. قال لي أنه سيحاول أن يزورك!"

"يزورني؟ كيف؟"

"قد يظهر لك في المرآة يوما ما. لكن لا أعدك، إنه انطوائي، سيقرر ذلك خلال أيام! لولا فقط أنه من الصعب أن تأتي لدينا في المنزل، كنت أتيت بك، لكن ماذا سنفعل مع جدي الذي يمنعني أصلا من الدخول لحجرة خالي!"

"أنت لا تحبين جدك؟"

أومأت: "يبدو عليّ؟"

ابتسم: "أنا لازلت طبيبا نفسي!"

"نعم، أنا لا أحبه بالقدر المطلوب مني كحفيدة أن أحبه. لكنه أيضًا لم يكن يحب أبي، ولا أمي!"

"أتفق معك أنه يكره أبيك، اعذريني الناس كلها تكره أبيك. أما أن يكره ابنته! أمك! فكيف؟"

"خالو أخبرني أنه كان قاسيا معها! ولم يعاملها جيدًا قط. حتى عندما كبرت، أصبحت علاقتهما باردة."

عدل نظارته، نظر لها بفضول: "ليلى، أنا أصدقك فعلًا، لكن هناك سؤال! أنا لا أشكك أبدًا والله! لكن كيف تعرفين كل شيء عن أبيك وأمك، وأنت اعذريني، لم تريهما، وكما تقولين جدك يكرههما، فبالطبع لم يكن ليخبرك أي شيء حقيقي عنهما؟"

ابتسمت: "هو لا يخبرني أي شيء عنهما، وكأنهما خطأ أو سر لا بُد أن يخفيه عني! لكن هو لا يأبه بي قط، فيتركني وحيدة كثيرا في البيت. وأنا

fb/mashro3pdf

لا أجد إلا أن أبحث في الأدراج، والخزانات المكدسة بأشياء كثيرة. ومع الأعوام، اكتشفت أشياء كثيرة، دفاتر، صور، رسائل، وكذا. عرفتهم من أشيائهم! بالإضافة ما حكاه خالي لي عنهما عندما كانوا أطفالا! أنا أعرفهما، لا ينقصني سوى أن أراهما رأي العين!"

"وأبوك ميت! أقصد أنت لم تره قط؟"

عبست "لا زلت تؤمن بكلامهم؟"

قال في حنان: "ليلى، أنا أصدقك، لكن، لكن أباك كل الناس تؤمن بأن..."

قامت فجأة دون أن تتكلم. فقام قلقا: "لا تقولي أنك غاضبة مني؟"

"تعالى!" قالت بحدة، وسارت أمامه دون أن تنتظره. "إلى أين؟ انتظري طيب! ليلى (ثم تمتم: آه يا مجنونة) ليلى!" هرع خلفها.

قالت دون أن تلتفت إليه: "لم أعرف أنك أحمق لهذه الدرجة يا محمد يا قاسم، حسبت أن دراسة علم النفس أوسعت مداركك! لكن يبدو أنك تدعهم يتبولون في رأسك كيفما شاءوا! سأسألك سؤال، وأشك أنك بعقليتك هذه ستستطيع أن ترد علي! هل رأيتهم قبضوا على أبي منذ أن أعلنوه مجرما؟ هل ارتكب في هذا الوطن أي إثم سوى والدي؟ هل معقول أن يظل الرجل يرتكب كل هذه الجرائم لأكثر من خمسة عشر عاما دون أن يقبضوا عليه، أو أن يظهر لهم؟" ثم وقفت فجأة عند محل الدفاتر الذي كسر زجاجه من أيام. كان معلق على الجدار إعلان:

ابحث مع الشرطة

يرجو محل أقلام وأوراق (ك & ر) من السادة المواطنين الشرفاء

البحث معنا عن سارق هذا المحل وهو

المجرم / صابر الناجي

ولمن يجده جائزة قدرها 1200 جنيه!

fb/mashro3pdf

"ما رأيك ؟" أشارت إلى المكتوب

عبس: "ما هذا الهراء؟"

ربعت ذراعيها (الممتلئين المدورين فزادت جمالا) "من سرق هذا المحل؟"

"نحن!" وضحك

عوت سيارة شرطة من بعيد. تلفت حوله. ثم عاد " ما هذا الهراء؟ كيف يتهمونه؟"

"أنت تسألني أنا؟ اسأل من تبول في رأسك (زجر لها بغضب، لكنها لم تعره انتباها) إنهم قوم مزيفون. كذبوا الكذبة وصدقوها. صابر الناجي مات لكن من مصلحتهم أن يظل حي، كي يخوفوا الناس به، ويظل الناس تحت عباءتهم. فظل صابر حيا، وصدقوا ذلك، ولا أحد يجرؤ أن يقتله!"

"لكن لو أن الموضوع كذلك! كيف لم يعرفوا أنكِ ابنته حتى الآن؟"

"قلت لكَ أنهم كذبوا وصدقوا الكذبة، كيف سينجب المجرم أطفالا؟ كيف يكون له أسرة، وكل الوطن يحاربه؟ ومن يهتم باسم أبي فتاة مادامت فتاة حلوة؟ ولا تهتم سوى بالموسيقى والشعر! ولا تنس أن جدي هرب من المدينة الأخرى، ولم يخبر أحد بأصله أو فصله. غير أنه لو مسح لقب العائلة من شهادة ميلادي، فلن يلحظ أحد شيئا، فبدلا من ليلى صابر الناجي، نضع ليلى صابر منصور، من صابر منصور؟ أتعرف أحدا بهذا الاسم!"

"لا لم أسمع هذا الاسم قط! ايه..أقصد..احم.. لكن كيف عرفت أنه مات؟ أنت متأكدة بشكل غريب!"

ابتسمت: "هل تسمع عن تزييف التاريخ؟" أومأ. "ستراه الآن!"

"كيف؟"

fb/mashro3pdf

"تعالى لا تخاف (سحبته من كفه) سنذهب لنرى قاتل أبي!"

"ماذا تقولين؟ جننت؟"

"تعالي!" سحبته (وضعت ساعدها أسفل ساعده، شبكت أيديهما. وسحبته. نظر لساعده، لرسغها المُسّوَر بسوار بناتي له فصوص سوداء وصفراء على شكل زهرات صغيرة، ووجوه ضاحكة. ظهر من تحت كم السترة. وضعت في إبهامها خاتما عريض بلا فصوص. محفور عليه حلقات عرضية. كانت يدها دافئة. طرية. حنونة.) ابتسمت بغمازة لا تخفى (كتفه ملتصق بكتفها) رنا لصدرها الكبير الجميل من تحت نظارته. دق قلبه لمح الغمازة، الشامة فوق قصبة الأنف الجميلة (كيف هي جميلة؟ آه يا ربي: قال لنفسه) قالت بمكر: "أراك قلقا، لا تخف، عمو طيب لن يؤذيك!"

"عموا" قال ببلاهة وهو ينظر لحاجبها (الذي يبدو دائما في عينه بنيا)

"نعم، قاتل أبي!" نظرت له بكامل وجهها (رمشت ثلاث مرات. اشتم حفيف عطرها. آه. آآآه. شعر برأسه بارد جوار دفء نحرها. حركة بسيطة كي تدفأ:قال في نفسه. مالت رأسه ناحيتها. لكنه سيطر عليها بالكاد) ضحكت (رأسها لأعلى، وأنفها. أسنانها آه) همس: "أنت جميلة!

وجهها أحمر: "فعلا!"

أومأ في خدر. أمسكت ساعده بشدة. ووقفت. حدق فيها لوهلة. نظرت لأعلى. (الشامة!) نظر إلى ما تنظر. وجد تمثالا يواجههما! رجع خطوتين.: "أحمد حسن الزيات!"

أومأت.

"إذن أين عمو قاتل عمو صابر؟"

ضحكت: "عمو صابر؟ أظنك أول أحد يسميه هكذا! هذا عمو قاتل عمو صابر!" أشارت برأسها

fb/mashro3pdf

لان وجهه في حزن ونفاد صبر "التمثال قتل أبيك؟"

"التمثال؟ أحمق! صاحب التمثال لما كان حيا!"

"أحمد حسن الزيات قتل الوالد؟ أحمد حسن الزيات بطل الأبطال قتل الوالد! اتق الله، هذا بطل وطني!"

"نعم، مادام قتل صابر فليصبح بطل وطني!"

هز رأسه يعترض، لكنها قاطعته: "قتله، صدقني، ثم لما دهموا المدينة الأخرى، خشي أن يتهموه بتدمير المدينة الأخرى. فرسم أسطورة أبي! قال لهم أنه هرب منه، وأعطاهم أوصافه بعد أن تخلص من جثته. وبقي هو منقذ المدينة الأخرى، والرجل الذي يخشاه صابر الناجي!"

"خيالك واسع يا ليلى! من قال لك هذا؟"

أشارت بحاجبيها ناحية التمثال. نظر لها بقرف: "هذا الصنم؟"

"ماذا تقول؟" صاح صوت بارد عميق.

شهق محمد قاسم. حدق في التمثال.

قال التمثال غاضبا: "من هذا يا ليلى؟ من هذا الولد؟ أنا صنم؟"

هز رأسه غير مصدق عينيه.

"دعك منه يا عمو أحمد، ألا تحكي له قصتك اللطيفة مع أبي؟"

"أبوك من؟ ماذا تريدين؟"

ابتسمت:"إذن اخرس يا زيات! وأنت (جذبت محمد قاسم من ياقة قميصه) يتهرب الآن كعادته. قابلته يوم وأنا أدور في هذا الميدان. وسمعته يتمتم بشيء ما. فكلمته، فأنس بي، فلما عرف أني ابنة صابر. شعر بالذنب وحكى لي الحكاية. لكنه يخاف على صورته أمامك، فهو يعرف كيف أنك تقدسه! وهو غاضب مني لأني كشفت سره"

fb/mashro3pdf

ظل يهز رأسه

" من هذا حتى تكشفي له كل هذه الأسرار؟ حمقاء!" فح الصوت البارد

"اخرس من فضلك أيها العمو الصنم!" انحنت. غرفت من الطين. كورته. ألقته في وجهه. صاح التمثال: "حمقاء كأبيك يا بنت الكلب!"

"الكلب هو أنت، حضرتك. هيا " أمسكت بذراع محمد قاسم. نظر لذراعها. سارا ببطء. يتلفت من الحين للآخر ناحية التمثال.

fb/mashro3pdf

"لا لا لا. قليلًا من هنا يا دكتور، نعم نعم، هايل، أظن أن هذا الجزء يحتاج لشد، نعم. قلت لي ما نوع هذا المرهم؟ امم. صحيح تذكرت. لا لا يا دكتور هذا الطرف استوى!" قال الجنرال مشيرا لشاربه (كان جالسا باسترخاء على كرسي وثير بذراعين، حوله خمس أطباء تجميل، أمامه مرآة دائرية، معلقة على محور نصف دائري، قائم على عمود معدني رفيع. وقف الحارس خلف المرآة يحرك المرآة كما يطلب منه الجنرال أو الأطباء) "اعذروني يا سادة، فالحفل هو الأول من نوعه من عقود، آخر جنرال حضر مثل هذا الحفل كان مما يقارب القرن! لا بُد أن أظهر كقائد بمظهر جيد أنتم تعرفون التقا.." فُتح الباب، نظر في المرآة بعينه الضيقة. "آه عشماوي، كيف حالك؟"

وقف العقيد بشموخ، رجلاه ثابتتان في الأرض. عقد يديه خلف ظهره. لم يفارقه العبوس، قال: "أرى أنك تتجهز (قال في نفسه: أيها الوغد العجوز) للحفل مبكرا يا فندم!" ضغطت يده على الصحيفة.

ضحك الجنرال "هذا مجرد تجهيزات بسيطة، أنت تعرف أني أحب النظافة، أنظر، ما رأيك في هذه البدلة؟"

دون أن ينظر: "جيدة، هل لي من عشر دقائق فقط يا فندم!"

"عشماوي لم يعد سوى عشر دقائق وننتهي" عبس، وصاح في الحارس "ألم أقل لك مئة مرة أن ترش هذا النمل حول الساعة!" نظر الأطباء للساعة، قال العقيد بلا اكتراث: "الوقت لا يحتمل، السادة الأطباء قد ينتظرون قليلا!"

"طيب!" قال الجنرال عابسا! "خذ السادة الأطباء. للاستراحة حالما ننتهي أنا والعقيد من العمل!". خرجوا. قام ببطء إلى أن جلس على المكتب، "ها؟ ما الأمر الذي لا يحتمل التأخير؟"

جلس العقيد أمام المكتب "هل قرأت هذا؟". وضع الصحيفة أمامه.

fb/mashro3pdf

فرد الصحيفة أمامه "أنت تعرف أنا لا أقرأ الصحف، أنا أستمع لهذا!" أشار لراديو.

"عليك أن تقرأ هذه أيضًا!"

"ماذا فيها!"

أشار العقيد لموضع ما: "أصبحوا يتجرؤون علينا حتى في الصحف!"

"ماذا قالوا يعني، ما هذه المقالة؟ ومن كتبها! التفاح؟ ما علاقة التفاح بنا!"

قال العقيد بنفاذ صبر: "التفاح قصة، يهجونا فيها هذا الكاتب، اسمه قيس!"

"يهجونا؟ أنا لا أفهم ماذا نفعل فيهم حتى يهجونا؟ ماذا يريد يعني؟" قال غاضبا

قرأ العقيد:

عصبة شيوخ، عقولهم مصقولة داخل خوذاتهم الحديدية، عابسين دوما، لا يظهر من عيونهم السحيقة - داخل تجاعيدهم المشعرة - إلا برقات خافتة تحمل أحاجي سرمدية .لم نعرف أيكونون تحت الأرض يحكمون، أم أعلى الأبراج؟ فقط لا نذكر منهم إلا سلسلةً نراها حول رقابنا محفور عليها توقيعهم"*

"نحن عصبة شيوخ، وتجاعيدنا مشعرة؟ أين هذا" وتحسس وجهه الغاضب

كبيرهم طويل، أسود ليل، هزيل، يخفي صلعته تحت الخوذة، محني الظهر، اهترأ وجهه من حفر الزمن، نعرفه برقبته المكرمشة المتدلية مثل لغد الديك .يجلس وسطهم يتابع عروضنا بدقة.. بعينين مخدرتين ناعستين، يُلَقِط أخطاءنا كنقار الخشب .نكرهه أكثر مما نكرههم، وودنا قتله قبل قتلهم ..لكن الخوف يشل أيدينا.

---

* المقاطع القادمة من قصة: حلاوة التفاح لعمرو عبد الكريم

fb/mashro3pdf

"أسود ليل!" قال متعجبا " من هو الأسود ليل يا عشماوي، هذا الولد لا يقصدنا حتما! القصة اسمها التفاح، لا تأول يا رجل!"

"يقصدك أنت يا جنرال، أسود ليل ما هي إلا مجاز عن الظلم!"

"لا" صاح الجنرال "لا يمكن.. هذا إسفاف.."

"لا تقلق الأمور تحت السيطرة، اتصلت برئيس التحرير، ووبخته، ووعد باعتذار عن القصة وفصل الولد، الذي سنقبض عليه الليلة"

"وصل الأمر للصحف يا عشماوي؟"

"وإن لم نشد الوثاق أكثر، ستسمعهم في الراديو!"

عبس الجنرال. "إذن، سنستورد أطنان جديدة من الحديد، والآلاف من قطعان الكلاب!"

"بالضبط!"

"وإعلانات التوظيف لدينا، أحصر الوظائف المطلوبة، وأرسلها إلي"

"جلادون، وجنود ليس إلا، غدا كل شيء يكون جاهزا" ابتسم

"لا بُد أن نضبط الأمور، الكبير لن يرضى أبدًا بما يحدث!"

"بالطبع!"

"جيد، لا بُد أن يحدث كل شيء بعد الحفل مباشرة، صحيح كيف حال التأمين؟"

"لا تقلق سيدي، لن يستطيع أي من الصبية النفاذ، أو الاقتراب من الضاحية أصلًا!"

"رائع!"

"لا تقلق أنت، سأستدعي الأطباء مرة أخرى كي تظهر بالمظهر الذي يليق يا فندم!"

fb/mashro3pdf

ابتسم الجنرال " نعم!". خرج العقيد.

نظر العقيد للساعة "3:00 عصرا". فتح الدرج. أخرج بطاقة الدعوة. أخرج منها صورة كبيرة لليلى. "ليلى. اممم اسم جميل. جسم جميل" مرر أنملة سبابته السمينة على بطنها. "يااااه، أيام زمن الفن الجميل ستعود" ثم أمسك مذاكيره. وضحك.

fb/mashro3pdf

وها هي الكرة تتحرك لناحية اليسار، يستلمها الميرغني، يرفعها لأبو بكر، يمررها لسيد، سيد، يراوغ، فادي، ها، لكن يقطعششششششش عبد التواب، تمريرة أماششششششششش هجمة مرتدة
360 **لكنششششش**

ارتجف كوب الشاي في يد شوقي منصور. تساقط بعض الشاي على يده، فلسعها. غمغم غاضبا "ينعل.." وضع الكوب بغضب. مسح يده بمنديل قماش. طبقه أعاده لجيب سترته. كانت يده باردة من الغضب. رأسه يطن كأن به عقرب ساعة تالف يهتز بين دقيقتين فقط. شرد في للراديو. رجله تهتز في حركة عصبية. كانت الليلة في أولها. وبالكاد تجمع الناس على المقهى. صاح صبي القهوة: "ثلاثة معسل، وأربعة شاي وواحد عناب بارد هنا!". جلس على بعد طاولتين الحاج فتحي البحيري، وسمير البنداري يلعبان الطاولة، وراقبها مبتسما الدكتور سعفان بنظارته الصغيرة ذات العدسات الغليظة. لم يعرهم أي اهتمام. وظل يرمق شبابيك البنايات المغلقة.

ضغط على فكه بعنف. فكر: "كان علي أن أطردها أنا، لا أن أترك لها المنزل وأرحل. بنت الكلب. تحمل كل هذه البغضاء لي، بعد كل هذه السنوات، بعد أن أكرمتها ووضعتها تحت جناحي، تأتي وتهينني بهذا الشكل الحمقاء بنت الحمقى" ضرب ركبته بغضب.

"**من أين أتيت بهذا؟**" **رفع ألبوم الصور** دخل البيت بهدوء يحمل كيس أسمر مملوء بالتفاح. وضعه في المطبخ. غسل واحدة وبدأ يأكلها. نادى: ليلى! لم تجب، ليلى. دار في المنزل بهدوء. لم يجده. عبس:خرجت؟. دخل حجرتها. "كأن مي لا تزال حية، الله يرحمك!" ضيق عينيه يقرأ عناوين الكتب، وما كتبته على دفاترها. لمح كتابا على السرير. غلافه كان صورة منظر طبيعي. شلال، وزهور. ازدرد لعابه: "ألبوم!" فتحه (تهيأ أنه سمع إيقاع حماسي عميق. طبل، جيتار. إلكتريك، كأن النغم ينزل من أعلى لأسفل) أصابه عرق مفاجئ. هرع للخارج، غاضبا

fb/mashro3pdf

صاح: "ليلى!" دار في البيت، مر جوار حجرة أشرف: "أين ذهبت هذه اللعينة، بنت الكلب، من أين لها بال.. " صاح "ليلى أنت يا بنت!"

قابلها، قالت ببرود أمها: "ماذا؟"

"من أين أتيت بهذا؟" رفع ألبوم الصور

حدقت فيه بغضب، هرت في حلقها زمجرة خافتة: "كيف تعبث بمتعلقاتي!" همست

"متعلقاتك، ها! هذا بيتي يا بنت الأبله!"

احمر وجهها، قالت تهدده: "لا تشتمه!"

صرخ: "بل أشتمه وأشتم من أنجبوه، من أين أتيت بهذا؟!"

"ليس من شأنك!" ضيقت عينيها

"ماذا قلت يا حيوانة يا بنت الحيوانات!"

صرخت "كف عن هذا!!"

"وتصرخي في وجهي أيضًا!" هجم عليها ودفعها بعنف. سقطت أرضا. صرخت. ظل يحدق فيها غاضبا.

"ما لك يا حج شوقي؟"

"ها؟" نظر، جلس جواره جارهم الحاج سيد الحتة، "لا أبدا يا حاج سيد، دماغي مشغول قليلا!"

"كلنا هذا الرجل، ماذا نفعل؟ مرت الأيام علينا، وأكل الزمان وشرب، وبارت الأرض يا حاج شوقي!" استند الحاج سيد بذراعه اليسرى ومال برأسه للأمام، وهزها وهو يتكلم.

أومأ شوقي

"ها دنيا، ها هو ابني جمال طبيب كبير، ولا أحد يراه، والآخر مهندس

fb/mashro3pdf

في الخارج، والبنت مع جوزها، وكل أسبوع تأتي بأولادها يملئون البيت صداعا، والحاجة كبرت، لم تعد تتحمل" حرك يده في عصبية، عابسا.

أومأ شوقي

362 "فلا تحمل هم شيء، الحال من بعضه. احمد ربنا أن ليلى تقطن معك، وتهتم بك"

نخر شوقي

"ما لها ليلى لا سمح الله، أعرف أنها في سن صغيرة، وتكاد لا تهتم بشيء، أعرف هذا السن، حنان عندي مرت بهذه الفترة، لكن الحاجة كانت شديدة معها، أتعرف، حلها الوحيد هو الجواز، نعم، اسمع مني" بدأ يغمض عينه وهو يتكلم، ويمسك يد شوقي بين اللحظة والأخرى، مرة باللين وأخرى بشدة.

"تتزوج؟ من؟ ليلى؟"

"آه ليلى؟ وهل هناك أحلى منها؟"

"نعم، مي"

قامت بهدوء. لا تفلت عينها من عينه. "هات الألبوم!" همست

"من أين لك به؟"

"هذا لأمي وأبي! ليس لك فيه شيء!"

صاح: "كيف؟ (قرب وجهه من وجهه، عيناه تدور في جنون) كيف ليس من شأني؟ هذه ابنتي أيضًا!"

"وما المشكلة إن احتفظت بصور أبي وأمي!"

"ليست مشكلتي! من أين أتيت به" ثم صرخ "أنطقي!"

"لماذا تهتم؟" سألت ببرود

صرخ. اقترب منها. يكاد يضربها. لكن لا يضربها. فقط يهتز أمامها منفعلا.

fb/mashro3pdf

"لماذا تنفعل هكذا؟" صرخت " ماذا يهمك في صور مي وصابر؟ منذ متى تهتم بهما؟ قل لي؟ لماذا تمنعني عنهما، وأنا لم أعرف أحدا منهما؟ ماذا تريد مني؟"

فتح فمه على آخره: "ماذا يهمني، هذه ابنتي الوحيدة، التي فقدتها بسببك أنت، يا فتاة الشؤم، يا بشرى حفار القبور"

ارتجفت شفتها السفلى، امتلأت عيناها بالدمع. "لم أختر هذا، ولو كان بيدي الأمر لفضلت ألا أعيش معك، بعد أن فقدت من أحببت!" ثم انسحبت لغرفتها.

توتر الحاج سيد، اصطنع التأثر، تمتم:"الله يرحمها"

أومأ شوقي

"لكن البركة في.."

"البركة في من يا حاج سيد، هذه فتاة وقحة قليلة الأدب، مي كانت ملاك رحمها الله!" صاح شوقي. حملق الحاج سيد الحتة فيه بفضول وصدمة، تمتم "لماذا؟ خير؟" استمر شوقي غاضبا: "مي كانت سيدة وقورة، أما هذه، فانا أعرف من أين ورثت كل هذا! أنا عارف! عارف!"

"من أبيها!"

"نعم، هو وأبوه كانا مجانين، هذه الفتاة ورثت منهما كل هذا، لقد حاولت أن أبعد عنها كل هذا لكنها أبت!" ضرب الطاولة بعقل أصابعه اليمنى. ثم استنشق نفسا عميقا. ونظر ناحية الشبابيك. كان إحداها ما قد فُتح ووقفت فيه إحدى الجارات التي لا يعرف اسمها. كانت تنظر ناحية أول الشارع، فلم تره ينظر لها. لاحظ ثدييها الكبيرين، يبرزان من بين أزرار القميص البرتقالي. الظاهر من تحت الروب الوردي. أغلق زر قميصه الأول. "الجو بارد!" قال.

"آه. اشرب الشاي يا حاج شوقي، اشرب، برد" قال سيد ثم تنهد "لكن

fb/mashro3pdf

لا تنفعل بشدة عليها هكذا..."

"من؟" قال بحدة

"ليلى!"

"آه.."

"طفلة، شباب هذه الأيام كما تعرف، ضارب، مخه ليس في رأسه، أنظر كم الانفجارات، وكم التدمير، وكم الهلع، كلهم يسمعون كلام الناجي وأمثاله، ولا يرعون مصلحتهم، أو مصلحة آبائهم، أو بلدهم، الله يرحم أيام زمان، كنا لا شأن لنا سوى بأعمالنا، وأرزاقنا، أنا لا أفهم دخل هؤلاء الصبية في مسائل الكبار، لا أفهم!"

"آه، كلامك سليم (انتقلت عيناه الحادة بين الشبابيك، وكأنه يخطب!)" كلهم حمقى، حفنة صبية!"

"نعم، يرضي من مثلا كل يوم، ينقطع إرسال الهواتف، أو الراديو؟ يرضي من؟"

"يرضي أمريكا يا سيدي!"

"بالضبط..." تحرك بكامل جسده يواجه شوقي الذي مازال جالسا كما هو لا ينظر إليه، لكن قاطعته طفلة صغيرة متسخة الوجه "جنيه لله يا عمو" عبس فيها: "يحننا" ألحت الطفلة "والنبي يا عمو، جعانة!"، قال:"يا شاطرة ربنا يرزقك!"

ناداها شوقي: "تعالي يا بنت!". اقتربت منه بوجل. تأملت عينيه الحادتين في خوف: "من يسرحك هكذا في الشارع؟"

انثنت شفتها السفلى: "والله جعانة يا عمو!"

"نعم، فهمت، لكن تعملين لحساب من، من بلطجي يسرحك هكذا!؟"

fb/mashro3pdf

"لو كنت أعمل كنت عرفت آكل!" ثم نظرت في الأرض

"طيب، توكلي على الله" ثم ربت بجفاف على كتفها

"طيب مفيش جنيه؟ جعانة"

"روحي يا شاطرة!"

أشاحت الفتاة بحسرة، وسارت تلف. تشحذ. جرت سيارتان في الشارع، اصطخبا بلحن غريب (خليط مواء وطبل، وصاجات. وأورج غير محترف). مصمص شوقي، تنهد الحاج سيد. نادت المرأة في الشباك بصوت صاخب. حاد: "يا علاء، يا ولد يا علاء، أنت يا ولد، اصعد حالا يا ولد، وإلا والله نزلت فضحتك في الشارع!"

نظر الفتى لأعلى: "نعم ياما؟"

"اصعد؟"

"لا"

"اصعد يا ابن الكلب الآن، وإلا...." استمرا في الشجار، وهز كلا من شوقي وسيد رأسيهما. امتلأ المقهى عن آخره. وسار بين الجلوس دخان النارجيلة والسجائر. سعال هنا وهناك. ومغنية قديمة تغني في المذياع. "من كسب المباراة؟" سأل شوقي

"تصدق لم أسمع؟" ثم استدار "من كسب المباراة يا حاج سميرا"

رد الرجل بصوت غليظ: "الوطني!"

"كم؟"

"ثلاثة، ثلاثة واحد!"

ابتسم سيد لشوقي: "سيحصد الدوري!"

أومأ شوقي، انقطع الإرسال عن المغنية القديمة، جاء صوت المذيع:

أعزاؤنا المواطنون، جاءنا الآن هذا النبأ العاجل! شب حريق

fb/mashro3pdf

كبير في منطقة التدجين بمدينة القصب، مما أدى إلى إخلاء المناطق السكنية المحيطة، خوفا من انتشار الحريق، ولازالت فرق الإطفاء تحاول...."

"الله يخرب بيتك يا صابر يا ناجي أينما كنت!" صاح أحد الجلوس.

صفق شوقي يدا بيد في عصبية "أنا لا أفهم ماذا يريد المجنون هذا!"

صاح سيد "البلد تضيع، ألا يكفيه المدينة الأخرى والمخلوطة، والمدن الأخرى! أم ماذا يا حاج شوقي، ألم تترك المدينة الأخرى بسببه؟" أومأ شوقي بحماس

صاح الحاج سمير بصوته الغليظ: "ثم يأتي حفنة الصبية المخنثين ويسيرون خلفه، ويحلفون به أولاد الكلب. جيل وسخ!"

تعالت الأصوات الساخطة، بين الدخان، ولا زالت المرأة في الشباك تصيح في ولدها، والسيارات تمر وتأتي صاخبة. نظر شوقي في ساعته "10:00". ضم سترته. لم يعرف إلى متى يستطيع أن يسيطر على نفسه. كاد أن يخطئ ويذكره من قليل أمام سيد الحتة. لكنه حمد الله أن أمسك في النهاية. "ملعون من بعث بدفاتر صابر.. لقد كنت ارتحت منه ومن جنونه، تأت اليوم دفاتره لتفسد البنت، آه لو تعرف كيف أحميها من هؤلاء الناس. لقبلت قدمي إلى يوم يبعثون! لو تعرف لو أن الناس عرفوا من أباها؛ كيف يفعلون بها؟ حمقاء!"

هرع وراءها: "أنت يا بنت أين أنت ذاهبة، ألا أتحدث معك؟"

"تتحدث معي أم تمن علي بما هو واجب عليك، أنا لا أفهم أي جد أنت؟"

صاح "أنا الجد الذي صبر على تربيتك ليل نهار، وكنت أب وأم ولم أقصر في حقك يوما من الأيام. "

تشممت في حزن، "نعم، وتمنع عني أمي وأبي، حتى الناس لا

fb/mashro3pdf

يعرفون من أمي ومن أبي، كأني ابنة حرام!" ثم صاحت" لماذا تخاف من أبي وهو ميت!"

تلفت حوله في جزع "صوتك يا مجنونة، صوتك، من قال أنه ميت، من إذًا يعث في الأرض فسادا؟"

"وهل لو كان بكل هذه القوة لماذا لا يأتي ويأخذني؟"

"وهل يعرف أن له ابنة، لقد تركك لحمة في بطن أمك، شخص فاشل غير مسئول!"

"بالتأكيد كان يعرف!"

"حتى لو، هل تظني أنه يأتي لأجل أن يحمل مسؤوليتك، كلا ابن أخي وأعرفه!"

"أنت لا تعرف أحدا يا جدي، أنت لا تعرف سوى نفسك!"

حدق فيها دون أن يرد. تذكر مي في دموعها وغضبها. حدق فيها بنظرة عجوز حادة.

التفتت ودخلت حجرتها.

"أستأذن أنا يا حاج سيد، ابن الكلب عكر صفوي!". وقف.

أومأ سيد، صافحه: "عكر صفونا كلنا، بل صفو البلد كلها الله يخرب بيته!"

"آمين" رفع شوقي يده للسماء. وذهب.

fb/mashro3pdf

وقف ڤيتار في منتصف الحجرة، مغمض عينيه تماما، رافعا عصاه الفضية لأعلى، حركها يمينا ويسارا. لم تكن هناك أي جوقة عزف أمامه، فقط كان وحده. لا يصل إليه صوت أوراق اللعب في يد قابس. أو 368 تصايح الشباب. لم يكن يسمع سوى اللحن الذي في رأسه وتمايل يده تلقائيا معه. كان ممسكا وجهه بيديه اليسرى. ترتفع ذراعه وتتشنج، تهتز رأسه ببطء:

يا خمر التوت: تبدأ كمان وحيدة بصرير عميق. يتبعها دقات متفرقة للبيانو تعلو. تنخفض

يا خمر التوت: تدخل كمان وراء أخرى بهدوء. وطبل خفيف في الخلفية

يا قطاف الغابات البعيدة. يا يا خمر التوت يا مرسى النفوس الشريدة: تشارك جوقة الكمان كاملة نصفها يتألم والنصف الأخر صرير عميق. ثم ساكس يصيح. وترومبت تهتز كغرغرة ديكة.

يا خمر التوت أنزل يده بهدوء ثم دار بها للخلف، فأعلى **فارتفع الطبل وانخفض الباقي بهدوء بهدوء.**

رفع قابس (كابيشون) سترته، يخفي رأسه من البرد. الورق يصدر صوتا في يده. (شايب ولد أحمر سبعة كومي سبعة قلب أسود ملكة قلب أحمر ملكة قلب أحمر ملكة قلب أحمر **واحد** أحمر **خمسة واحد** أسود **تسعة تسعة واحد** أحمر **خمسة واحد** أسود ملكة قلب أحمر ملكة قلب أحمر) "تبا" تمتم "ما كل هذه الملكات الحمراوات؟" قلب في الأوراق "مؤكد أن الولد قيس هو من أدخل هذه الأوراق الزائدة في اللعب ونسى أن يسحبها مرة أخرى، أحمق غير محترف، في الماضي عندما كنا نتجمع مع شلة الكلية في بار وسط المدينة، كان كل واحد منا يخفي الأوراق كأنه ساحر! يا لها من أيام، كنا نشتري الجثث

fb/mashro3pdf

برخص التراب، ونشرحها حتى النخاع، كانت الحياة، تشريح، مسرح، أوراق لعب، أيام!" ضحك لنفسه "تستغرب السيدة من البذاءة، ها ها لا تعرف شيئا" كان في البار مع الأصدقاء، قال له حسين: زين يا حسيني، أنظر كيف هي عضلة ال. (*Latissimus Dorsi*) عند بطة الراقصة. نظر. بلل شفتيه بلسانه مبتسما.. مثيرة بنت الحرام. رغم أنها مكسوة بطبقة دهون مثيرة. تدعو للاحتضان. إلا أنها تنفرد وتتثنى بإعجاز. بنت الحرام. تتثنى وعرقها الخفيف يلتمع مع بشرتها الخمرية. قال لا بُد أن نشتريها. صاحت زميلتهم فوزية: تشتري أيه يا ع**. ضحك، لا تفهميني خطأ يا(فوز) أنا أقصد بعد أن تموت، سيكون تشريحها مفيدا لأبحاث الرقص، بطة لا تحتاج من يشتريها كي ينام معها لا تقلقي يا فوزية. نخرت زميلتهم فوزية. ونظرت ناحية البار. دقق في عضلة ال (*Latissimus Dorsi*) لدى بطة،

تخيل الأذن تستقبل الموسيقي، خصوصا الشعبية، ثم ترسلها في إشارات للمخ، المخ عبر الأعصاب يعرف أنها ال*Latissimus*) (*Dorsi*، فتبدأ بالتثني التلقائي. وتلهب بطة النفوس. دائما طبقة الشحم، والعرق هما مثار الغرائز، وليس الميكانيكية العبقرية تلك!

سمع طرق على الباب، التفت ناحية قيثار وجده سابحا مع اللحن.

fb/mashro3pdf

قام يفتح الباب. قام ببطء. أمسك أسفل ظهره، وانكمش وجهه في ألم. طرق الباب مرتين. "حاضر حاضر" تمتم "الصمت قليلًا يا حلوين!" قال للشباب. تحرك ببطء. طرق الباب. فتح الباب بهدوء. سرت لرقبته برودة. "من؟" همس بحزم، رأى هيكل ذكوري طويل، لكن جاء صوتها: "كيف الحال قابس؟"

"أهلا سيدتي!" رد بوجوم. راقب محمد قاسم (الذي كان يزفر بأنفاس ثقيلة من البرد. جال بنظره في الحجرة ضعيفة الإضاءة) وهو يدخل خلف ليلى. خلعت ليلى السترة الكاكية: "الجو حر عندكم، هنا، الجو بالخارج ثلج! قابس، هذا محمد قاسم، الطبيب النفسي الذي أخبرتكم عنه! قاسم، هذا قابس!"

ابتسم محمد قاسم، ومد يده. راقبه قابس دقيقة. ثم صافحه ببرود.: "أهلا، تفضل!"

سألت ليلى: "من بالداخل؟"

"الكل، عدا قيس!"

"لماذا تأخر؟ غريبة؟"

"لا أعرف! أنت تعرفين، مجنون!"

ابتسم محمد قاسم: "لا تقلق يا دكتور، جلستين معه وسيكون بخير!"

لم يرتفع العبوس عن حاجبي قابس.:"أليس هذا هو الطبيب الذي يرى الأشياء تتكلم!"

ابتسمت ليلى، رفع محمد قاسم حاجبيه، سأله: "إلى أي حد حكيت لكم ليلى عني؟"

ضغط العبوس تقاسيم قابس، "ليلى؟ ليلى هكذا دون أي ألقاب!"

fb/mashro3pdf

توقف محمد قاسم، بادله نظرة فاحصة. ثم تبع ليلى دون أن يرد عليه. أشعل قابس سيجارة. ولم يأبه لتململ ليلى. فتحوا باب الحجرة. نهض الشباب بالداخل وتحركوا نحو طاولة الاجتماعات. انقبض محمد قاسم. شعر بفايد خلفه يهمس:"ما كل هؤلاء؟ أراك تغرز قدمك في الجحيم!" هرش أنفه، غطى فمه وهمس لفايد: "هل كنتم تقبضون على شباب مثل هؤلاء؟". رد فايد بهلع: "لا نقبض إلا على هؤلاء!". "آه! احم احم." ثم نظر لوسط الحجرة، وقف رجل طويل (قيثار) يعزف لحنا خفيا. تذكر ألحان الليل التي تأتيه. جذب ليلى من كم قميصها الأبيض، همس: "إذن هذا الرجل هو من يعزف في الليل؟"

عبست: "أي ليل؟ محمد أصبر." ثم نظرت للفريق " ها شباب، كيف حالكم، اشتقت إليكم كثيرا (كانت مبتسمة، وقلبها فرح) أمن أحد منكم يوقظ قيثار حتى أعرفكم على الرفيق الجديد؟" تحرك أحدهم. ربت على كتف قيثار. ثم ربت مرة أخرى. **يا خمر التوت: هذا المقطع يعلو البيانو بشدة، والطبل يشتد كأنها حرب. ثم تدخل السيدة في صيحة أوبيرالية ملحمية.**

حضري صلبانك،

ثم خبئيها،

في عسل عينيك،

أولهينا، أغرقينا،

ثم اتركينا.

سنظل لا بُد داخلك عالقينا!: البيانو كمطر منهمر.الفلوت مع الناي كثعبانين ينسلان إلى الآذان. الكمان يتألم. وباقي الوتريات تهر بقلق. فتهتز الخلفية. وقف شعر ظهر. شعر بطيف يخرج منه. ابتسم. وشعر بمن ي ربت مرة ثالثة. نظر قيثار خلفه. "أهلا!" قال مبتسما.

fb/mashro3pdf

لوحت ليلى بكفها الصغير.: "ما لك سابح يا عم في ملكوت آخر؟"

ابتسم: "تتجهز لحفل الكبير، أظن هذا صديقنا الطبيب!" ثم تقدم نحو محمد قاسم وصافحه.

372 . "رائع أنك تذكر، هذا يا شباب، محمد قاسم، أو قاسم، صديقنا الطبيب النفسي الذي أخبرتكم عنه. محمد هذا فريقي. هذا قيثار العازف الشهير، قابس، الذي استقبلنا، مدرب الرقص وزميلك في الطب كما أخبرتك، والشباب هنا، قنديل، قمر، قابيل، قلب..."

"كلهم بالقاف!" ابتسم محمد قاسم

نظر قابس له شزرا "نعم، نسبة إلى قتل"

صُدم "حقا؟" سأل ليلى

"لم تقل لك يعني؟" سأل قابس مستنكرا

هز محمد قاسم رأسه نافيا. نظر لليلى. ابتسمت:"عنيف بعض الشيء! قابس، إذا سمحت قاسم صديق، أرجوك تعامل معه بشيء من اللطف!"

جلست. فجلسوا. اقترب فايد من محمد قاسم: "هلا ذهبنا؟" "هل يراك أحد هنا يا فايد!" "لا، أنت فقط" "إذن لماذا تأتي الآن، اذهب ستفضحنا!" "أنت تحدثني من خلف يدك، ولا أحد يسمع همسك! أرجوك هيا!" "ششششششش"

نظرت ليلى لقيثار: "سنبدأ دون قيس؟"

ابنسم: "نعم، أظنه يحتفل مع أصدقائه الكتاب، لقد نشروا له قصة في الصحيفة الكبيرة اليوم!"

"فعلا؟"

"نعم، ولد جريء!"

fb/mashro3pdf

ابتسمت "ماذا قال؟ هل هاجم أحد ما!"

أومأ "في الهدف! في الذات السيادية! لكن أشك أن أحدًا منهم سيفهم قصته!"

"كالعادة إذًا!" ابتسمت. نظرت في ساعتها "1:30 صباحًا" أردفت "هل كل شيء جاهز؟"

"نعم!" أومأ فيثار

"هل سيرى قاسم إذًا البروفة اليوم!"

"هذا يشرفنا!" ابتسم فيثار وبعض الشباب. بينما عبس قابس، أكمل فيثار: "بل هناك أكثر من ذلك" نظر عن يمينه ناحية الشباب "معنا صيد الليلة!"

رفعت حاجبيها: " يا رجل؟ "

أومأ: "أمس اشتكت إحدى الفتيات من خنزير ما، فأتينا به كي نطربه!"

"ماذا فعل؟"

"ضايقها؟"

سألت: "يستحق القتل؟". جفل محمد قاسم. تحرك في مكانه. نظرت له. ثم عادت تنظر لفيثار.

"كاد يختطفها!"

"أين هو؟"

"في الحجرة!"

"إذن فسنطبق السحر اليوم!"

"أتحرق شوقا!" وابتسم

نظرت حولها بوجه أحمر من الانفعال. "هيا إذًا!"

fb/mashro3pdf

تحركت الكراسي تحتهم. وتعالت أصوات الفريق وهم ذاهبون للحجرة. ظل محمد قاسم جالسا ينظر للطاولة. قال ڤيثار للفريق " أربطوا الرجل في الكرسي كما اتفقنا!". كبنت ليلى ضحكها وهي تنتظر محمد قاسم. اقترب منها قابس: "ما له؟". هزت كتفيها. تكوم تحت قدمه فايد، أمسك بساق محمد قاسم وألصقها بالكرسي، فبدا ككلب مذعور: "أبعد كل هذا تورط نفسك مع حفنة من المجانين؟" "أنت شبح! وتقول لي أنهم مجانين؟ " "إذن لماذا خائف؟" "لا أعرف!"

"محمد يا قاسم!" نادته ليلى

"نعم" ظل ينظر للطاولة ويده على فمه

"هيا؟"

"إلى أين؟"

"ألن ترى عزفنا؟"

"إذن أنتم من تعزفون كل ليلة؟"

سأل ڤيثار: "وهل تسمع العزف؟"

"نعم كل يوم، لا أعرف هل أنتم أم أحد أخر؟"

قال قابس بقرف: "أحد أخر؟ من يكون إذن؟ المسرح.؟"

"وما المشكلة؟" سأله محمد قاسم كأنه اكتشف شيئا

"المسرح مغلق من عقود! أين تعيش؟" صاح قابس

"إذن أنتم! كل يوم أستمع لعزف كأنه ساكس وكمان متألم. أنا! أنا أقطن هناك في الناحية الأخرى من الميدان. تعرفون، لحن واضح، هل تعزفون في الشارع؟ لكن من الذي يستحق القتل هذا؟"

ضحك ڤيثار بوقار:"آه رائع، أن تحب الموسيقى، لكن لا نعزف في الشارع، لا أعرف كيف يصلك العزف، هل تستطيع أن تصف اللحن؟..."

fb/mashro3pdf

قبض وجهه يتذكر "اللحن كأنه، يتمزق، لحن كبير، كأن له جسد كبير، يتمزق، يذوب. والكمان بالذات يخرج من جرح في جوف صاحبه ممتد طوليا إلى قلبه. كأنه غصة حزينة...."

".....أما عن الذي يستحق الموت! فلا تشغل بالك، هذا خنزير، ماذا تفعل برجل كاد أن يختطف أختك؟"

"أسلمه للشرطة!"

أشار قابس برأسه لمحمد قاسم ودمدم"صاحبك هذا مجنون؟"

عاد ڤيثار ينظر لمحمد قاسم الذي بدأ يجذب سالفه الأيمن "ولو أن الشرطة ستقبض عليك مكانه، ماذا ستفعل؟"

"ولماذا تقبض عليّ الشرطة؟"

"لأنك لا تؤمن بها أصلا!"

تنهدت ليلى بنفاد صبر: "يا دكتور قاسم! هلا توقفت عن العند، وجئت لتراني وأنا أغني! أم أنك لازلت تخشاني!"

"كيف ستقتلونه؟"

"يا للتهريج!" صاح قابس. طُرق الباب.

"هذا قيس" قال ڤيثار وهو ذهب.

"محمد! هيا!" صاحت بدلال. حدق فيها قابس بغضب. لم تلاحظه

"ليلى! هناك شيء يسمى العدالة ويج.."

صوب قابس غضبه ناحيته: "عدالة ماذا يا أبو عدالة؟ الأخ أعمى، أم من بلاد السند؟ اسمع يا أخ لو لم تكن بك رجولة كافية، اذهب للوالدة ترضعك، هذا..."

"قابس.." قاطعه ليلى بهدوء "أدخل الحجرة!"

fb/mashro3pdf

"لا يا ليلى، لن أدخل حتى أفهم، من هذا وكيف أتى إلى هنا؟"

"ليلى؟ اممم.." رفعت له حاجبها الأيمن

"وما المشكلة، ما الفارق بينه وبيني حتى تفضليه عني وتدعيه يسميك باسمك المفرد؟"

"هذا ليس من شأنك، قلت لك أدخ..."

صاح: "لن أفعل، اسمعي يا فتاة، أنا لن أرضى بهذا الهراء، أنا لست صغيرا حتى تتلاعبي بي، أن..."

"ثواني ثواني ثواني.." صاح محمد قاسم "ليس لك أن تكلم ابنة صابر الناجي هكذا، إنه رجل صالح، حتى اسأل هذه الساعة (أشار إلى ساعة يده) ثم أن مشكلتك معي أنا وليس معها، فلا تخسرها بسببي دكتور زين!"

جحظ قابس، ارتجفت رأسه، همس: "زين؟"

"نعم، ألست تُدعى زين الحسيني تقريبا!"

صاح قابس في ليلى: "ما أكثر الثرثرة يا ليلى؟". لم تنظر إليه

ضحك محمد قاسم: "هي ذات الثرثرة التي ثرثرت بها معكم عني!"، صفعت ذراعه. ابتسم ومسد موقع الضربة. شده فايد من كم القميص، وغمز له مبتسما.

دخل قيس، يختبئ نصف وجهه خلف كوفية بلون الكاكاو.: "صوتكم عالٍ!" ثم وقفت عيناه الضيقتان على محمد قاسم، (فقال في نفسه: من هذا الرجل النظيف). أمسك قيثار بكتفه: "قيس هذا محمد قاسم، قاسم. رفيق جديد، الطبيب النفسي لو تتذكر!"

"آه." حك رأسه

مد محمد قاسم ذراعه "أهلا قيس"

fb/mashro3pdf

"أهلا" صافحه

"مبارك لك القصة الجديدة!"

ابتسم: "قرأتها!"

"سمعت عنها حالا!" وأشار لقيثار الذي دقق نظره في ليلى، وسألها: "ما للأميرة غاضبة؟"

التفت قيس ومحمد قاسم لها، بينما أشاح قابس نظره للخلف، ودخل الحجرة حيث الفريق. ازدرد قيس لعابه، اقترب منها. قال بهدوء، بضعف خلفه غضب: "ماذا فعل ؟". لم ترد. نظر لمحمد قاسم، فرفع يديه لأعلى: "ليس أنا، بل هذا الرجل ذو الاسم الغريب!" وأشار حيث وقف قابس. فلتت منها ضحكة. ثم هزت رأسها. ضحك قيثار وقال:"هيا هيا.." تحركوا عدا قيس. تأخر قليلًا (منحنيا كتفه الأيمن تحت ثقل حقيبة الظهر السوداء). تابع ظهر ليلى يتثنى في مشيتها البطيئة. قال لنفسه بحسرة: "A new man my girl! A new man!"

دخلوا الحجرة. بيضاء تمامًا. كأنها قطن مضاء. اصطف فريق العزف كُلٌ يداعب آلته. اتجه قيثار ناحية منصة قائد العزف. بينما سار قاسم وقيس خلف ليلى حتى توقفوا أمام رجل ثلاثيني. رُبط بشدة في كرسي خشبي بأحزمة جلدية. كان مذهولا لا يقاوم قط، تتحرك عيناه في كل اتجاه، لا يفهم ما يدور. كان يرتدي قميصا سمنيا وبنطال بني. صفعته ليلى على جبهته بقسوة. التفتت لمحمد قاسم: "كنت تسألني آخر مرة كيف يقتل الغناء؟"

ازدرد لعابه، وظل يحدق في الرجل.

ابتسمت: "لا تقلق، لن يؤذيك شيء!" ثم أمسكت بنصره تطمئنه. ثبتت عينا قيس على البنصر يدها. نخر قابس بلامبالاة وسحب نفسا من السيجارة. طرق قيثار منصة المايسترو. انضبط فريق العزف. كُلٌ مع

fb/mashro3pdf

آلته. جرت بدلال. وقفت أمامهم. بقامتها القصيرة الممتلئة بجمال. ملأ قيس عينيه بها. (الشامة والغمازة والأنف والابتسامة والقوام والاسم) ازدرد لعابه. تنهد. نظر جواره.

شعر محمد قاسم أن أحدا يتفحصه. فخرج من تأمله فيها. وجده قيس. شعر بالحرج. ابتسم ببلاهة: "كم الساعة؟"

تحركت عين قيس تلقائيا لرسغ محمد قاسم. ثم أخرج من جيبه ورقه. أعطاها له.

قرأها محمد قاسم: "دوران العقرب؟ أنا أسأل عن ال.."

أمسكه قيس فجأة من ساعده بشدة. كان مطرقا بيأس ليمينه. نظر محمد قاسم حوله يستفسر. اقترب قيثار قليلًا منهم. قرأ الورقة مرة أخرى: "دوران العقرب!"

رفع قيس رأسه له: " وكلا يدعو وصلا بليلى، وليلى لا تقر لهم بذاكا" ثم نظر لليلى غاضبا (صُدمت). ترك ساعده. ثم ربت على كتفه مرتين. جال بنظره في الحجرة. وانصرف.

نادى قيثار:"قيس. قيس! يا لها من ليلة!"

"أتركه! لا تمضي خلفه!" قالت ليلى "فلنبدأ!"

هز رأسه متعجبا وعاد. طرق المنصة. ثم بدأ العزف. قرأ محمد قاسم:

دار العقرب دورة جديدة، لتتسرب مني ساعة أخرى، لا أفعل شيئا حيالها، أراقبها فقط صامتا، خاويا، كأنه عمر رجل آخر، أخدع نفسي: "أنت تشغل نفسك بالتفكير؛ فلا يضيع وقتك"...

fb/mashro3pdf

يا خمر التوت	كمان وحيدة بصرير عميق. يتبعها دفات
يا قطاف الغابات البعيدة	متفرقة للبيانو تعلو. تنخفض تدخل كمان وراء
يا خمر التوت	أخرى بهدوء. وطبل خفيف في الخلفية. جوقة
يا مرسى النفوس الشريدة	الكمان كاملة نصفها يتألم والنصف الآخر
تألبت علي آلامي	صرير عميق. ثم ساكس يصيح. وترومبت
رحلتي إليك جد شديدة	تهتز كغرغرة ديكة ثم ارتفع الطبل وانخفض
يا خمر التوت	الباقي بهدوء بهدوء.

اهتز الرجل في كرسيه. اقتحم اللحن رأسه. صوتها. صوتها أرجف الروح فيه. يكاد يشحذ النفس من الهواء.

"حجة واهية ادع إذًا التفكير يلتهمك للأبدا" استهلك دورة أخرى متفكرا في مصيري الممزع بين التفكير والفراغ

هدر فتى يُدعى قمر بيده فوق جيتاره الإلكتريك. وهرع خلفه قمبز على الطبول يلاحقه. هام محمد قاسم في ليلى. صدحت بصيحة أوبرالية ملحمية. تعلو تعلو تعلو. وتهبط. تعوم. كأنها أطياف اختلطت في الحجرة ذات الضوء القطني. ارتجف الرجل المكبل. صدره أصبح حجرة ضيقة. ازرقّ وجهه. لم يشعر محمد قاسم بوجهه. قشعريرة. كأن النمل يجري عليه!

ثم دورة ثالثة .رابعة .تلف الدنيا بي .لا زلت ممزقًا، جيدا أليس التمزق تفكيرًا أفضل من التمزق وحسب؟ دورة سابعة وعشرون. أربعون...

تمايل قابس على كرسيه. أسند رأسه بكفه الغليظ. دخلت فرقة الرقص. تقافزوا في حركات عنكبوتية. عصبية. سريعة. كهرباء. انكمش فايد خلف محمد قاسم يتابع بخوف. بدت الأجساد المتقافزة تتداخل مع أطياف طوية تخرج من جسدها وأجساد العازفين.

توقف النفس الأخير في صندوق حنجرة الرجل المكبل. أشار فايد

fb/mashro3pdf

لمحمد قاسم. اقترب محمد قاسم من الرجل المحتضر. رأى في عينه ظلمة. في قاعها خوف! فزع!

هبط اللحن بسرعة. وتمايل صوتها يقاوم الهبوط. حتى استكان أخيرا برقة. وظل يهتز كأنه موجه صوتية بين شوكة معدنية. 380

عددت في النهاية سني عمري .قد فاقت كل توقعاتي .أربع سنوات عشت فيها طفلا .أما الباقي؛ فتخطيطٌ للعودة إليها".

شم محمد قاسم رائحة النفس الأخير. امتعض. سقطت رأس الرجل. قاس نبضه من الرقبة. همس: "مات!"

كانت رأسها للخلف في إرهاق. ابتسمت. ثم اهتزت من الضحك. ابتسم الفريق. حتى قابس.

رجف قلبه. همس "ولكن... لا تقر لهم بذاكا!"

حدقت فيه. وتابعوه وهو يسحب كرسي كالتائه (وفايد متعلق بساقه) ليجلس جوار قابس.

fb/mashro3pdf

"ما رأيك؟" سألت أشرف تبتسم

"رائع! هذا فستان مي، أتذكره، رأيتها مرة ترتديه!"قال بفرح

دارت على كعبيها برشاقة، دار الفستان في حفيف عطر، لمع لمعة زمردية.

تألقت عينا أشرف: "كأنك مي!"

شدت طرفي كميها بأطراف أصابعها المرصعة بخواتم غامقة الحجر. قلبت النظر في وجهها (حيث بدا صافيا حزينا على مرآة وقفت جوار مرآة خالها) قالت: "غدا على المسرح أكون مي وصابر!"

ابتسم نصف ابتسامة: "وددت لو حضرت!"

وضعت يدها على المرآة حيث صدره "أنت معي بالفعل!"

"ماذا تفعلي هنا؟ ومن هذا الذي معك؟ " دخل شوقي الحجرة. وجهه بلون الدقيق. عينه هي كل وجهه!

ثبت أشرف كصورة على حائط. فغر فم ليلى. لكن لم تلتفت لشوقي.

"مع من تتكلمين!؟ من جلبت لبيتي يا ساقطة؟" رفع عصاه

طار شعرها وهي تتحرك نحوه في غضب. تقطع صوتها بين غضب ودمع: "ماذا تقول؟"

صاح: "من هذا الذي كنت تتحدثين معه؟" ثم دفع كتفها برأس عصاه. صرخت

تقدم. وقفت أمامه. صرخ: "ابتعدي!" دفعها؛ فسقطت. نظر للمرآة (رأى أشرف، حسبه فتى لليلى) صاح "يا فاجرة!" رفع العصا، لكنه استدرك: "أنت؟" وقفت شعرات رأسه القليلة الشائبة. هز رأسه لا يصدق. جف لسانه. صدر عنه فحيحا عاجزا.

fb/mashro3pdf

ندا عن المرآة طقطقة زجاجية خافتة. قال أشرف وقد تهدل وجهه بالغضب والبؤس: "ألا تصمت وتكف عن هذه العائلة أذاك، أصمت. كفاك كل ما فعلته!"

"أنت؟ أنت؟"

"نعم، أنا..!"

"لا. لا. هذا جنون. أنت ميت. ميت.!"

"لست ميت. أنا هنا من يومها لو تذكر. لكن كيف تراني بعد كل هذه السنوات. أنا لا أصدق!" ضحك بأسى.

"أنت ميت!"

"لست ميتا. أنت فقط لا تراني! كما هو الحال!" ونخر

"أنت ميت!" ارتعشت يدا شوقي وفكه السفلي.

هز أشرف رأسه، وعينه جامدة

صاح شوقي والدنيا تسود في عينه: "ابني مات! أنت شيطان. أنت شيطان. أنت الجنون الذي قضى على أبي. على أشرف. على أخي. على مي. وهو ما أضل الكلب أبو هذه الفتاة، ورماها لي بما تحمله من لعنتك أيها الخبيث. ألا يكفيك أني في هذه العمر وحالي كحالي!" علت نبرته في صراخ باك.

"لو كنت يوما تسمعني، وتبعد عني النمل، لو كنت تسمعني كأب، لما فقدتني يوما، إنما تركتني لنفسي. وها أنت ترى الحال. ويا ليتك رأيت منذ زمن!"

"اخرس يا شيطان، لا تذكرني، بكوابيسي، اخرس" ثم نظر لليلى في استجداء:"أنظري، هاهو يذكرني بأشرف وكوابيس أشرف" ثم بكي.

"هذا أشرف يا جدو، صدقني" قالت في ضعف

fb/mashro3pdf

"اخرسي يا بنت المجانين!" رفع عصاه وكاد يضربها. صرخت. صاح أشرف: "أتعذبها كأمها! ارحم البنت رحمة لأمها المعذبة! ارحم بناتك يا رجل!"

تحول إليه في جنون. أكمل أشرف: "ارحم بناتك، ألا تذكر كيف كانت هي صغيرة وترتجف من الألم تحت صفعاتك، وعظامها تئن ولا تئن. أنت لا تذكر. لأنك لم تكن تسمع بكاءها ليلا. ولم ترَ أن لك ابنة، إلا عندما ارتديت أنا ملابسها كي أقاسمها الضرب!"

دارت عينا شوقي في غضب

"لم تعرف أن لك ابنة إلا عندما أخذها منك الذي تكره! صابر. ولم تذكرها إلا عندما أخذها ما لم تفكر فيه!.. الموت.." واهتزت ملامح أشرف في حزن.

زفر شوقي. انفرجت أنفه. "أنت شيطان. أنت ميت" ورفع عصاه، وانهال بها على المرآة. حطمّها.

صرخت ليلى، والزجاج يطير إلى كامل الحجرة. يسرع من موضعه. ويطر ببطء فيما قُضي له أن يطير. ليلى تصرخ. ويقع الزجاج في كل موضع في الحجرة. يقع بصوت ارتطام، ارتطام قطع من لحم على الأرض الخشبية. تسقط كل شظية، يسيل من طرفها ذيل ودي من الدم. صرخ شوقي أيضًا صرخة واحدة. وانحنى لجانبه الأيسر. بعد أن رشقته شظية في خده. لكنها لم تؤلمه. تحسس وجهه وسط أزيز الزجاج الطائر. فوجد الشظية تذوب في لحم صدغه الشائخ وتهدأ كأنها منه.

ليلى تصرخ. وسمع رغم صراخها ارتطام الزجاج على الأرض كأنه اللحم. جرجر رجليه ناحيتها. كانت ترتجف في نحيب هستيري. وتضرب رأسها وفخذيها. وتلوث فستانها بالدم. انتقل برأسه كطفل بينها وبين فراغ أسود كان فيه المرآة.

ارتجفت يداه. سال الدم على شفتاه. قال بضعف وخوف: "أشرف،

fb/mashro3pdf

ولدي!"

تأوهت ليلى في عويل طويل. "قتلته، قتلته!"

"أشرف" سحب كرسي خشب، جلس. "أشرف!" همس. جال في الحجرة، التي أصبحت بلون نبيذي قاتم. بردت أطرافه. ظل يحدق في الفراغ الأسود. "ولدي!"

"قتلته. قتلته"

دارت رأسه على محور رقبته، فمه مفتوح، يريد أن يقول شيئًا ما، ولا يعي. سأل نفسه: "كيف سنمسح كل هذا الدم؟" نزلت قطرة من طرف مروحة السقف. تابعها بهدوء. وضع يديه على ركبتيه. سمع الكتب عن يساره تمتص الدم بشبق الحبيب. سمع تكتكة قلقة من درج المكتب. سمع نهنهة ليلى وقد تكومت كالموتى ترتجف. سمع دبدبة خافتة. منتظمة. دب دب دب. رنا لأعلى السقف. هدل رأسه في يأس. "أشرف! ماذا فعلت؟" وصل النمل سريعًا للمروحة. ابتسمت له ليلى، وما لبثت أن بكت. صرخ شوقي صرخة واحدة أليمة. "أشرف!" وارتجف.

ثم سقط عن يساره. ترتطم رأسه بالأرض.

fb/mashro3pdf

"كم من حماقة ارتكبت يا عمرو؟" همس قيس داخل زنزانته. ينظر للقمر الظاهر خلف القضبان. كان متكئا على جانبه الأيمن. بدا لونه الشاحب يليق بالحيطان الرمادية الرديئة. ثقلت نفسه برائحة العفن التي غرقت فيها الزنزانة. داعب لحيته الصغيرة المركزة حول فمه الحزين. "كم حماقة؟ هذا كل العالم الآن يلقيك في أظلم البؤر العفنة، يعاقبك، وينساك، فيثقل عقابك ضعفين. ويزيد لوم الناس لك! آه الناس. هؤلاء الحمقى الذين حبست نفسي عن متع كُثر كي أقتص من عمري وأكتب لهم. أكتب كي أجلي عنهم كل غشاوة. لكنهم حمقى!" ضرب رأسه التي حلقوها له بماكينة مرت على آلاف الرؤوس قبله. "كم حماقة، وما كان يهم أحد ما تكتب يا أخرق. احترق كبدك، وتبكي ليالي من الألم والوحدة، وتراقبهم، وتنعي لهم. وتأسى عليهم. وتكتب وهذا في حد ذاته عذاب. وهم وكأنهم موتى. قد أسمعت إن ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي! إذًا لماذا كنت تنادي وأنت تعرف أنهم موتى؟ إذًا ماذا كنت أفعل؟ فأنا لا أعرف لي طريقا لهم سوى القلم! القلم البائس! آه" ثم اهتز يبكي في صمت.

"وأين هي الآن هي الأخرى؟ أين هي الآن، كالعادة تنسى أني هنا أهتم بها، كأني قطعة أثرية في متحف من متاحفها؟ تبا لليلى تبا، حبيبة القلب" ارتعش في نحيب.

"أوقفت كل هذا العالم على قلمي! ولم يؤمن بي أحد! وقف قلمي عليها وحدها! ولم تأبه لي قط! إذًا فأين الخطأ أين الخطأ!؟ " صرخ وقام في حمى يضرب فخذيه. بدا في الضوء ضعيفا فتىً ضئيلا. يرتدي نظارة كبيرة.

صاح: "والآن أنا بين هذه الجدران الخبيثة تحت يد سدنة جحيم الأرض! يفعلون في ما يشاءون! كهرباء. جَلد. ماء مغلي. تعليق. كل شيء

fb/mashro3pdf

وكل ألم. لماذا؟(صرخ) لماذا؟ ما كنت أريد سوى حقا رأيته، وغشاوه أجلوها عن الأنظار؟ لكني أحمق، نعم، كيف أحارب من يفوقني بكل هذه القوة، لأجل من لا يُقدر المعرفة؟ مسوخ!" وبدأ يضرب الجدران بعصبية.

جلس يبكي هنيهة. ثم اقترب من الشباك الصغير. يتابع القمر. "وهل سينفع مع هؤلاء القوم سحر ليلى؟ هل سيؤثر في جلودهم السميكة ألحان قيثار؟ هؤلاء لا يفهمون سوى البارود، ولن ينفع معهم سوى البارود! (سارت فيه تلك الحماسة المفاجئة، سار جيئة وذهابا) نعم. ما شأن الكلمات أو الألحان أو الرقصات أو أي شيء معهم؟ ليست لهم علاقة مع كل هذا إلا ليرقصوا ليتناكحوا، بئس القوم المجرمين!" ثم وقف وغالبه دمعه: "لكن ماذا تفعل؟ عرفنا أنهم مسوخ، وأنهم مجرمون، وأسيادهم أصنام! وماذا بعد، كل ما تملكه في العالم، ذهب! قلمك ذهب! وناسك باعوك! حتى ليلى (عض على شفته!) حتى ليلى!". جلس يبكي.

تقلب بعد الدقائق في هذيان من بؤس. "هل تذكرين عندما كنت أعلمك اللعب بالكلمات؟ هل تذكرين اللغز؟ لا تقترب من السلطعون وأنتَ في الماء فتكون ثورا أعمى؟ هل تذكرين يا ليلى؟ أنت لم تكوني غبية قط! ألم تقولي: **هل أنا أعمى، صُدم! كيف عرفتيه! بسيطة يا معقدا السلطعون هو السرطان، الماء هو الدلو، الثور برج الثور. فليس لمولود برج الثور الذي ولدت فيه أن يقترب من برج السرطان، وهو قريب منك يا مولود برج الدلو المجنون!** يتقلب. لا يحتمل روحه. ولا يحتمل أنفاسه. أصبح جزءً من ظلمة الحجرة. تابع القمر. رفع يده اليسرى ناحيته. همس كأنه يكلم طفلا: "كم وددت يا عمرو أن تعوي فوق أعلى جبال هذه البلاد في ليلة قمراء مطيرة؟" برقت السماء. مشى حتى وقف عند الشباك يمد قامته الضئيلة بالكاد يتشمم النسيم. رعد. ثم مطر. بكى من المهابة. السماء سوداء فيها

fb/mashro3pdf

زرقة غامقة غاضبة. يتحرك السحاب بثقل وكأنها تقول: "أنا السماء!" تذكر قبة الرعد (**لحن قوي عالٍ مهتز يتنزل بطبوله الغاضبة وأوتاره المتوترة، والبيانو الخفاق. يتنزل كالصواعق. ولا يترك مساحة منه لكي تهرب منه أذن أو تستكين أمامه نفس. والكورال يميد كطيف مبرق. إنها قبة من الرعد!**) ترقرقت عيناه. "اقترب الحفل، ولن أحضر!" ثم عوى عواء طويل حزين.

رعد.

عواء طويل. طويل. ثم نزل بقامته يريح ساقيه. شب مرة أخرى. فلمح سعف النخل يهيج. توهج القمر. سمع عواءً بعيدًا. ثم عواء آخر. ضحك. اقترب العواء في الخارج. وظل يعوي في ثمالة من الفرح. ثم الانسجام.

أطلق الحراس النار. ابتعد عن الشباك. عوت في الخارج ذئاب. زمجرت. إطلاق نار. زمجرة. ثم تألم أحد الذئاب. صرخ أحد الجنود. ضحك قيس. إطلاق نار مجنون. عواءات كثيرة. ثم صراخ. ضحك. قفز يتعلق بالقضبان، وعوى. رآه أحد الحراس فأطلق ناحيته الرصاص. ابتعد غاضبا: "يا ابن الكلب!" ثم استدرك أنهم رأوه وسيأتون ليحتفلوا بتعذيبه. أو قتله.

وقف أمام الجدار: "لم يعد لأوراقي معنى الآن، ومحبرتي إن لم تُملأ من دمي فلا أفلح قط! وإن لم يكن أمامي فعلا أفعله سوى الموت؛ فلأفعله، وإن لم يخرج خيالي عن خطوطي، فلتتخطفني البروق (نظر بجنون للصواعق، لعّب لسانه.) أخرج طبشورة وكتب بخط رديء:

البشر يُخلدون بأسمائهم عندما يقهروا لهيب الحمم، زئير العواصف، تيه المحيطات، يُخلدون عندما يذوقوا الألم، فيفقهوه، فيألفوه، فيصبحوا بشرا غير عاديين.

ابتسم لكلامه. سمع ركض الحراس في الطرقات إليه. ركض ناحية

fb/mashro3pdf

الجدار، ثم ضربه برجله عند كلماته.

سقط الجدار.

بدت العاصمة أمامه تهيج تحت المطر. جماله يصعد منها، يتراقص بين الصواعق والريح والقمر وحده كان ينير كل شيء. رأى الذئاب عند الأسوار ترقبه. ابتسم: "مرحى أبا حكيمة!" قال ثم قفز لا يشك أبدًا في الريح، أن تتركه يقع.

fb/mashro3pdf

"لماذا تحدق في هكذا.. يا مجنون!" سأل تليفون المكتب محمد قاسم الذي هدل ذراعيه أمامه. وتدلى كفاه تحت فخذيه. فمه كان مفتوحا قليلًا وهو يحدق في الهاتف.

"أتصل بهم؟" تمتم

"من؟"

"الشرطة؟"

"لماذا؟" صاحت ساعة البندول خلفه، أشاح لها من خلف ظهره. قال الهاتف: "لماذا؟"

نظر محمد قاسم لرسغه: "ما رأيك؟"

"أنت أبله!" قالت ساعة يده

"لقد قتلوا الرجل؟"

"تخونهم بعد أن وثقوا بك؟"

تنهد، ونظر للشباك الذي بدا الشفق شاحب خلف السحب الثقال.: "وثقت بي!"

"نعم!"

"ولكن..." ثم وضع رأسه بين يديه

"لكن ماذا؟"

"ليلى لا تقر لهم بذاكا؟"

"لا تقر لمن بماذا؟" سألت ساعة رسغه

"لا عليك لا عليك!" صمتت الساعة. دلك صدره، لا يزال منقبض. "رغم أنهم جلسوا يضحكون بعد التمرين، إلا أن ضحكهم هذا زادني

fb/mashro3pdf

انقباضا. حتى فايد نفسه جلس خائفا. شبح ويخاف؟ إذًا كيف كان عندما كان جلادًا؟ يا لكل هذا الهراء، آه تعبان! أريد أن أنام! يا للوسادة المسكينة! أصبحت كقطعة جليد! لكن كيف يضحكون وقد قتلوا رجلا؟ حتى لو كان! كاد أن يختطفها، صحيح هذا شيء قذر، كم من فتاة هتكوا عرضها وقتلوها، لهم حق أن يؤدبوه، لا أن يقتلوه! والشرطة؟ لكن الشرطة لهم عدو! آه، يا لمصيبتك يا محمد يا قاسم! ماذا ستفعل الآن وقد غرست قدمك مع هؤلاء المجانين!؟" ذهب للمطبخ. غسل كوب الشاي. وضع الماء في الغلاية. ثم راقب ضوء الشارع مستندا على رخامة المطبخ. "لكن ما كل هذا الجنون!؟ كيف قتلوه؟ أم أنهم سقوه سما قبل ذلك؟ لكن متى؟ كان جالس معهم؟ (تنهد) يا عم كفى ضوضاء، إلى متى ستقاوم! لقد قالت لك ألا تفكر كما يفكر ال.. إذًا سيقتلون كل المدعوين حقًّا! جنون!"

أغمض عينيه "كأن جفنيّ كفرا بالنوم، لا يهم. هل هي هيبوفوبيا أم أرق؟ أم الاثنين؟ لكن لو كانوا مجانين، لماذا لا أعالجهم!؟ لكن مجانين كيف؟ الولد كتب قصة! آه" أخرج قطعة الورق من جيبه وقرأ: " **دار العقرب دورة جديدة، لتتسرب مني ساعة أخرى، لا أفعل شيئا حيالها، أراقبها فقط صامتا، خاويا، كأنه عمر رجل آخر، أخدع نفسي: "أنت تشغل نفسك بالتفكير؛ فلا يضيع وقتك...**" أشغل نفسك بالتفكير! ها ها ها ها! وهل أتوقف عن التفكير؟ يا ولدي أنا لا أفعل شيئا غير التفكير! وهل أرداني في مرض مرضاي سواه؟ العمل، فايد، الساعة، الناس، البلد، كل هذا في رأسي المسكين، وليلى! بالطبع ليلى!" ثم صمت يستمع لصوت الماء في الغلاية. نعب غراب في الخارج. سرت نسمة صباحية رقيقة على صدره. "كل شيء من السماء جميل!" همس ثم ابتسم. صب الماء. قلب الكوب. ذهب للشرفة. استيقظت المدينة، ولا يزال البشر نائمون. نظر لسيارته. رشف. ثم تذكر فجأة أنها لم تتحرك من موضعها هذا زمن طويل. ضحك: "عسى أن يكون

fb/mashro3pdf

دكتور سعيد فرحان الآن! تُراه يساعد أحمد مسلم أم أنه يتركه ليتسامر مع الممرضات؟ تركناها لكم يا سعيد أفندي" وضحك بخفوت.

دقت ساعة البندول "7:00" "إذن هل سننام في عامنا هذا؟ لا أعتقد، هذا أفضل، ولماذا أنام!؟ الدنيا بها الكثير لنكتشفه، يا أخي لو ظللت مستيقظا فقط لأفكر كيف أصل إليها. كيف أجعلها تقر لي بأي ذاكا! لكان هذا يكفيني! فكم مرة سنقابل امرأة ونحبها؟ لم يكن هناك لدي وقت قط كي أحب! مذاكرة مذاكرة مذاكرة. الواجب القومي لطلبة الطب. شيء ماسخ. ثم؟ ثم نجلس في الشرفات للساعة السابعة صباحا ونسير في الطرقات كالبلهاء، ونحب نساء جميلات الأنوف الأنوووف. آه يا ليلى يا بنت الكلب! آه والله ابنة كلب كبير! كيف أنجب كل هذا الجمال وتركه يعقر كل هذه الأفئدة!؟ صابر الناجي! الرجل الصالح المرعب! (رشف. تنهد) وماذا بعد؟"

"الفتاة حلوة!" وقف فايد جواره.

انتفض محمد قاسم وكاد يُسقط الكوب، صاح: "من أين خرجت لي؟"

"من الحجرة! كنت أقول لك أنها حلوة!"

عاد يستند على سور الشرفة: "لكنك رأيت ما فعلت، ولولا أنك شبح لأغرقتنا بولا!"

ضحك فايد: "نعم، إنهم مجرمون! لكن ما يفعلون له غاية صالحة!"

استقام محمد قاسم: "ماذا تقول؟ أنت تقول ذلك وقد كنت واحد ممن يدبرون ضدهم!؟"

تنهد فايد، نكس النظر، ولعب في الحبل حول رقبته: "نعم، نعم، أنت لم ترَ ما كنا نفعله في الصبية! كهرباء، نصعقهم، في كل أجزاء جسدهم، الفم، الشرج، العانة، كل شيء، الجلد ليل نهار، حتى تتوقف أذرعنا، نعلقهم من أرجلهم، نغرقهم، كل شيء، حتى الكلاب

fb/mashro3pdf

كنا نطلقها عليهم!"

"الكلاب؟ صحيح ما حكايتها؟ كانت قد أشارت إليهم!"

"الكلاب كانت. كانت. لا أرجوك أريد أن أنسى!"

نظر له بفضول: "تنسى؟ أنت شبح؟ ما أثر الذكريات فيك، أرجوك أعقل أنت قتلت نفسك كي تنسى ثم تقول لي أنك تريد أن تنسى!"

ابتسم بحزن: "ومن قال أن هذا الحبل أراحني. كلا والله، ما كنت لأظهر لك إلا لأني روحٌ قلقة! غير أن ما اقترفته تلك اليد لا يقابله أبدًا إلا عذاب أشد مما أوقعت في هؤلاء الصبية! ثم أنك تقول أني شبح! ألم تعلمك فتاتك أن كل شيء يتكلم ويتحرك وله انفعالات وكذا، فما بالك بشبح كان بشريا يوما ما؟"

هز محمد قاسم رأسه بتفهم: "إذن فهي على حق في كل ما تقول؟"

"كل شيء! وما تفعله هو عين ما كان يود الصبية فعله! وهم على حق وأنا وبعض غيري نعلم. غير أننا كنا نحاول أن نتخلص منهم كيلا ينتقموا! لكن أنّى لنا أنّى لنا!"

"ولماذا استمررت في هذا العمل ما دمت..."

قاطعه فايد: "يا دكتور سألتني في حياتي هذا السؤال مرارا! قلت لك لم يكن لأحد منا أي حول أو قوة، ليس لجلاد أن يستقيل قط! لذا أقول لك دعها! أو ساعدها أقصد! نعم! لا تدري كم رجل مثلي لديه الرغبة في الموت أكثر مما كنت أرغب. فقد تقتلهم في حفلها وتخلصهم. أو قد تقتل الكبراء وننتهي نحن منهم!"

"كلا يا فايد، كيف يرتاحون وقد قلت أنهم سيلاقون عذابا أشد مما أوقعوه؟ أما بالنسبة الكبراء. فإن ماتوا، سيأتي كبراء آخرون يسوقونكم، أو يأتي عليكم الصبية فلا يذروا منكم أحدا!"

حدق فيه فايد. ثم تلاشى.

fb/mashro3pdf

نخر محمد قاسم. رشف الرشفة الأخيرة. نظر لساعة رسغه: "7:34" سمع أحدهم يناديه. نظر. وجده بهيج بائع الجرائد. ألقى له الجريدة. فتحها.

الجنرال يحضر الحفل الكبير بمسرح العاصمة

"إذن اقتربت الساعة!" قال وهو يدخل الحجرة

"أنا لا أقترب من أحد" قالت ساعة البندول غضبى

نخر: "لستِ أنتِ يا معتوهة!"

"معتوهة؟ تن تن تن أنا معتوهة يا فاشل! يا ذيل فتاة الناجي الفاجر!"

ازدرد لعابه.

"لا ترد يا دكتور؟ بئسك من فتى مدلل!"

"ماذا قلت؟"

"فتى مدلل!" صاحت

"لا، التي قبلها!" اقترب منها متجهم

توترت: " يا ذيل فتاة الناجي!"

تنهد. أخرج العلبة الاسطوانية من جيبه: "تعرفين! لقد تحملتك كثيرا! تعرفين! لو كان أبي أو أمي حيين، لما فعلوا ما تفعلين.. أيتها الساعة الخرفة!" وفتح بابها بعنف

شهقت: "ماذا تفعل! تقتلني!؟"

"هذا شأني!" فتح العلبة. لم يكن يعرف ما فيها. وضعها داخل الساعة وأغلق الباب. وراقب بفضول من خلال زجاجه!

"ماذا وضعت في؟" همست بصوت مخنوق

fb/mashro3pdf

دقق النظر (محني الظهر): "ما هذا؟ أهذا.. نمل؟"

شهقت الساعة، تك تك تك تكتكتكتكتكتكتكتكتكتكتكتكتكتكتكتكتك دارت عقاربها بجنون. ضرب البندول جانبي الساعة الخشبيان ثم سقط. اهتز محمد قاسم في ضحك مكتوم. دقائق. دقت دقة واحدة 394
تن ثم بدأت التكتكات في الخفوت. .

استقام. "ساعة خربة!"

fb/mashro3pdf

حمل التابوت أربعة رجال فقط. وسارت خلفهم. ترتدي السواد. لا تتوقف عن البكاء. أمسكت بكتفها فتاة من الأخوية. خلفهما سار من استطاع أن يسافر للمدينة الأخرى كي يحضر الجنازة. كانت مقابر آل منصور في مقابر العيسوي القديمة. مسجد كبير أمام بوابتها، ثم شوارع صغيرة ضيقة تصطف على جنبيها بيوت صغيرة من الطوب الأحمر. داخل كل بيت. بناية صغيرة بها فوهات نصف دائرية فوق بعضها البعض. أحدها مغلق والآخر مفتوح. وهذه قبورهم.

وصلت الجنازة إلى قبور آل منصور أخيرا. فتحت ليلى البوابة الحديدية ودخلت. لم يتوقف نشيجها. رفرفت ثيابها مع الهواء. كان الجو رماديا باردا. لم تكن تبغي قط أن تزور المدينة الأخرى. ولم تتخيل يوما أن تزورها لتدفن خالها وجدها. سويا! كانت للمقبرة ست فوهات. أربعة للرجال، واثنان للنساء. واحدة فقط مفتوحة. "هؤلاء إذًا هم أهلك يا ليلى!" قالت في نفسها ومرت بأسمائهم **الحاج / محمود منصور الناجي - الحاج/ منصور ناجي رحمه الله - الحاج / سيد الناجي- الدكتور عبد الحميد سيد الناجي - الحاجة /سعاد حمزة مندور - السيدة /مي شوقي منصور.** ارتجفت. كان اسم أمها مكتوب على الفوهة السفلية. وقعت على ركبتيها وألصقت وجهها بالشاهد.

أنزل الرجال التابوت على الأرض. دخل اثنان منهما الفوهة المفتوحة. تقدم بعض الشباب ممن حضر الجنازة فتحوا التابوت. نظروا داخله باستغراب.: "ما هذا يا أستاذة؟" سأل أحدهم ليلى. لم تكن تسمعهم. ربتت على كتفها الفتاة. وأشارت لها أنهم يطلبونها. تحركت بالكاد. والحزن يخسف بوعيها. "ما هذه الكومة؟" سألوها. عادت تبكي. وتحدق في الكومة الملفوفة بقماش أبيض. لم تستطيع الرد من البكاء. نظرت حولها فلم تجد من يعرف ما هذه الكومة غيرها. حتى قيثار وقابس وقفا في أسى. شعرت بوحدة لم تشعر بها من قبل. عرفت أنها وسط

fb/mashro3pdf

أهلها لأول مرة لكنهم جميعا موتى. وأنها الأخيرة منهم، كما قال خالها المتكوم في قطعة قماش فوق جثة أبيه الطويلة. تقدمت نحوهما. ومسدت كومة الزجاج الذي تراخى مع الوقت وأصبح كلحم متجلد"هذا جزء منه، كان قد استأصله!"

"استأصله!؟" سأل الحاج سيد الحتة بأسى

أومأت وهي تمسد رأس جدها من فوق الكفن: "نعم ألم تعرف أنه مات وهو يجري جراحة؟"

"لم أعرف، لم يقل لي، لا حول ولا قوة إلا بالله!"

انتحبت. قال الحانوتي: "إذن ندفنها معه! هيا!" رفع الرجل كومة أشرف وأدخلوها القبر. جلست ليلى متربعة مذهولة. رفعوا جدها وأدخلوه. أخذت فتاة الأخوية رأس ليلى في صدرها. قالت ليلى وهي ترمق قدم شوقي تدخل القبر: "لم يعد غيري إذًا!". ثم قامت تجلس أمام قبر أمها تبكي.

انتهوا من الدفن. خرج الناس. وقف قيثار وقابس والحاج سيد الحتة ليأخذوا العزاء حتى انفض الناس إلا منهم وباقي الفريق. جلست تمرر إصبعها المدور على اسم أمها المحفور. وتحاول أن تتذكر منها شيء. لم تتذكر إلا الذنب؛ أنها من قتلتها، **هذه ابنتي الوحيدة، التي فقدتها بسببك أنت، يا فتاة الشؤم، يا بشرى حفار القبور** نظرت لفوهة جدها، وانتحبت. حاولت الفتيات تهدئتها. وخرج قيثار وقابس والشباب ينتظرون بالخارج. قال قيثار: "لم أتوقع أنها بكل هذا الضعف!"

"لماذا؟ إنها صغيرة، دعك من القشرة القاسية التي تحمي بها نفسها!" قال قابس بخشوع

"نعم، عندك حق، بالإضافة لقبر أمها، ولم يعد لها الآن أحدا!"

"نحن لها يا رجل!"

fb/mashro3pdf

"أتمنى نعوضها!"

أومأ قابس. صمتوا قليلًا. فسأل أحد الشباب: "الآن، بالنسبة للحفل هو بعد أسبوع أعرف أنه من الحماقة أن أسأل. لكن فقط أردت أن أستفهم منكما!"

"نعم، عندك حق، كل شيء سيكون مرهونا بها. هي من تقرر!" قال قيثار

سعل قابس، وقال:"خصوصا أن كل رجال الدولة سيحضرون وكبار رجال الأعمال، وخلافه!"

"نعم، لكن أين قيس، كيف لم يأت؟"

"صحيح أين هذا الولد! كيف لم يأت، فالح فقط في التغزل بها، وعند الشدة، يختفي!"

"يا أخي لا تحكم عليه، لم يكن ليتركها في هذه الشدة، مؤكد أنه مريض، هل يعرف أصلا؟"

هز قابس كتفيه: "لا أعرف، حتى الطبيب الطويل الأبله لا أعرف أأحد أخبره أم لا!؟"

"صحيح! قاسم!"

خرجت ليلى حولها البنات، انهكها البكاء فتسير وسطهم بآلية. الحزن أثقل قدميها ورأسها. أقبل عليها الرجال. قال قيثار برفق يمازحها: "هل لأميرتنا الجميلة أن تتذكر مجدها ومجد أبيها!"

قالت بعيون شاردة: "كيف أنسى أن قبرها هنا"

توتر قيثار ونظر للرجال حوله، ثم دنا منها وقال: "رفقا مولاتي، لكن هذه المقبرة المباركة ألا تلهمك بكل المجد الأبوي!"

"ليس فيها أبي! من قتله أخفى كل شيء!" تمخطت. ضغطت عينيها.

fb/mashro3pdf

استنشقت بعمق. "أما الآن فما حدث لن يمنعنا مما نخطط له، من ماتوا قد ماتوا، فلم يكونوا لنا سوى عقبات من خوفنا أن يمسهم أذى بسببنا. أما الآن فيجب أن نعود، أين الباقي، أين قيس؟"

قال فيثار بهدوء: "أظنهم لم يعرفوا الخبر!"

"وددت لو كان مانعهم خير!"

أومأوا ثم ذهبوا.

fb/mashro3pdf

سار العقيد في الردهة بخطوات هلعة ثابتة. كان يرتدي بذلة السهرة الكاملة. لم يعد إلا ساعة ونصف ويبدأ الحفل. ولا يدري كيف يخبر الجنرال بالمصيبة التي حدثت. لقد اتصل بكل الإدارات المختصة ليضاعفوا التأمين. "بالطبع لن يتنازل الجنرال اليوم إلا عن ليلة بكل ما فاته من عمر، لن يتنازل إلا عن شيء يذكره بزمن الفن الجميل كما يقول. الأحمق يحسبني أن أدع له الفتاة، قليل من الخمر لن يعرف أي فتاة ستشاركه الفراش! لكن مصيبة الليلة أفسدت كل الفُرُش!"

وقف أمام باب حجرة الجنرال. سمع **الجرامافون** يشدو بألحان كلاسيكية غربية. "مزاجه عالي. كيف سيتقبل. حرقك الله يا صابر. حرقك الله أنت وكل الخونة الذين يساعدونك."

طرق الباب ودخل. وقف الجنرال أمام المرآة يضبط شاربه. كان ارتدى بذلة سوداء ذات ذيل طويل. ورابطة عنق بيبون سوداء. كأنه سيحضر حفلا ملكيا. قال: "أهلا عشماوي، أراك تزينت كأنك عريس!" وضحك

غالب العقيد نفسه وضحك: "نعم، كم مرة سنقيم حفلا كهذا؟"

"صدقت يا عشماوي حتى يعرف الناس أننا نعمل لرفاهيتهم! الناس الناس يا عشماوي!" وتنهد

"نعم نعم!" أومأ

"لو يعرفوا أننا أشد حرصا عليهم من آبائهم وأنفسهم لصنعوا لنا التماثيل في كل ركن!"

"فعلوا يا فندم، فعلوا"

"ولتركوا أنفسهم من هراء الصبية وصابر الناجي، أقصد الفاشي!"

انقبضت معدة العقيد

fb/mashro3pdf

"كم من العمر ونحن نعمل معا يا عشماوي، كم؟ أنا لا أذكر، لقد عمرنا كثيرا لأجل هذا البلد، ألم نفني أعمارنا لأجلهم، ألم نفعل؟"

أومأ العقيد

"أنا لا أذكر، أربعون؟ خمسون؟ ستون؟ ألم تلاحظ أن الله تركنا عليهم كل هذا العمر لأننا الأجدر؟ أولم نكن الأجدر أكان تاركنا؟ أليس بيده الملك يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء!؟" 400

أومأ العقيد. وقد سمع قرقعة بطنه.

"ياااه كل هذا العمر ولم يؤرق بالنا سوي بعض الفتيان! إنه المجد. نعم. المجد! ألا يجرؤ إلا نمل البشر على مقاومتك! ها وما شأن النمل إلا الدعس؟" ثم دعس بغضب نملة كانت تسير جوار ساعة مكتبه.

"احم!"

"مالي أراك قلقا؟ أتحتاج بعض المقويات؟" همس، ثم ضحك بفجاجة.

تضايق العقيد: "لا، بل..احم. لقد سُرقت بندقية البطل أحمد حسن الزيات من المتحف، وقبعته السوداء..."

"ماذا؟"صاح الجنرال

".. وقد ترك اللص ورقة صغيرة كتب فيها: نبت التوت في قلبي لما رأيتك تأكله!"

"ماذا؟ بماذا تهذي؟"

"وأظن أن من فعل هذا أحد الصبية الذين هربوا من السجن أول أمس؟" أتم كلامه وهو يراقب شارب الجنرال المصبوغ يتهدل.

"أول أمس ؟ ولماذا لم تخبرني بكل هذه المصائب إلا الآن؟"

"كيف أقول لك عن الهروب وهو الأمر الهين؟ قد أطلقنا خلفهم

fb/mashro3pdf

قطعان الكلاب عسى أن نجدهم، لكن البندقية، فهذا أمر لا يحْتمل!"

صمت الجنرال محتارا، ثم قال من بين ضروسه: "لا فائدة من هذا الكلام الآن..إياكم أن تفسدوا الحفل.."

"ومن قال..."

"الحفل لن يؤجل!"

"ما شأني أنا بإلغائه؟ فالأمر في النهاية يعود إليك!... ألا يقلقك أنها سُرقت؟"

"أيؤثر هذا على الحفل؟ " قال مهددا!

"أنا لم أقل هذا، لكن ألا..."

قاطعه الجنرال: "يا رجل! لا تعكر مزاجي! ألا تختار أوقاتك.."

تقدم العقيد في ذهول "يا فندم..."

قاطعه مشيرا له بكفه: "اذهب يا عشماوي أضبط حال وجهك، ستصورنا كاميرات الصحافة العالمية. ونريد وجهك نضرا بشوشا ولو مرة واحدة!"

ازدرد العقيد لعابه. وخرج.

fb/mashro3pdf

-25-

الليلة صافية لكنها باردة جدا. الميدان منير بشدة. وقفت ليلى تتأمل صورة لأبيها على أحد العمدان في وسط الشارع. ارتدت معطفها الأسود الطويل. ورفعت غطاء الرأس تستدفئ. سمعت خطوات محمد قاسم 402 العميقة خلفها. كأنه ارتدى حذاء خشبي. لم تلتفت إليه. واكتفت بالابتسام.

سار محمد قاسم يرجف فكه السفلي. حمل ساعة البندول الخشبية بذراعه الأيسر. وصوت أجزائها الداخلية المكسرة يصلصل. سار خلفه فايد بارتباك، يحمل الحبل برفق. وخلفهم سارت أشباح أخرى. مرضاه. علي رجائي. الآنسة س في تنورتها الملوثة بالدم. الحاج عوض وجريدته. مدحت وعجلته. وآخرين.

تأمل محمد قاسم القامة القصيرة الممتلئة. احتار لم يعرف أهي ليلى أم لا. تارة يراها يشعر أن جسدها أنحف تارة يراها بامتلائها الجميل لكنه لم يرها قط سمينة منفرة. مد رأسه يسارًا كي يتأكد أنها هي أم لا. التفتت إليه لما شعرت بقربه. بادرته بابتسامة منطفئة الوجه، مرهقة. انقبض. ولولا أن عينها لازالت حلوة من دون الكحل. لشعر أنها مريضة!: "أهلا!" قالت

"ليلى! أين كنت كل هذا الوقت؟ " ثم ابتسم بعبوس يتفحصها

"ظروف!" ابتسمت

"شديدة. ظروف أراها شديدة. وإن كانت زادتك جمالا! أنت لا تفعلين شيئا في الحياة إلا أنك تزدادين جمالا!" واتسعت ابتسامته

ضحكت برقة. وشع الإرهاق من عيناها.

"ما لك؟" سأل برقة

هزت رأسه برفق أن لا شيء

fb/mashro3pdf

"لا هناك شيء. هذه عينان لم تتوقفا عن البكاء!"

حمحمت. نظرت لطرف معطفها: "أنت لم تعرف إذًا أن جدي مات!؟"

صاح: "ماذا تقولين؟ ولماذا لم تخبريني؟"

"وخالو، خالو أيضًا!" خنقتها العبرة

فتح فمه دون كلام. وتحركت يده اليمنى في عدم تصديق. نظر كلٌ من أشباحه لبعضهم البعض في قلق. وضع الساعة على الأرض. ثم اقترب منها. أمسك رأسها وقبلها. فبكت. ربت على رأسها بإشفاق. "أنا آسف لم أكن أعرف! لا عليك تماسكي. آه كيف لم يخبرني فريقك الظريف!"

ابتسمت، ومسحت دمعها. تمخطت.:"لا عليك، كنت أعرف، وغيرك لم يعرف، قيس لم يأتِ، قبضوا عليه بالمناسبة!"

ارتجف فايد. وتلاشى. ضحك علي رجائي عليه. "أ!!" قال محمد قاسم

ضحكت بشدة. ثم قالت: "نعم، أمسكوا به، لكن بسبب قصة، أتساءل كيف فهموها؟"

"لكنه يكتب جيدا، قصة العقارب هذه قلبت رأسي، لكن ألن يحضر إذًا الحفل؟"

"لا أعرف الله معه! لقد شغلني الموت عنه! مسكين! وما حكاية العقارب إذًا معك؟ وما بال الساعة؟"

"ماذا يفعل النمل بها؟"

شهقت: "فعلت؟"

قال بحرج: "نعم، لقد صدعتني، لكن لما أخبرت ساعة يدي، تلفت

fb/mashro3pdf

هي الأخرى!"

ضحكت ضحكة مقطوعة: "ماتت من الخوف!"

نظر لرسغه "تقريبا! احمر، ليلى أنا آسف، لم أكن أعرف!"

"لا لا عليك! ولماذا جئت بقبيلة أشباحك تلك"

"ليتعرفوا عليك! حدثتهم عنك، وودوا لو يشتركوا معنا في الحفل!"

"رائع! أتمنى أن يفعلوا" ونظرت لهم بحماس. فبدوا فرحين.

"إذن فالحفل قائم!"

أومأت: "نعم، لم يكن ليغير شيء ما حدث، أنا لا أغنِ لأطرب، أنا أغني لأحارب!"

ابتسم. وهز رأسه استمتاعا.

تجهمت له فجأة: "محمد يا قاسم!"

رفع حاجبيه بقلق: "ماذا؟"

ضيقت عينيها "هل قبلتني ؟"

دارت عينه محرجا. وسخن وجهه. سمع ضحك مكتوم خلفه. ثبتت عينه على طرف حذائها.

ابتسمت: "قل لي هل فعلت؟"

أومأ دون أن يرفع رأسه. "لم أقصد. لقد شعرت أني يجب أن أفعل ذلك! أو أنك جعلتني أفعل! لا أعرف (رفع رأسه) أنت حولك مجال مغناطيسي! إذا دخلت في محيطك لا أشعر أني محمد قاسم. أنا أعترف!"

ابتسمت "وكيف تشعر؟"

"أشعر أني قاسم. قاسم ذو حرف القاف"

" فعلا ؟" احمر وجهها قليلا

fb/mashro3pdf

أومأ بثقة. حدقا سويا لبرهة. نظر لشفتيها. سألها: "كيف تدهنين شفتيك بكل هذه الرقة، حتى أنها لا تبدو مدهونة؟"

"وما شأنك؟" تدللت

"إذن هل لي أن أسأل ما طعم دهان الشفاه!"

"كرزا!" وابتسمت

"هل أذوق؟"

جحظت. ضربته على كتفه. تأوه، وضحك. حك أنفه. قال وهو ينظر لبؤبؤ عينيها المنفعلتين. وكانت عيناها بلون الكراميل الغامق.: "أحبك!"

سُحب وجهها في صدمة. احمر وجهها. حدقت في حذر قطة.

رفع كفيه مُسْلِما: "وإن رفضتني، فلا مشكلة، أعرف. أعرف أنك لا تقرين لأحد بذاكا!"

نخرت. "أنت مجنون!" ثم مشت تهز رأسها. أحنى رأسه لوهلة ثم التفت ينظر لها من خلف كتفه. سارت بدلال قطة ممتلئة. تسير ببطء. وكأن لها ذيلا خفيا يتلاعب بإغواء خلفها. نظر أمامه وقد اكتسحه دلالها.

قالت دون أن تنظر إليه: "أراك في الحفل.. يا.. يا مجنون!"

ابتسم دون أن يلتفت إليها. هز رأسه: "فك الله أسرك، فك الله أسرك!"

fb/mashro3pdf

-النهاية-

-1-

تابعت باتزان وثقة مؤقت العد التنازلي المعلق أعلى باب الكواليس المؤدي لخشبة المسرح، تجري عليه الدقائق للخلف، وراء بعضها البعض.

02:51

يصل إليها عزف الفريق، فينسجم مع مزاجها تلقائيا، فتعبس، تبتسم، تحن، تتألم مع صعود ونزول اللحن.

02:03

وصل اللحن عند نقطة أشبه بتفتح زهرة: حيث توقف فجأة كأنه يُسحب، يشفط في هوة. ثم برعشة على وتر كمان صعد كميسم زهرة غضة. تنفست بهدوء. فاشتمت عبير باقة قديمة أهداها لها قيس. أول باقة؟ كيف حاله الآن؟ ارتفعت تنهدات الكورال. دخل الجيتار الإلكتريك. عويل فريق الكمان. سرت برودة في فقرات ظهرها العلوية. ذابت قليلا، وهاج قلبها.

01:09

*****

دخل محمد قاسم المسرح. حمد الله أن الحفل لم يبدأ بعد. وإن أطفئوا الأنوار. سار بهدوء خلف عامل الصالة. لم يصدق كم العدد الذي حضر. حاول التدقيق في الوجوه، لم يتبين أحد إلا كل حين وآخر. نظر له الحضور بفضول. وابتسم له البعض عندما تقابلت عيونهم. كان نظيفا. يرتدي بذلة سوداء رسمية جدا. بدا كأمير. همس للعامل. بنفاد صبر: "إلى أين تأخذني؟". أشار له العامل الباسم أن يصبر. ظلا يسيران حتى الصف الأول. صُدم في صف من الشوارب الرسمية. تطلعوا

fb/mashro3pdf

إليه بأنفة. وابتسم له اثنان. أشار له العامل بمكانه جوار أحدهم. لمح بطرف عينه شارب الجنرال المعروف. فغاص في كرسيه الوثير. يشعر ببرودة آتية من جواره.

*****

وصل قيس أخيرا للمسرح. طارت القبعة السوداء من على رأسه. نظر لها بضيق. سار بخطوات لا تُسمع. التقطها. نظفها. ضغطها في رأسه المحلوق بغير عناية "تبا له كيف كانت رأسه صغيرة إلى هذا الحد". تلفت حوله. أنزل البندقية من على كتفه. ثم استند لشجرة أمام باب المسرح الرئيسي. وراقب صورة كبيرة جدا لليلى. تنهد. وانتظر.

*****

ربت ڤيتار بعصاه على حامل النوتة. انتبه الفريق. كلٌ خلف آلته. وقد ارتدوا أقنعة سوداء عابسة، كأنها وجوه غيلان. تنفس من خلف قناعه الأبيض الأصم. ثم لوح بانسيابية فبدأ أصحاب الكمان. وتبعهم ببطء البيانو. دقة بدقة.

*****

همس أحدهم خلفها. "دقيقة واحدة سيدتي!". أومأت إيماءة واحدة. ثم مالت برأسها لليمين. فتدلى زمرد حلقها الفضي على كتفها.

00:53

انفتح الباب ببطء. أغمضت عينيها. همست: "هناك بالطبع يوما ستصبح فيه سعيدا بعد هذه الأيام!"

(هبط العزف، ارتفع الساكس وحده بخوف. بسعار فخم. كملك يصيح على أنقاض عرشه) استنشقت ملء صدرها الجميل.

00:33

fb/mashro3pdf

ظهر الناس ملء المسرح. إضاءة نائمة تُظهر هياكل الفريق بالكاد. فقط قيثار في قناعه الأبيض الأصم. يتحرك باللحن في بقعة الضوء المسلطة عليه. (تحركت أذرع دخانية من الأرض بهدوء. تكاثفت عند مدخلها وتأججت الأرضية أمامها)

00:22

مشت ببطء. تهتز الأوتار بقلق، ناي متواصل وساكس خافت. طبل رتيب كأنه قطرة مطر تسقط بين الفنية والأخرى.

كمان وحيد. خفتت الإضاءة جدا.

00:05

سارت على أرضية المسرح المتلمظة كالحديد، يخفيها الدخان. ودون أن يرى الحضور. حرك قيثار يده حركة سوط فاهتزت الآلات في نغم غريب كهبوب ريح وسط حجرة معدنية. ثم نفخ النافخين بهدوء. فاهتز الدخان حولها.

صفق الجمهور. ابتسمت. تحرك طرف فستانها الزمردي الذي يبدو أسود. وقفت. انطفأ الضوء تحتها، وسطع فجأة فوقها ضوء ثلجي بارد.

استعرت الأيادي بالتصفيق.

ظهر أمامها كل شيء. امتلأت القاعة عن آخرها. كلهم رجال في بزات سوداء، وأربطة عنق غامقة. وسيدات في فساتين براقة، تشف ما تحتها من لحم. جلس أمامها من أخبروها أنهم الجنرال وسكرتير المحافظ والعقيد. رفعت عينها لأعلى جلس في الشرفات أسر متغطرسة، يبتسمون ببرود. "إنها دقائق فقط وتصبح سعيدا بعد كل هذه الأيام!"قالت في نفسها ". لمحت جوار الرجل الذي يجاور الجنرال. محمد قاسم. حبست بسمتها.

-----

fb/mashro3pdf

فتح فمه عن آخره. وكأنه يجلس وحيدا في هذا المسرح. تبدل الإضاءة السريع جعلها تظهر أمامه كحورية من الجن. جن الخرافات القديمة. تتلألأ كالماس. وتبرق عيناها بعذرية وفتنة. انتصب في كرسيه الوثير. **أنت لا تفعلين شيئا في الحياة إلا أنك تزدادين جمالا!** تألق على أنفها الجميل فص ماسي رقيق. وقعت عينها عليه. ولمح شبح بسمتها. فصفق بحرارة وصاح: "الله عليك يا ست!"

نظر أشباحه لبعضهم البعض، ارتدوا ملابس تليق بالمناسبة على قدر استطاعتهم. لم يكن بينهم فايد.

*****

"الشامة والغمازة واليد تعرفني.. والقطة واللحن والقرطاس والقلم."
دندن مع الألحان التي تخرج من المسرح. زامت الرياح في الشارع. لكنه كان دافئا. ينظر بترقب لحرس المسرح. ولسياراتهم المحيطة به. "اسمها في كتب السماء منيرا أولها هو الأول آخرها هو الأخير.. هي كل الكلم، آخرها هو الأخير. وكل إناث العالم.. ها وقد ذهب كل طريد يبحث عن ليلاه. وتفرق الجمع، ولم يبق سواي والقلم. وها هم كسروا القلم. لقد قلت أنهم قوم بارود ونار. ارتقبوا إني لكم بالمرصاد!"

عواء من بعيد. ابتسم.

*****

عيناها ثابتة على الجميع. كأنها تنظر من عل. تتفحص الوجوه المشدودة. المأخوذة. التي تحمل صفرة رغم التماع غالب العيون.

*****

رفع قيثار عينه في الأقنعة السوداء الجَهِمة، حرك يده بانسيابية. تحرك العزف بينهم كهواء عَطِّر.

*****

fb/mashro3pdf

يا خمر التوت
يا قطاف الغابات البعيدة
يا خمر التوت
يا مرسى النفوس الشريدة
تألبت علي آلامي
رحلتي إليك جد شديدة
يا خمر التوت

كمان وحيدة بصرير عميق. يتبعها دقات متفرقة للبيانو تعلو. تنخفض تدخل كمان وراء أخرى بهدوء. وطبل خفيف في الخلفية. جوقة الكمان كاملة نصفها يتألم والنصف الآخر صرير عميق. ثم ساكس يصبح. وترومبت تهتز كغرغرة ديكة ثم ارتفع الطبل وانخفض الباقي بهدوء بهدوء.

*****

ارتج كل من في المسرح. ارتجفت أرواحهم داخلهم. صدمهم صوتها. كان ناعما يخرج مع النفس، ويقف معه. ناعم كشعرة حرير تخرج من أنبوب رفيع. يعلو في الطبقات لا يكاد يوقفه شيء!

*****

وكأنه يجلس وحيدا في هذا المسرح!

*****

وشعر بنفسه لحنا كبيرا، كمفتاح النوتة. لم يكن يعطي الإشارات للفريق بيده. بل كان يخرج مع الألحان كطيف. لم يكن شريف البنهاوي الموسيقار الكبير. فعلا. كان قيثار. قيثار سحري يشدو. لم يكن يرى أحدا. ولا حتى نفسه. كان في أثير طيفي فوق الفريق. وفوق جسده. يصرخ يغضب يعوي يفقد ينهر يهدر يستميت يمكر يلعب يحكي يبكي يحب. طيفه كمارد كهربي تخضع له باقي الألحان. أما جسده الذي يبدو للناس يسوق الفريق، لم يكن إلا جسدا مسكين يرتجف بعد أن تركته روحه تمامًا!

*****

fb/mashro3pdf

مال القمر قليلًا في السماء. بدت النجوم بعيدة خلف السحب. كان الصمت يحمل الألحان في المدينة كلها. ولو أن أهلها جلسوا يستمعوا لها من الراديو. اشتدت الريح. وحملت معها رائحة عرق وشعر ورمال. تمتم قيس: " فارتقبوا؛ إني لكم.."

*****

بعث سكرتير المحافظ رسالة لزوجته: "لا تنتظروني، أنا في اجتماع للفجر." وذلك بعد أن أكد الحجز في فندق البحر. الحجرة رقم 617. فتناه ثدياها وأصابعها وشفتاها. تابع كل ثنية من ثناياها بحرص. حتى اكتملت صورتها أمامه على السرير. في الحجرة رقم 617. نزل صوتها الناعم طبقات سلم الصوت بدلال. شنف أذنيه. وخفق قلبه لليلته الحمراء. وقعت عيناها على عينه. غمز لها بخبرة.

*****

عبست. مالت برأسها لقيثار. حركت يدها في نعومة بحركة ما.

*****

دخل مع الإيقاع فريق الرقص. ابتسم قابس الجالس خلف عازف البيانو في الظل. دخلوا كجسد ثعباني طويل، يرتدون ملابس بين الذهبي والأسود والنبيذي الغامق، اشتد الإيقاع، ناي. ترومبت. كمان. تقافزوا في دوائر حول ليلى، بدوا لمن ينظر من عل أنهم كفراشة كبيرة.

*****

خرج من يدها حركة موجية، تحمل دفقات من الغضب. ظلت تصعد حتى لمست طيفه الكبير. ففرقع وأدار اللحن إلى حيث أشارت. فانخفض الفريق بالمعزوفة، وعلت الطبول. وصاح الإلكتريك صيحة متقطعة. تفصلها سخونة الإيقاع. ثم دخل الساكس. وصرخت قبيلة الكمان.

fb/mashro3pdf

*****

أمسك الحضور بأطراف الكراسي. ارتفعت أرواحهم إلى الحناجر. وطفقت تهتز هنالك. فك العقيد رباط العنق قليلًا وسعل. بينما ارتجف السكرتير. لما ارتفعت ليلى بالطبقة. وعيناها الغاضبة في عينه. تهيأ له أن خلفها جناحين يرفان. لكنه لم يشعر بالهواء في صدره. سعل بشدة. ولم يشعر به أحد في المسرح، فشعر وكأنه يجلس وحيدا في هذا المسرح. نظر لها باستجداء. والدمع أغرق عينيه. حركة أخرى من يدها. هاجت ثلاثة من الكمان الكهربي. ارتعش السكرتير. ومات.

*****

وكأنه يجلس وحيدا في هذا المسرح. وأمامه أطياف تغطي خشبة المسرح. ووسطها وقفت حورية من الجن الخرافيين. تتلألأ كالماس. ويتحرك خلفها جناحي فراشة عملاقين. كجناحي الفراشة في الملصق. تلوث الألحان كأنها ثعابين فضية وبرونزية ترتفع وترتفع. وطار في كل جانب راقصو قابس. وعيناه على وجهها. (الغمازة، والعبسة، والأنف، والشامة، والماسة فوق الأنف. والجبهة). تمتم: "مولاتي!" وكأنه يجلس وحيدا في هذا المسرح. شعر بشيء يسقط على وجهه. نظر لأعلى. رأى السماء. وقطرات من المطر تسقط على وجهه.

*****

شعر بقلق عند باب المسرح. وقف. صراخ يعلو. وكأن أناس يركضون. رأى التوتر في الحراس. شد أجزاء البندقية.

*****

تمايلت ليلى مع قشعريرة جسدها. صاحت بكل ما تحمله في قلبها من آلام. الأيام. الذكريات.

*****

fb/mashro3pdf

ارتجف الجنرال لما رأى جناحي الفراشة العملاقين. حل رابطة العنق. لكن صدره انضغط. حتى دخلت ضلوعه إلى قلبه، أو قلبه خرج من ضلوعه! شهق دون جدوى، وخيط رفيع من الدم سال من طرف فمه. نظر لحارسه على اليسار. وجد الدنيا زرقاء. والحارس سقط على أربع يتقيأ. صرخ الجنرال.

*****

"يا خمر التوت!" صاحت. انشق السقف. وسقط للخارج.

*****

صرخ أحدهم في الخلف؛ لم يتحمل الألم. فتبعه آخرون. وامتلأ المسرح بالصراخ. واشتد لما سقط السقف. فح الرجال. والنسوة. حاولوا الهروب. فوضى.

*****

سقط العقيد يتقيأ دما هو الآخر. وقع على أربع. دمعه يسيل مع مخاطه. سمع زمجرة رعيبة. التفت خلفه في نصف إغماءة. رأى كلبا مهيبا. لا. ذئب. صرخ. صرخ وصرخ وصرخ. لكن لم تخرج صرخته إلا زقزقة مسكينة. ارتعشت يداه وسقط على وجهه. انقض عليه الذئب.

*****

سقط الحراس أمام القوم المندفعين من داخل المسرح. كانوا نساء كثر منهم ورجال. "قلت أنهم قوم بارود ونار، لا يفهمون سوى البارود!"

ضغط على الزناد.

طا طا طا طا طا طا طا طا طا طا طا طا

انهال عليهم بالبندقية الرشاشة. لا يكاد ينتهي من خزينة إلا يعقبها

fb/mashro3pdf

بأخرى، والقوم لا يجدون منه مفرا إلا لليلى، ولا يجدوا مفرا من ليلى إلا له. أنشد وهو يضرب: "يا خمر التوت يا قطاف الغابات البعيدة يا خمر التوت يا وصل ليلى الحبيبة، تألبت علي آلامي، فعضد رمياتي السديدة، فالسيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب" الناس تسقط في دمائهم. يهربون للداخل أو يموتوا برصاصه. "يا خمر التووووووووووووووووت" صرخ

*****

نظر قطيع الذئاب إلى قيس ونيرانه. فاقتربوا بهدوء من المسرح. فلم يفلت من الناس أحدا. ومات أكثرهم في طرقاته.

*****

دب دب دب دب دب دب دب خرج من كل حجور المسرح صفوف طويلة من النمل. تجمعوا بكثافة على المحتضرين، فمزقوهم. دقت ساعات المسرح بقوة. بعزم. بتكتكات متابعة تدفع النمل لا تهرب منه. النمل أقوى من كل شيء. لم يهمه قط المطر، كانت الأجساد تذوب من تحته. والساعات تدق بقوة.

*****

فحت الثعابين البرونزية والفضية، بدأت تتلفف المحتضرين، تعلقهم، أو ترميهم بعيد خارج المسرح. أطياف الراقصين بدت كفراشة عملاقة تحرك الرياح من جناحيها، فيطير كل شيء. تقافزت أشباح محمد قاسم فوق رؤوس الناس.

*****

عوى الذئب فوق رمة العقيد. ووقفت قبيلته على أطراف المسرح. والبدر سيدهم يتنفس ببرود. شهقات الجنرال تخرج في عدم تصديق. "انفرطت إذًا كل هذه السنين مرة واحدة؟" فكر في نفسه. تجمع حوله

fb/mashro3pdf

النمل "وفتاة كانت ستكون تحتي الليلة اعتلتني!" دب دب دب دب دب دب دب دقت ساعات المسرح بقوة. نظر لأكبرها في مواجهته، وكان ممددا على الأرض. زرقاء الدنيا في عينيه. قالت الساعة بصوت حكيم: "أخيرا فهمت! لم تفهمني وقد سرت أبيضا في شعرك، فصبغتني، ملأت وجهك بندب الشيخوخة، فلم تبالِ، واستدعيت الأطباء كي يعيدوا ما لن أعيده لك! وبعثت لك بنمل لا يموت، ليأكل عمرك أمامك، فلم تفهمني! والآن تفهم كطبع من كان قبلك! سبحان الله!"

"ساعة وتتكلم!" قال بصوت مكتوم والنمل يغطيه، ويدخل فمه.

"ساعة؟ بئس البشر. أنا جندي الدهر!"

*****

عوت سيارات الشرطة بالخارج. ابتسمت ليلى. صعدت ونزلت ألف عصا كمان فضية بلحن ملحمي سماوي. عوت قبيلة الذئاب. ارتفعت قليلًا بجناحيها الفراشين ونظرت للسماء المطيرة. وسمعت طلقات النار "همست كنت أعرف أنك ستأتي يا صابر، كنت أعرف، وهذه السيارات المولولة ستصبح توابيت أصحابها. كنت أعرف. وها أنا كما استقبلتني مع المطر في السماء. أعود إلى السماء، إلى حبيبتك. إلى حبيبتي.!" وارتفعت.

نزلت الأطياف كلها إلى الأجساد. تمدد فريق الرقص على الأرض. استند كل عازف على آلته. خلع قيثار قناعه. واقترب من ليلى الصاعدة وسط المطر. دمعت عيناه. لوحت له بدلال. فلوح لها. لهث خلفه قابس "لماذا تبكي؟" فزاده بُكى.

تأملها محمد قاسم فاغرا فاه، كان منزلقا على الكرسي. ورجلاه ممدتان أمامه، ومؤخرته بالكاد على الكرسي. ظلت ترتفع ترتفع ترتفع، وعيناها تبتسم لعينه. سأل نفسه: "انتهى كل شيء؟" كانت درة من نور وسط هذا الليل البهيم. صوت الطلقات لا يتوقف. وعواء الذئاب حل محل

fb/mashro3pdf

السارينات. بدأت درة النور تصغر تصغر تصغر. حتى أصبحت نجمة. "انتهى كل شيء!" قال في نفسه. "لذلك كل شيء من السماء جميل!" اعتدل فجأة في الكرسي، وتأوه بصوتٍ عالٍ. نظر له قيثار وقابس. وقعت عيناه على النمل المنسحب داخل أوكار سيدته الساعات العملاقة.

همس في ألم: " أين قيس؟"

*****

توقف عن إطلاق النار. وقد أصبحت واجهة المسرح كالغربال. ألقى البندقية. ثم دخل. سمع في الميدان إنذار عالي، انتشر في سماء المدينة. ثم جاء صوت الراديو:

"الأخوة المواطنون، نهيب بكم عدم النزول للشوارع، فقد وقعت مجزرة مفجعة بالمسرح الكبير. وقد صرح مصدر مسئول أن المجرم العتيد صابر الناجي هو المسئول عنها، نهيب بالسادة المواط.."

ضحك ضحكته العالية، وصفق يديه بينما يمر بين الجثث: "حمقى!"

fb/mashro3pdf

توقف بسيارته أمام المستشفى. نزل منها بهدوء. الهواء يصفر في كل مكان. لكنه لا يسمع إلا لحنا واحدا. دخل المستشفى واجما. وقف الحارس: "أهلا يا دكتور، أخبارك، أرأيت ما حدث!؟"لم يرد عليه. نظر له الحارس بقلق. ثم صاح لما رأى بندقية في يده "يا دكتور سعيد، ألحقنا يا دكتور، وجرى". لم يأبه له. سار حتى وصل لردهة عنابر المرضى. بدأ يكسر الأقفال بعنف. يكسر الأقفال. ينظر في كل عنبر ويصيح: "أخرجوا! أخرجوا! اليوم يوم الحرية!" وصل الأطباء للردهة. ركض المرضى في كل مكان. يهربون. "ماذا تفعل يا محمد يا قاسم!". سمع صوت دكتور سعيد. ضغط على ضروسه. التفت على كعبيه. واجههم. والمرضى بينهم يهربون. رفع البندقية أمامه. أسند الدبشك على كتفه. نظر من خلال الهدف. سن نملة الدبانة. "اخرس يا سعيد! هذا - يوم - الحرية!"

أطلق النار!

هذا يوم الحرية!

fb/mashro3pdf

انتهى 2014/6/14 الساعة 06:05 صباحا - مصر

نعم. أنت وحيدا

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

عمرو عبد الكريم

روائي مصري من مواليد المنصورة 1989، تخرج في كلية العلوم قسم الكيمياء 2009، أصدر مجموعته القصصية الأولى "حكيمة دجاج .. حدث في آكلات الصدور" 2013 عن العصرية للثقافة والتنمية. عمل في النشر بعد التخرج، وشارك في عدة معارض دولية، وورش عمل بالخارج.

ذكريات النوم الأقدم

رواية

عمرو عبد الكريم

صابر ليس مجنونًا. هو أحمق. أبله. لكنه ليس مجنونًا. وكل ما سيفعله سيكون شيئًا طبيعيًا على هذه الأرض المظلمة. أنا أخشى أن يصدق الناس، فيصير مجنونًا فعلًا. وكما يحكي لي دائمًا سأتوقف عن أن أكون جحا. سأحمل الحمار على ظهري وألقيه في البحر، ومحروق البشر! يحكي غاضبًا عابسًا، كأنه يعارك الناس رأي العين. لكن صابر رجل. يحمل في صدره هم العالم الذي فوق رأسه. منذ أن كان طفلًا، كان يعمل ويلعب ويسرق بندقية جدي، "وهذا ما غرز رجلك في المستنقع يا أحمق!" ويصطاد الكلاب في الخرائب. سألته يومًا: لماذا كلت قتلها؟ فقال: هذه أشياء لا يجب أن تعرفها البنات! لكني أتدلل عليه، ضاحكة متباكية، فيذوب وحشي الجميل. يقول: الكلاب تغتصب الحيوانات الأخرى! فأضحك!

• •

عمرو عبد الكريم

روائي مصري من مواليد المنصورة 1989، تخرج في كلية العلوم قسم الكيمياء 2009، أصدر مجموعته القصصية الأولى "حكيمة دجاج .. حدث في آكلات الصدور" 2013 عن العصرية للثقافة والتنمية. عمل في النشر بعد التخرج، وشارك في عدة معارض دولية، وورش عمل بالخارج.

غلاف : عبد الرحمن الصواف

fb/mashro3pdf